جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة

إعداد الطالب

مجاهد محمود أحمد ناصر



إشراف

الدكتور : محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين

1424 هـ – 2003م

منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة

إعداد الطالب

مجاهد محمود أحمد ناصر

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2003/12/14م وأجيزت .

أعضاء اللجنة	التوقيع
1- د. محسن سميح الخالدي مشرفا ورئيسا .	....
2- د.خالد خليل علوان مناقشا داخليا .	....
3- د.علي علوش مناقشا خارجيا .	....

الإهـــــــداء

إلى الذين سَمَوْا في زمن عزَّ فيه الشامخون.

إلى اللَّذينِ أفنيا حياتهما في تربيتي ...أمي وأبي... أمد الله في عمرهما،وأحسن لهما في أجرهما .

إلى زوجتي المخلصة الوفية ، التي يسرت سبيل العلم في طريقي ... فجزاها الله عني خير الجزاء ، وأجزل لها الثواب .

إلى قُرّةِ عيني ...فَلَذات كَبِدي ... شَهْد ، وإيمان ، وميمونة . رزقني الله برَّهن.

إلى إخوتي وأخواتي .... سدد الله تعالى خطاهم على الحق والإيمان .

إلى كل العلماء العاملين المخلصين .

إلى أرواح شهداء الانتفاضة الأبرار .

أهدي هذا الجهد المتواضع ....

مجاهد محمود أحمد ناصر

شكر وتقدير

لا يسع الباحث إلا أن يتقدم بعظيم الشكر ووافر الامتنان لكل من أسهم في هذا البحث حتى خرج إلى حيز الوجود .

وأخص بالذكر : أستاذي ، فضيلة الدكتور مُحسِن سميح الخالدي ، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة ، وجاد علي بوقته وعلمه ، وفتح لي قلبه وعقله ، وأرشدني بتوجيهاته البناءة إلى ما جعل هذا البحث أكثر نفعا ، وأعم فائدة .

كما أتقدم بالشكر إلى صهري ، فضيلة المربي ، الأستاذ جابر محمود أبو الحوف ، الذي جاد بوقته في مراجعة هذه الرسالة ، وتصحيح ما فيها من أخطاء لغوية ونحوية .

كما أتقدم بالشكر إلى أستاذي فضيلة الدكتور: إسماعيل نواهضة ، الذي حرّك لديّ فكرة البحث في هذا الموضوع . وأستاذي فضيلة الدكتور : محمد السيّد ، الذي ساعد في تكوين خطة هذا البحث ، بما جاد به من توجيهات وإرشادات .

كما أتقدم بالشكر لكل من فضيلة الدكتور : خالد خليل علوان ، وفضيلة الدكتور : علي علوش ؛ اللذين تكرما بمناقشة هذه الرسالة ، فجزاهم الله عني خير جزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى كل القائمين على مكتبة المسجد الكبير في مدينة جنين ، على ما قدموه لي من عون ومساعدة في الرجوع إلى المصادر المختلفة .

داعيا المولى الكريم أن يكتب عمل الجميع في ميزان حسناتهم يوم القيامة ،

إنه سميع قريب .

فهرس المحتويات

الملخص

منهج القرآن في إقامة الدليل والحجة

سلك القرآن الكريم منهجا مميزا في الاحتجاج يمكن إجماله في أمرين:-

أولا : طرق عامة في الاحتجاج ، وقد توصل الباحث إلى أربع طرق رئيسة سلكلها القرآن في حججه ، وتتمثل هذه الطرق بالمناظرة ، والحوار ، والقصة ، وسوق الحجة من غير مناظرة ولا حوار ولا قصة ، أي ابتداء من الله تعالى .

ثانيا : أساليب خاصة ، وقد عدّ الباحث ثمانية عشر أسلوبا للاحتجاج في القرآن، وهذه الأساليب طُبِقت في إطار الطرق الأربع العامة .

وقد وقع الاحتجاج في القرآن على أربع فرق ضالة هي : المشركون والمنافقون واليهود والنصارى .

وكذلك شمل الاحتجاج في القرآن أهم قضايا العقيدة الإسلامية ، حيث أثبت التوحيد، والنبوة والقرآن والبعث ، ودحض كل شبهة أثيرت حول هذه القضايا وكل ذلك وفق أساليب جعلت هذه الحجج في غاية الكمال وتأدية المطلوب.


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة ﴾

رب يسر وأعن ، وأنت خير مستعان

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

وصل اللهم وبارك على محمد بن عبدالله ، الرسول النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين المباركين .

أما بعد ؛

فقد جاء القرآن الكريم دعوة صريحة لاستخدام العقل والتفكير في الحكم على القضايا المختلفة، وكرر لفظ " أفلا يعقلون " و " أفلا يتفكرون " و " أفلا يتدبرون " في مواضع شتى منه ، ثم نعى على الذين يزعمون ويقولون من غير دليل وبرهان لقولهم ، وكرر المطالبة بالبرهان في مواضع كثيرة منه ، حيث قال : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[1].

ولم يكن القرآن ليدعو إلى هذا ثم يتركه ؛ فكان يستخدم الأدلة العقلية في الرد على مزاعم وافتراءات الكافرين كلما تعرض لأمر غيبي أو فند دعوى مزعومة لهم .

ولم يقتصر القرآن في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة ولا أسلوب واحد ، بل نجده قد استخدم طرقا وأساليب شتى في الرد والاستدلال .ومن هنا فقد اخترت أن أكتب رسالتي في (منهج القرآن في إقامة الدليل والحجة).

---

1) سورة النمل : آية (64).

سبب اختيار الموضوع

وتكمن أهمية هذا البحث وسبب اختياره ، في أنه يكشف هذه الطرق والأساليب القرآنية في الاستدلال وإقامة الحجج والبراهين العقلية في إثبات قضايا العقيدة والرد على الخصوم ، خاصة وأن كل ما كتب بشأن منهج القرآن في الاحتجاج ، لم يكشف عن هذه الطرق والأساليب بشكل . يجعل القارئ في صورة هذا المنهج القرآني العظيم .هذا، ومن الأهمية بمكـــان معرفـــة هـــذا المنهج لكل من نصَّب نفسه داعيا للإسلام أو مدافعا عنه ، ليقتفي هذا المنهج الرباني الحكـــيم ، بعيدا عن المناهج المبتدعة في الاحتجاج ، التي أساء أربابها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فكانت النتيجة أن ضلوا وأضلوا غيرهم ، ولو أنهم عادوا إلى المنهج القرآني لأراحوا واستراحوا

فلكل قارئ أن يستفيد من هذه الأساليب القرآنية في الرد على أعداء الإسلام وافتراءاتهم حول قضايا العقيدة أو التشريعات والنظم الإسلامية وفق هذا المنهج القرآني القويم .

مشكلة البحث

- الوقوف على مفهوم الدليل ، وأنواع الأدلة القرآنية وخصائصها ومميزاتها .
- معرفة أنواع الاستدلال في القرآن .
- معرفة طرق القرآن في الاحتجاج
- معرفة أساليب القرآن في الاحتجاج وإقامة الأدلة .
- معرفة الفرق التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن ، وأساليبه في الاحتجاج عليهم.

•معرفة منهج القرآن في إقامة الأدلة على وحدانية الله ، وإثبات الرسالة وصـــدق حاملهـــا، وإثبات أن القرآن من عند الله ، وإثبات البعث والساعة .

أهداف البحث

يهدف الباحث من هذه الدراسة إلي ما يلي :

- إبراز أهمية العقل والتفكير في القرآن الكريم .
- بيان مفهوم الدليل من حيث اللغة والاصطلاح عنـــد علمـــاء الفقهـــاء والأصـــوليين والمتكلمين .
- بيان أنواع الأدلة من حيث التركيب والمادة والدلالة والموضوع .
- إبراز أهم خصائص الأدلة القرآنية ومميزاتها.
- بيان أنواع الاستدلال في القرآن مع التمثيل عليها .
- الكشف عن طرق القرآن في الاحتجاج .
- الكشف عن أساليب القرآن في إقامة الأدلة والحجج .
- دراسة وتحليل حجج وأدلة القرآن في إثبات بعض الحقائق الغيبية .

الدراسات السابقة :

لا أعلم أحدا من العلماء تناول هذا الموضوع تناولا تفصيليا شاملا على هذه الصورة التي سيتم عرضها ان شاء الله .

غير أن بعض العلماء كتبوا في بعض جوانب الموضوع باختصار واقتضاب ،منهم : الإمام الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " واكتفى بإشارة سريعة حول احتجـاج القـرآن وذكر بعض طرق القرآن في الاحتجاج دون الخوض في التفصيل .

ومنهم الإمام الشيخ : جلال الدين السيوطي في كتابه الشهير " الإتقان في علوم القـرآن " وقـد تحدث حول هذا الموضوع في النوع (الثامن والستون) الذي سماه "في جدل القرآن " تناول فيه بعض طرق القرآن في الاحتجاج بشكل موجز ومختصـر ، ولـم يتعـرض لقضـايا الـدليل والاستدلال في القرآن .

ومنهم : الإمام الدهلوي ، صاحب كتاب " الفوز الكبير في أصول التفسير " واكتفى فيه بعرض الفرق التي وقع معها المُخاصمة والرد في القرآن وردود القرآن على هذه الفرق الضالة .

ومن العلماء المحدثين الذين تعرضوا لهذا الموضوع الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميـداني في كتابه " ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال " تعرض فيه لقضايا الاستدلال فـي القـرآن ، وكذلك عرض دراسة تحليلية لعشر مناظرات في القرآن .

ومنهم : د. علي جريشة في كتابه " أدب الحوار والمناظرة "تعرض لبعض أساليب القرآن فـي الاستدلال .

ومنهم د. حامد صادق قنيبي في كتاب " المشاهد في القرآن " عرض فيه لأدلة القرآن في إقامة الحجج والبراهين العقلية على قضايا الوحدانية والبعث وغيرها من القضايا .

ومنهم : د. محمد أبو زهرة ، تحدث فيه بشكل مختصر حول حجج القرآن .

ومنهم د. عبد الكريم نوفان ، في كتابه الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة ، وقد تعرض لبعض أساليب القرآن في الاحتجاج ، لكن تركيز الباحث في هذا الكتاب كان منصبا على تتبع الأدلة العقلية في القرآن ، غير آبه بإبراز المنهجية القرآنية في الاحتجاج

وبشكل عام يستطيع الباحث القول : إن أحدا من العلماء لم يتناول هذا الموضوع بإحاطة وشمول على هذه الصورة ، وإنما كانت دراسات تُعنى بجانب منه، وتهمل الآخر .

وبالتالي يمكننا القول : إن ما يميز هذه الدراسة أنها تتناول الموضوع بتفصيل شامل وتلم بجميع وجوهه وجوانبه ، وتؤلف بين شتاته في مكان واحد ، ما استطاع الباحث إلى ذلك سبيلا.

وقد اشتمل هذا البحث على **مقدمة** ، **وتمهيد** ، **وثلاثة فصول** ، **وخاتمة** .

ففي المقدمة عرض الباحث أهمية هذا الموضوع والسبب في اختياره ، وبين مشكلة البحث وأهدافه من هذه الدراسة . ثم بين فيها عرضا موجزا لأهم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، وما يميز هذا البحث عنها .

أما **التمهيد** ، فقد قسمه الباحث إلى ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : **أهمية العقل والتفكير في القرآن** . وتناول فيه مطلبين ، الأول : أهمية العقل في القرآن ، والمطلب الثاني : أساليب القرآن في الحض على التفكير .

المبحث الثاني : **دعوة القرآن إلى المجادلة بالتي هي أحسن** ، وفيه ثلاثة مطالب : الأول تناول مفهوم الجدل في اللغة والاصطلاح ، والثاني تناول الجدل في السياق القرآني ، والثالث تناول وجوب الجدل بالتي هي أحسن .

المبحث الثالث: **مفهوم المعرفة وطرق الوصول إليها** . وفيه ثلاثة مطالب : الأول مفهوم المعرفة في اللغة والاصطلاح ، والثاني : طرق الوصول إلى المعرفة ، والثالث : موضوع المعرفة وتكامل الطرق الموصلة إليها في القرآن .

أما الفصول التي يتكون منها هذا البحث ، فكانت ثلاثة فصول :

الفصل الأول : **الدليل والاستدلال في القرآن** . وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

الأول : تناول فيه الباحث مفهوم الدليل من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح .

والثاني : يتناول أنواع الأدلة عند العلماء بشكل عام ، وفي القرآن بشكل خاص .

والثالث: يتناول خصائص الأدلة القرآنية ، وقد عد الباحث اثنتي عشرة خصيصة .

والرابع : يتناول موضوع الاستدلال وأنواعه في القرآن ، وهو الاستدلال المباشر والاستدلال غير المباشر.

الفصل الثاني: **الحجة في القرآن ومنهجه في إقامتها** : وفيه أربعة مباحث :-

الأول : تناول مفهوم الحجة -لغة واصطلاحا - ، وتناول أيضا مراتب الحجة .

الثاني :تناول أبرز الطرق العامة التي سلكها القرآن في الاحتجاج . وقد كشف الباحث عن أربع طرق رئيسة سلكها القرآن في الاحتجاج .

الثالث : تناول الأساليب الخاصة التي سلكها القرآن في الاحتجاج ، وقد كشف الباحث عن ثمانية عشر أسلوبا .

الرابع : تناول الفرق الضالة التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن ، وأبرز أساليب القرآن في الرد على هذه الفرق .

الفصل الثالث : **دراسة تحليلية لحجج القرآن في إثبات بعض القضايا الغيبية** . وقد عني هذا الفصل بتوضيح المنهج القرآني في إثبات مجموعة من القضايا الغيبية ، وفيه ثلاثة مباحث :

الأول : أدلة القرآن في إثبات توحيد الله عز وجل .

الثاني : أدلة القرآن في إثبات الرسالة ، وأن القرآن من عند الله .

الثالث : أدلة القرآن في إثبات البعث والساعة .

أما الخاتمة : فقد عرض فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من هذه الدراسة .

منهجي في البحث :

1- تركزت عناية الباحث في هذه الدراسة حول إبراز المنهج القرآني في الاحتجاج ، ولم تكن غايته استقراء الحجج القرآنية حول القضايا المختلفة ، وما ساقه من حجج إنما كان لتوضيح هذا المنهج .

2- لم يعن الباحث ببيان منهج المتكلمين في الاحتجاج ، للمقارنة بين منهجهم ومنهج القــرآن، وإن كان الباحث قد ألمح في بعض الأحيان إلى قصور أدلة المتكلمــين ، وعــدم وفائهــا بــالغرض المطلوب .

3- توثيق الآيات القرآنية بين هلالين وبخط غامق مميز ،ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية في هامش التوثيق .

4- التعريف بالمصدر بشكل كامل عند وروده لأول مرة ،وذلك حسب شهرة المؤلف ثم اسمه ثــم اسم المصدر ثم رقم الطبعة ، ثم دار النشر ، ثم سنة النشر ثم الجزء والصفحة مع الإشارة إلــى عدد أجزاء المؤلف . وقد التزم الباحث بذكر سنة الوفاة لكل المؤلفين القدامى .

5- إذا تكرر المرجع في مواضع لاحقة ، يكتفى بذكر اسم الشــهرة للمؤلــف ، واســم المصــدر مختصرا .

6- وضع الكلام المقتبس حرفيا من كتب العلماء بين علامتي التنصيص(" ") ، وإذا نقل الباحــث بالمعنى أشار عند توثيق المصدر بقوله : انظر.

7- تخريج الأحاديث النبوية وذلك بعزوها إلى مصادرها مع ذكر قول أحد علماء الحديث في الحكم عليه ، هذا إذا كان الحديث غير وارد في أحد الصحيحين ، أما إذا ورد في أحد الصحيحين، فقد اكتفى الباحث بعزوه إلى مصادره.

8- قام الباحث بترجمة يسيرة للأعلام الذين ورد ذكرهم في هذه الرسالة ، إذا لم يتم النقل من كتبهم

9- قام الباحث بتوضيح بعض المصطلحات أو المفاهيم أو الأفكار التي قد يشكل على القارئ فهمها ، وذلك في هامش التوثيق .

10- قام الباحث بتشكيل بعض المفردات في الآيات القرآنية وغيرها ، والتي تحتمل أكثر من وجــه ، لئلا يلتبس على القارئ فهمها .

الفصل التمهيدي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أهمية العقل والتفكير في القرآن .

المبحث الثاني : دعوة القرآن إلى المجادلة بالتي هي أحسن .

المبحث الثالث : مفهوم المعرفة وطرق الوصول إليها .

المبحث الأول

أهمية العقل والتفكير في القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مكانة العقل في القرآن

المطلب الثاني : أساليب القرآن في الحض على التفكير

المبحث الأول

أهمية العقل والتفكير في القرآن

المطلب الأول : مكانة العقل في القرآن

منَّ الله تعالى على بني البشر بقوة إدراك عظيمة اختصهم بها ، وميزهم عن سائر خلقه في الأرض ، ليكونوا أهلا للدور الذي خلقوا من أجله ، وهو عبادة الرحمن جل ذكره ، وطاعته دون غيره .

والعقل هو تلك القوة الخفية ، التي بها يستطيع الإنسان أن يدرك ما يحيط به ، ويميز بين الحسن والقبيح ، والضار والنافع ، وبها يعرف خالقه ومعبوده [1].

ولا خلاف بين علماء الإسلام أن العقل هو مناط التكليف ، والمحور الذي يدور حوله موضوع الثواب والعقاب في الإسلام . كما قرروا أن العقل هو المرتكز والبناء الذي يقوم على أساسه النقل .

فلو أن وجود الله عز وجل ، وصدق نبيه صلى الله عليه وسلم لم يثبتا بدليل العقل وبرهانه ، لما ثبت الوحي ، فالعقل هو الذي يثبت النبوة ، والنبوة إنما تثبت عن طريق المعجزة الدالة دلالة عقلية على صدق النبي وصحة خبره [2].

---

[1] - انظر : مكرم ، د. عبد العال سالم ، **الفكر الإسلامي بين العقل والوحي**،جزء واحد ، ، ط2 ، مؤسسة الرسالة، 1412هج-1992م ، ص (7). وسيشار إليه لاحقا : مكرم ، الفكر الإسلامي بين العقل والوحي .

[2] - انظر : القرضاوي ، د. يوسف ، **الحياة الربانية والعلم** ،جزء واحد، ط 1 ، ، عمان -الأردن . دار الفرقان، 1417هج- 1997 م ، ص (71). وسيشار إليه لاحقا : القرضاوي ، الحياة الربانية والعلم .

ولذا ، قرر العلماء أن لهذا الدين دعامتين أساسيتين يقوم عليهما هما: العقل والوحي ، وكل منها لا يستغني عن الآخر [1]؛" فالعقل لن يهتدي إلى الحق إلا بالشرع والشرع لا يبين إلا بالعقل "[2] . فالوحي لا بد له من دلالة عقلية تثبته ، والعقل لا بد له من منهج قويم يوجهه، ليكون قـادرا على أداء وظيفته .

ولولا العقل لما شرعت الشرائع ،ولما سنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدنيات [3] ، ولولا العقل لما ارتقى الإنسان إلى العلا ولأخلد إلى الأرض، شأنه شأن الدواب التي لا تعقل .

لذا ، لا غرابة أن نجد القرآن الكريم قد اعتنى بالعقل والتفكير ، وأشاد بـأولى الألبـاب والنهى ، ودعا إلى النظر والتفكر ، وحرض على التعقل والتدبر [4] ،فأحله منزلا ساميا وجعله نورا يهتدي به الناس في الظلمات ، وطالبهم باستعماله والتحاكم إليه ، وحمل على كـل مقلـد عطل عقله ومنعه عن أداء وظيفته .[5]

وقد تتبع بعض العلماء ورود لفظة " العقل " في القرآن ، فخلصوا إلى أن لفظة "العقل" لم ترد مصدرا قط ، وكل ما ورد هو في صيغة الفعل : عَقِلَ ، نَعقِـلُ ، يَعقِـل ، فـي الماضـي والمضارع والمفرد والجمع . وورد بعضها مسبوقا بالحث على العقل ، أو الاستفهام أو الاستنكار أو النفي، وعدد هذه الألفاظ ما يقرب الخمسين [6] .

هذا بالنسبة إلى لفظة " العقل " بعينها .

---

[1] - انظر : مكرم ، **الفكر الإسلامي بين العقل والوحي** ، ص(5).

2 – الجندي ، أنور ، **ترشيد الفكر الإسلامي**، جزء واحد ، دار الاعتصام ، ص (88). وسيشار إليه لاحقـا : الجنـدي ، ترشيد الفكر الإسلامي .

3 – انظر: طوقان ، قدري حافظ ، **مقام العقل عند العرب** ،جزء واحد، مصر . دار المعارف ، ص (15).

4 – انظر: القرضاوي ، الحياة الربانية والعلم ، ص(71).

[5] - انظر : طوقان ، **مقام العقل عند العرب** ، ص(15-16) .

[6] - المنجد ، د. صلاح الدين ، **الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي الشـريف** ،جـزء واحـد، ط2 بيروت، دار الكتاب الجديد ، 1976م ، ص (15) . وسيشار إليه لاحقا : المنجد ، الإسلام والعقل .

لكن المتتبع لآيات القرآن يجده استخدم مرادفات له : مثل الألباب ، و الحجر ، والنهى . أضف إلى ذلك الآيات التي تدور حول الوظائف العقلية المختلفة ، كالنظر والتدبر والتذكر والبصر [1].

إن هذه المساحة التي شغلها الحديث في القرآن عن العقل ومرادفاته ووظائفه ، لها دلالتها الواضحة الجلية على المنزلة العظيمة التي بوأها القرآن للعقل ، والمكانة السامية التي أحلها لأهله .

والباحث– في هذه العجالة اليسيرة – ليس بصدد الحديث عن جميع الآيات التي أشارت إلى العقل من قريب أو بعيد ، لكنه يقف عند بعضها لإظهار المكانة التي أحلها القرآن للعقل ، وحثه أهله على التفكر والتدبر، في كل آية من آيات الله .

اقرأ قوله تعالى :((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) [2].

وقوله : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**)[3].

وقوله : (**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**) [4].

وقوله : (**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) [5].

---

[1] - عبيدات ، د. عبد الكريم نوفان ، **الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية**،جزء واحد، ط1 ، دار النفائس ، 1420هج– 2000م ، ص(85) . وسيشار إليه لاحقا : عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن

2 – سورة البقرة : آية 164.

3 – سورة النساء : آية 82 .

[4] - سورة العنكبوت : آية 20

[5] - سورة الذاريات : آية 21

" إن هذه الآيات القرآنية وغيرها ، التي تشير إلى العقل من قريب أو بعيد لها دلالتها الكبيرة والمهمة في المكانة التي بوأها القرآن للعقل ، فقد جاء القرآن في مواضع شتى منه يستحث العقل ويستثيره ، ويلح عليه أشد الإلحاح بالنظر العقلي " قل انظروا .." ويأمره بالتفكر والتدبر والتذكر " أفلا تتفكرون " ، " أفلا يتدبرون " ، " أفلا يذكرون " . فلا تكاد تمر بسورة منه إلا ويعرض عليك مجموعة من الظواهر الكونية "[1] ، ثم يأمرك بالتأمل فيها ، وسبر غورها، واكتشاف سرها، للوقوف على كنهها والاستدلال بها على حقائق الغيب، التي أطلعنا الله تعالى عليها .

إن استخدام العقل وتوجيهه نحو وظيفته ، هو وصف للمؤمنين الذين أيقنوا بربهم ، فهم العقلاء الذين ينتفعون بهذه النعمة العظيمة ، ويتدبرون آيات الله بها [2] .

لذا ، أثنى الله على عباده المؤمنين العالمين بأنهم وحدهم الذين ينتفعون بأمثاله التي يضربها وتوجيهاته في النظر الكوني [3]. قال تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)[4] .

قال الشوكاني في فتح القدير : " أي ما يفهمها ويَتَعقَّل الأمر الذي ضربناها لأجله إلا العالمون بالله ، الراسخون في العلم ، المتدبرون المتفكرون لما يُتلى عليهم وما يشاهدونه من خلق الله في السماوات والأرض " [5] .

---

1 – انظر: عبيدات ،**الدلالة العقلية في القرآن**، ص 85

2 – انظر : مكرم ، **الفكر الإسلامي بين العقل والوحي** ، ص 12.

3 – انظر : المرجع السابق ، ص 12.

4 – سورة العنكبوت : آية 43.

5 – الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت– 1250هج) ، **فتح القدير**،5 أجزاء ،بيروت– دار الفكر (204/4). وسيشار إليه لاحقا : الشوكاني ، فتح القدير .

أما الضالون المنحرفون ، فقد نفى عنهم العقل ، لأنهم لا يستخدمونه ولا ينتفعون به، بل حادوا به عن وظيفته ، فاستحقوا بذلك أن يوصفوا بأنهم " كالأنعام " التي لا تعقل ، بل هم أضل سبيلا[1] . قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [2].

فالكفرة الضالون المنحرفون ، لا ينتفعون بما أنعم الله عليهم من نِعَمِ الإدراك ، فهؤلاء الذين ذرأهم لجهنم من خلقه لهم قلوب كغيرهم من البشر ، لكنهم لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ، فيعلموا توحيد ربهم ، فاستحقوا بذلك أن يوصفوا بأنهم لا يفقهون، لأنهم أعرضوا عن الحق ، وتركوا تدبر الآيات . وكذلك لهم أعين لا ينظرون بها آيات الله وأدلته ، فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما يدعوهم إليه رسلهم ، وفساد ما هم مقيمون عليه من الشرك والكفر . فهؤلاء جعلهم الله كالأنعام ثم جعلهم شرا من الأنعام [3].

إن الإنسان متشارك مع سائر الحيوانات في قوى الطبيعة: الغذاء والنمو والولادة ، ومتشارك معها أيضا في منافع الحواس الخمس ، وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر ، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وسائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة

---

1 – انظر : مكرم ، ، **الفكر الإسلامي بين العقل والوحي** ، ص 12.

2 – سورة الأعراف : آية 179.

3 – انظر : الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد (ت–310 هج)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ،30 جزءا ، بيروت–دار الفكر ، 1405 هج، (9 / 132) . وسيشار إليه لاحقا : الطبري ، جامع البيان .

الحق ، فلما أعرض الكفار عن أحوال العقل والفكر ، ومعرفة الحق ، كانوا كالأنعام ، بل هـم أضل ، لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل [1].

المطلب الثاني : أساليب القرآن في الحض على التفكير.

إن التفكر في مخلوقات الله عز وجل ، وتدبر آياته الباهرة ، والتأمل في مظـاهر الكـون وإبداعات الخالق فيه ، هو عبادة من أعظم العبادات التي دعا إليها الإسلام ، فهي تقود الجاحـد إلى الإيمان ، والمؤمن يزداد إيمانا ويقينا . فبالتفكر ينتفع المؤمن والكافر إن هو أراد .

" ولا غناء للعبد عن التفكر والنظر والذكر ، ليَكْثُرَ اعتباره ويزيدَ في علمه ويعلـو فـي الفضل ؛ فمن قلّ تفكره قلّ اعتباره،ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه كثر جهله وبـانَ نَقْصُه، ولم يجد طعم البرّ ،ولا بَرْدَ اليقين ، ولا روح الحكمة " [2]

وإذا كان الأمر كذلك ، " فلا عجب أن نرى القرآن الكريم يحمل بين دفتيه الكريمتين كثيرا من الآيات التي تستحث العقل وتدفعه إلى التدبر في خلق السماوات والأرض بشـتى الأسـاليب والوسائل التي تناسب كل مزاج وحالة روحية ، حتى لا تترك وسيلة من الوسائل إلا سـلكتها ، وذلك لتخرج الناس من بلادة الحس وهمود العادة ورتابة المألوف ، ليروا آيـات ربهـم فـي السماوات والأرض ببصيرة حيّة وقلب شفّاف " [3]

---

[1] - انظر :الرازي ، الفخر ، محمد بن عمر بن الحسن التميمي ، (ت- 606هج) ، **التفسـير الكبيـر** ، (32) جـزءا، ط2،طهران- دار الكتب العلمية ،(64/15).وسيشار إليه لاحقا : الرازي ، التفسير الكبير.

[2] - المحاسبي ، الحارث بن أسد بن عبد الله ،(ت-242 هج) ، **مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**،جزء واحد،بيروت- دارالكندي ودار الفكر، ط2، 1398هج، ص235. وسيشار إليه لاحقا: المحاسبي، مائية العقل

[3] - بدري ، د. مالك ، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود** ،جزء واحد، ط3،القاهرة- دار الوفاء ، 1413هـج - 1993م ، ص 63 . وسيشار إليه لاحقا : بدري ، التفكر من المشاهدة إلى الشهود

ولأن القرآن العظيم لم يتنزّل لطائفة محدودة الزمان أو المكان؛ فإننا نجده قد انتهج أساليب عدة في الحض على التفكير، ودَفْعِ العقل إلى التدبر ، وذلك كي يراعي جميع المستويات الفكرية للبشر .

1- " فتارة يستجيش العقول والقلوب بتذكيرها بآلاء الله ونعمه ، ويكون التفكر والعبرة من خلال الجو الحاني من صفات الرحمة الودودة " [1]

اقرأ قوله تعالى:(وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ *وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ) [2] .

ففي هذه الآية ، نجد أن القرآن الكريم يأخذ بالعقل ، ويستحثه على التفكير ، بأسلوب لطيف وحانٍ ، ويلفت نظره إلى نِعَمٍ عظيمة ، يراها ويلمسها مراتٍ ومراتٍ ، لكنه قد يمرعنها دون اعتبار وتدبر .

يقول الإمام الطبري– رحمه الله – في تفسيره : " ينبه الله خلقه على حججه عليهم في توحيده وأنه لا تنبغي الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه ، ويقول لهم : أيها الناس : معبودكم الذي له العبادة هو الذي أنزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض ، وإن هذا لدليل قاطع، وحجة قوية، على وجوده واستحقاقه للعبادة " [3].

1 – المرجع السابق، ص 63.

2 – سورة النحل : آية (65-66).

3 - الطبري ، ، جامع البيان ، (14/130-131).

2- " وتارة ينقلب الخطاب عنيفا ، مقرونا في بعض الأحيان بالتهديد والوعيد ، وهذه الآيات تكون موجهة لذوي القلوب القاسية، المنكرة الجاحدة، التي تحتاج لمثل هذا الأسلوب الصارم"[1].

والمتتبع لهذه الآيات، يجد أن جُلَّها مصدَّرٌ بالاستفهام الاستنكاري ،الذي يفيد التهديد والوعيد لمن لا يفكر ولا يتدبر ولا يتعظ .

اقرأ قوله تعالى:(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) [2].

وقوله : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا) [3].

وقوله: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً)[4].

وقوله : (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) [5].

يقول الشهيد سيد قطب تعليقا على هذه الآية : " هؤلاء المكذبون بالآخرة يوقظهم بعنف على مشهد كوني، يصور لهم أنه واقع بهم –لو شاء الله–وظلوا في ضلالهم البعيد..

وهو مشهد الأرض تُخْسَفُ بهم، والسماء تَتَساقطُ قطعا عليهم ، وهو مشهد كوني عنيف ، منتزع من مشاهداتهم وترويه القصص أيضا " [6]

---

1 -بدري ، التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، ص 63.

2 – سورة الغاشية : آية (17–18).

3 – سورة الأنبياء : آية (30).

4 – سورة نوح : آية (15).

5 -سورة سبأ : آية (9).

6 -قطب ،سيد ، **في ظلال القرآن**،8 أجزاء ،ط7،بيروت– دار إحياء التراث، 1971م ، (6/ 632). وسيشار إليه لاحقا : قطب ، في ظلال القرآن .

3- وتارة يأتي الحض على التفكير في صورة الثناء الودود على أولى الألباب والعقول[1] ومدح أهل العقل ، واختصاصهم بالخطاب [2]

قال تعالى : (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُــونَ) [3] ، " لأنهم لا يرون في الوجود شيئا إلا وكان لهم فيه عبرة وتذكرة بالله ونعمة لا تحصى ، فهؤلاء يذكرون الله في كل حالــة مــن أحــوالهم النفسية ، وفي كل وضع من أوضاعهم الجسمية "[4] ، قال تعالى: (إِنَّ فِــي خَلْــقِ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ *الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَــى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَــا عَــذَابَ النَّارِ) [5].

4-" وتارة يسلُكُ سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم "[6] ، ولا ينتفعون بهذه النعمة العظيمــة التي منحهم الله إياها . قال تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُــونَ) [7] وقال : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) [8].

فإن الذين يتجاهلون الدلائل والحجج ، وهي تطرق أسماعهم وعقولهم، استحقوا أن يكونوا كالأنعام ، فما من فَرْقٍ بين الإنسان والبهيمة إلا الاستعداد للتدبر والإدراك. والتكليف وفق مــا

---

[1] – انظر: بدري ، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود** ، ص64.

[2] – انظر: عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص87.

[3] – سورة الروم : (28) .

[4] – بدري ، التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، ص64.

[5] – سورة آل عمران : آية (190-191).

[6] – انظر: عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص87.

[7] – سورة الأنفال : آية 22.

[8] – سورة الفرقان : آية 44.

يتدبر ويدرك من الحقائق ،عن بصيرة وقصد وإقناع، ووقوف عند الحجة والاقتناع ، فإذا تجرد الإنسان عن خصائصه هذه ، كان أحط من البهيمة [1].

وهذا الذم البالغ لمن أغفل قلبه وعطل عقله، كفيل بإيقاظ الحس ومراجعة النفس، ليكون الإنسان متعقلا ومتدبرا ،فلا أحد يرضى لنفسه أن يكون هو والبهيمة سواء إلا من فقد إنسانيته .

5- وتارة يلفت القرآن النظر والعقل إلى تدبر آيات الله في الكون باستجاشة الناحية الجمالية الفطرية في الإنسان ، بطريقة تهز المشاعر وتحرك الوجدان ، وذلك بلفتها لجمال الألوان والأصباغ المختلفة الظلال في الأرض ، وما فيها من جمادات وحيوانات وبشر[2]. قال تعالى :(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ*وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[3].

" فهذه لفتة كونية من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب ، لفتة تطوف في الأرض كلها لتتبع فيها الألوان والأصباغ، في كل عوالمها ؛ في الثمرات ، وفي الجبال،وفي الناس ، وفي الدواب " [4]

إن القرآن يلفت الأنظار إلى عنصر الجمال ؛ جمال الطبيعة ، وجمال الحيوان ، وجمال الإنسان ، لتتعدى هذه الأنظار من الاستمتاع بهذا الجمال في مظهره ،إلى التفكر في جوهره ، لإدراك القدرة التي أبدعته وشكلته .قال تعالى :(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا

---

[1] – انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (166/6).
[2] – انظر : بدري ، التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، ص64.
[3] – سورة فاطر: آية (27-28).
[4] – قطب ، ، في ظلال القرآن ، (6/ 697).

تَأْكُلُونَ *وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)[1]. وقال :(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) [2].

6- وتارة يظهر القرآن التعجب الشديد ، والتأفف من تعطيل العقـل [3] ومنعـه عـن القيـام بوظيفته، وحجبه عن البصيرة والنور . قال تعالى :(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [4]. وقال : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [5].

7- ومن الأساليب التي انتهجها القرآن للحض على التفكر، " القسم "؛ فقد أقسم الرحمن -جـل وعلا- ببعض آياته الكونية ، ومخلوقاته في الأرض ، كالضحى والليل والنهار والشمس والتين والزيتون ... وغيرها كثير . وقد اعتبر العلماء أن القسم بهذه المخلوقات هو أعظم دعاية للتفكر فيها وتدبرها [6].

هذه بعض الأساليب التي اتبعها القرآن لحض العقول علـى النظـر والتـدبر . وإن هـذه الأساليب لتؤكد المكانة التي أولاها القرآن للعقل ، وتنبه الإنسان إلـى أن أخـص خصائصـه التفكير والتدبر والفهم ، فلا ينبغي له أن يتنازل عنها بتعطيل عقله ، وإلا فقد تنازل عن إنسانيته

---

1 - سورة النحل : آية (5-6).

2 - سورة السجدة : آية (7).

3 - عبيدات ،، الدلالة العقلية في القرآن ، ص 87.

4 - سورة النساء : آية (82).

5 - سورة يونس : آية (16).

6 - بدري، ، التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، ص 66.

وصار كالأنعام السائمة أو شرا منها [1] . قال تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ)[2].

1 – عبيدات ، الدلالة العقلية في القرآن ،ص (87–88)

2 – سورة الأنفال : آية(22).

المبحث الثاني

دعوة القرآن إلى المجادلة بالتي هي أحسن

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول : مفهوم الجدل في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : الجدل في السياق القرآني .

المطلب الثالث : وجوب المجادلة بالتي هي أحسن .

المبحث الثاني

دعوة القرآن إلى المجادلة بالتي هي احسن

المطلب الأول : مفهوم الجدل في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول : الجدل في اللغة .

الجدال في اللغة هو " المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جَدَلْت الحبل أي أَحْكمتُ فَتله . ومنه الجِدال ، فكأن المُتَجادِلَيْنِ يفتل كل واحد منها الآخر عن رأيه " [1] . وقيل : الأصل في الجدال : " الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجِدالة، وهي الأرض الصلبة " . [2]

" والاسم ، الجَدَل ، وهو شدة الخصومة "[3] واللَّدَدُ فيها والقدرة عليها . وجادله أي خاصمه . ونقول : رجل جَدِلٌ ومِجْدَل ومِجْدال ، أي شديد الجدل والمخاصمة ، إذا كان أقوى في الخصام "[4] . وقيل الجدل هو مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة هي : المناظرة والمخاصمة . والمجادلة هي سورة "قد سمع" لقول الله تعالى في مفتتح السورة :

---

1 - الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ،(ت – 425هج) ، مفردات ألفاظ القرآن ،جزء واحد تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط2، دار القلم والدار الشامية ، 1412هج= 1992م مادة " جدل " ص189. وسيشار إليه لاحقا: الراغب ، المفردات . وانظر : الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، (ت-393هج) ، الصحاح ،7 أجزاء، تحقيق : د. أميل بديع يعقوب و د. محمد نبيل الطريفي ، ط1،بيروت- دار الكتب العلمية ، 1420هج= 1999م " مادة جدل " (4/ 449) . وسيشار إليه لاحقا : الجوهري ، الصحاح .

2 - الراغب ، ، المفردات ، ص 189.

3 - الجوهري ، الصحاح ، (4/ 449) .

4 - ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت-711هج) ، لسان العرب ، 15 جزء ، ط1، دار بيروت ، صادر ، 1410هج= 1990م ، باب اللام فصل الجيم، (11/ 104- 105) .وسيشار إليه لاحقا : ابن منظور ، لسان العرب.

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)[1] وهما يتجادلان في ذلك الأمر[2].

ونخلص من كلام اللغويين في معنى المجادلة، أنها مراجعة الكلام والاسترسال فيه ، بقصد إفحام الخصم وإلزامه بما يريده المجادل .

الفرع الثاني : الجدل في الاصطلاح .

أما الجدل من حيث هو علم، فقد عرفه بعض العلماء بأنه " علم باحث عن الطرق التي يُقْتَدَرُ بها على إبرامٍ وَنَقْض ، وهو من فروع علم النظر "[3] والمقصود إبرام أي وضع أُريد ونَقْضِ أي وضع كان .[4] . بمعنى أن هذا العلم يقتدر به على حفظ أي وضع يريده المجادل، حتى ولو كان باطلا ،وهدم أي وضع يريد هدمه ،حتى ولو كان حقا.

وعرفه آخرون بأنه " حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتجادلين وجهة نظر الآخر ، ويعرض فيه كل طرف منها أدلته، التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر لأدلته" [5]

هذا هو تعريف الجدل عند العلماء . ويظهر في هذه التعريفات أثر المعنى اللغوي للجدل ، فقد سبق أن الجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة ، ولا شك أن كلا المتفاوضين يعرض

---

1 – سورة المجادلة : آية (1).

2 – ابن منظور ، **لسان العرب** ، (11/ 104- 105).

3 – القسطنطيني ، مصطفى بن عبد الله ، (ت- 1067 هج) **كشف الظنون** ، جزءان،بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413هج= 1992 م (1/ 579). وسيشار إليه لاحقا : القسطنطيني، كشف الظنون .

4 – انظر: القنوجي ، صديق بن حسن ، (ت- 1307هج) ، **أبجد العلوم** ،تحقيق عبد الجبار زكار،3 أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1978م (2/ 208).وسيشار إليه لاحقا : القنوجي ، أبجد العلوم .

5 – الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** ،جزء واحد ، ط3 ،دمشق ، دار القلم . 1408هج= 1988م ، ص 361. وسيشار إليه لاحقا : الميداني ، ضوابط المعرفة .

أدلته التي ترجح رأيه وتدعمه ، ويحاول أن يظهر معتقده بأية وسيلة كانت، ليثني صاحبه عن رأيه ،ويفحمه ويلزمه بما يريد .

كما أنه يبدو من التعريفين الأولين، أنهم يعممونه على المجادلة على الحق أو الباطل –وهو الصحيح – ، بينما ظهر في التعريف الأخير قصره على الجدل بالحق ، الذي يهدف للوصول إلى الحقيقة والصواب .

المطلب الثاني : الجدل في السياق القرآني .

إن المتتبع للآيات التي وردت بها لفظة " الجدل " بمشتقاتها ، يجد أنها – في معظم المواضع– جاءت في موضع الذم ، وأنها وصف للكفار الذين يجادلون دائما بالباطل ، ليدحضوا به الحق .

اقرأ قوله تعالى :(**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**)[1] . وقوله : (**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**)[2] . وقوله : (**وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**)[3] وقوله : (**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**)[4] .

إن ما نلمسه من السياق القرآني الذي وردت به لفظة الجدل والمجادلة بمشتقاتها ، أن المجادلة في أصلها مذمومة ، وأنها خلق للكفار وسجية لهم لا تنفك عنهم ، يدفعهم إلى التمسك بها الكبرياء والغرور .

---

[1] – سورة الحج : آية (3).

[2] – سورة الكهف : آية (56).

[3] – سورة الحج : آية (68).

[4] – سورة الكهف : آية (54).

يدلك على ذلك ، أن الآيات التي تأمر المسلمين بالجدل ، وردت مستثناة ومقيدة بأن يكون الجدال بالتي هي أحسن ، وفي هذا إشارة إلى أن الجدل والخوض فيه استثناء في حق المسلم ، لا هـو من خلقه ولا هو من طبعه .

وإننا نجد أن بعض آيات كتاب الله، فيها نهي عن مجادلة أهل الكتاب ، إلا إذا كانت هذه المجادلة بالتي هي أحسن . قال تعالى:(**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)[1].

فالأصل للمسلمين عدم الخوض في جدال أهل الكتاب ، إلا إذا كانت هذه المجادلة بـالتي هـي أحسن ، وفي هذا إشارة إلى أن الجدال في حق المسلم استثناء تقتضيه ضرورة . كما ويمكن لنا أن نلمس من الآية الكريمة ،وعلى ضوء الآيات السابقات التي بينت ، أن الجدل طبيعة المعاندين الجاحدين الكافرين ، والمسلم مأمور بالدعوة إلى دين الله وإيصاله إلى الآخرين ، وكشف حجب الضلال والزيغ عن أبصارهم والرين عن قلوبهم . وبما أن الكافر الجاحد من طبيعته الجـدال، فيمكن للمسلم اللجوء إلى هذا الأسلوب لأجل إلزامه، وإقامة الحجة عليه، ونقض معتقداته وآرائه الزائفة ، وكل ذلك مقيد بأن يكون بالتي هي أحسن ، ومن غير إسراف ومبالغة فيه ، أي بمـا تدعو إليه الحاجة والضرورة .

وفي آية أخرى يقول الله تعالى :(**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)[2] . ففي هذه الآية بين الله تعالى أن هناك طريقين للدعوة ، هما الحكمة والموعظة الحسنة ، وأما الجدال فليس من طرق الدعوة إلى سبيله ، وإنما يقصد منه غرض آخـر وهـو الإلزام والإفحام . يقول الإمام فخر الدين الرازي تعليقا على هذه الآية :" ومن لطائف هذه الآية أنه قال :"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " فقصر الدعوة على هذين القسـمين.

---

[1] - سورة العنكبوت : آية (46).

[2] - سورة النحل : آية (125) .

لأن الدعوة إن كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة ، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة ، وأما الجدل فليس من باب الدعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام ، فلهذا السبب لم يقل " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن " بل قطع الجدل عن باب الدعوة ، تنبيها على أنه لا يُحصّل الدعوة ،وإنما الغرض منه شيء آخر " [1]

فإذا كان الجدل يقصد منه الإلزام والإفحام ، وأنه لا يُحصّل دعوة _ كما يقول الإمام الرازي _ فينبغي إذن أن يقتصر فيه على ما تدعو إليه الحاجة والضرورة ، وأن لا يكون هذا من خلق المسلم وطبعه ، لأن هذه الصفة إذا تجذرت في الإنسان ،فإنها ستودي به في مزالق خطيرة ، لأنها ما من شك ستجعله لا يذعن للحق ولا ينقاد له ، وليس هذا من طبع المسلم ولا من خلقه .

وقد ذم الله في كتابه الذين يكثرون من الجدل والخوض فيه في كل شأن من الشؤون حيث قال :(وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)[2] .

كما حذر الرسول صلى الله عيه وسلم منه ، وبين أنه سبب للضلال بعد الهدى . عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**) [3].

---

1 – الرازي ، التفسير الكبير ، (20/ 139-140).

2 - سورة الكهف : آية (54).

3 - أخرجه الإمام احمد ، احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، (ت241هج) ، **مسند الإمام احمد بن حنبل** ، 6أجزاء مصر– مؤسسة قرطبة ، (5/ 252) حديث (22218) . وسيشار إليه لاحقا :ابن حنبل ،المسند وأخرجه ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت–275هج) ، **سنن ابن ماجة** ،جزءان، كتاب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ، بيروت ، دار الفكر ، (1/ 19) ، حديث (48) وسيشار إليه لاحقا : ابن ماجة ، سنن ابن ماجة . وأخرجه الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى ، (ت – 279هج)، سنن الترمذي " **الجامع الصحيح** " 5أجزاء، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب " ومن سورة الزخرف " ،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (5/ 378) حديث(3253) وقال عنه : " حسن صحيح " . وسيشار إليه لاحقا :الترمذي ، سنن الترمذي . وأخرجه الحاكم ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت –405هج) ، **المستدرك على الصحيحين** ، 4أجزاء، كتاب التفسير ، باب –

ثم رغب في تركه والابتعاد عنه . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من ترك الكذب وهو باطل ، بني له في رَبَض**[•] **الجنة. ومن ترك المراء وهو محق ، بني له في وسطها. ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها**)[1].

وكثرت الآثار التي تحذر منه وتدعو إلى تركه . روي عن مسلم بن يسار [2] أنه كان يقول : (إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته)[3].

المطلب الثالث : وجوب المجادلة بالتي هي أحسن .

سبق أن بين الباحث أن المجادلة ينبغي أن تقتصر على ما تدعو إليه الحاجة والضرورة ،

- تفسير سورة الزخرف ، دار بيروت-الكتب العلمية 1410هج- 1990م (2/ 485) حديث (3674) . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : صحيح . وسيشار إليه لاحقا : الحاكم ، المستدرك

• -**ربض الجنة** :أي ما حولها خارجا عنها.

1 – أخرجه ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ،**المقدمة** ، باب اجتناب البدع والجدل (19/1) حديث (51) . وأخرجه الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المراء ،(4/ 358) حديث (1993) ، وقال عنه : "حديث حسن".

2 – مسلم بن يسار القدوة الفقيه أبو عبد الله البصري ، مولى بني أمية ، وقيل بني تميم من موالي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، قال أحمد بن حنبل : مسلم بن يسار البصري ثقة . وقال ابن عون كان لا يفضل عليه أحد في زمانه. وقال ابن سعد : كان ثقة فاضلا عابدا ورعا توفي مسلم بن يسار في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك سنة 100للهجرة .

. • انظر : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت- 748هج)، **سير أعلام النبلاء** ، 23 جزءا ، تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، ط9 ،بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413هج (510/4) . وسيشار إليه لاحقا : الذهبي ، سير أعلام النبلاء .

وانظر : الرازي ، أبو حاتم ، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ، (ت -327هـج)، **الجرح والتعديل** ، 9أجزاء، ط1،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1271هج- 1952م ، (8/ 198). وسيشار إليه لاحقا : أبو حاتم ، الجرح والتعديل .

3 - هذا الأثر أخرجه الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت-255هج) **سنن الدارمي** ، جزءان، كتاب المقدمة ، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع ، ط1،بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1407هج (120/1) . وسيشار إليه لاحقا : الدارمي ، سنن الدارمي . وأخرجه أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الاصبهان، (ت-430هج) ، **حلية الأولياء** ،10أجزاء ط4، بيروت ،دار الكتاب العربي ، 1405هج(2/ 294). وسيشار إليه لاحقا : أبو نعيم ، حلية الأولياء. وأخرجه ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهر، (ت- 230هج) ، **الطبقات الكبرى** ،9أجزاء ،بيروت، دار صادر ، (7/ 187) . وسيشار إليه لاحقا : ابن سعد ، الطبقات الكبرى

ويفرضه الموقف ، وإلا فعلى المسلم أن يتحاشى الجدل ما استطاع إلى ذلك سبيلا . فالجدل في- الأعم الأغلب- لا يعود بالخير لا على المسلم ولا على الجماعة .

وإذا كان لا بد للمسلم من أن يخوض في الجدل والمجادلة ، فعليه أن تكون مجادلته بالتي أحسن ، سواء أكان جداله مع المسلمين ، أم مع غيرهم من الكافرين .

قال تعالى :(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1].

وقال أيضا :(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[2] .

ففي الآية الأولى يأمر الله تعالى الداعي إلى دينه أن يجادل بالتي هي أحسن عند احتياجه إلى المجادلة والمناظرة ، وأن يكون جداله بالوجه الحسن وبرفق ولين وحسن خطاب [3] .

وفي الآية الثانية، ينبه الله سبحانه وتعالى على ضرورة الجدال بالتي هي أحسن خاصة مع أهل الكتاب _ اليهود والنصارى _، علّهم يثوبون إلى الحق، ويهتدون إلى الصواب .

وللعلماء في تفسير قوله تعالى :" التي هي أحسن " ثلاثة أقوال هي :-

أ_ أي بلا اله إلا الله .

ب_ أي بالقرآن وبالآيات وبالحجج .

ج_ أي باللين والرفق .[4]

وجميع هذه الأقوال صحيحة ، ويمكن الجمع بينها ؛ إذ الداعي يدعو الناس إلى " لا اله إلا الله "، ثم بعد ذلك يستشهد بالقرآن ،وبالآيات والحجج والبراهين الدالة دلالة قطعية على صدق دعواه ،

---

1 - سورة النحل : آية (125).

2 - سورة العنكبوت : آية (46).

3 - انظر: ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، (ت- 774هج) ، **تفسير القرآن العظيم** ، 4 أجزاء ،بيروت ، دار الفكر ، 1401هج (592/2) وسيشار إليه لاحقا : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم .

4 - ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت_597هج) ، **زاد المسير في علم التفسير**،9 أجزاء، ط3 ،بيروت- المكتب الإسلامي، 1404هج ،(275/6). وسيشار إليه لاحقا : ابن الجوزي ، زاد المسير ..

ثم يكون خطابه مع الناس في ذلك كله، باللين والرفق، بعيدا عن الغلظة والفظاظة فـي الكـلام والدعوة .

إن الداعي إلى الله تعالى عليه أن يجادل بالتي هي أحسن ، حتى يطمئن المخالف إليه ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق ، "فالنفس البشـرية لهـا كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تَنْزِلُ عن الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتـى لا تشـعر بالهزيمـة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي، تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها . والجدل بالحسنى هو الذي يكبح جماح هذه الكبرياء والحساسية ، ويجعل المجادل يشعر أن ذاته مصونة وقيمته كريمة ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقـة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر .

إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله ، لا لشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوتـه إلا أنه يؤدي واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ،لا على الدعوة ، ولا على من يهتـدون بـه ، وأجره بعد ذلك على الله " [1].

وعلى الداعي إلى الله أن لا يحزن ، إن لم يستجب له القوم في دعوته ، وأن لا يجهد نفسه في الجدل ، فإن الله -سبحانه وتعالى-أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلـم بالمهتـدين، فـلا ضرورة لِلَّجاجَةِ في الجدل [2].

إن الفظاظة في الكلام، والغلظة في مخاطبة الناس، تجعل الناس ينفرون من دعوة الإنسان ورأيه ، حتى لو كان الحق إلى جانبه كالشمس في رابعة النهار ، لأن الطبع الإنساني يميل إلى

---

[1] – قطب ، ، في ظلال القرآن ، (5/ 292).

[2] – انظر : المرجع السابق، (5/ 292).

الألفة والأنس والقبول لمن يرفق به ، ويلين له في الخطاب ، وينفر عمن يقسو معه في المعاملة أو يُفحش له في الكلام .

لذا ، أثنى الله –سبحانه وتعالى– على نبيه بأنه لم يكن فظا ولا غليظا في تعامله مع الناس. وإن هذا الخلق العظيم الذي كان لشخص النبي صلى الله عليه وسلم ،هو الذي جعل الصحابة –رضي الله عنهم – يأنسون به ،ويألفون مجلسه ، ويلتفون حوله ، ويقبلون منه كل دعوة .قال تعالى :(**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**)[1].

إن الرفق في الدعوة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، هو منهج رسمه الله تعالى في كتابه لكل من أراد الاشتغال بدعوته ، فما من رسول إلا وكان يؤمر بلين القول وحسن الخطاب مع قومه . فها هو يوجه نبييه _ موسى وهارون – عليهما السلام ، أن يلينا ويرفقا في كلامهما مع فرعون حينما بعثهما لدعوته ، حيث قال :(**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**)[2] ، أي عله ينثني عن كبريائه وجبروته ويثوب إلى الحق والهدى .

وفي هذا توجيه لكل من أراد الخوض في الدعوة إلى الله ، والرد على أرباب الشكوك والشبهات ، أن يكون قوله لينا ، وجداله بالحسنى ، بعيدا عن الغلظة والقسوة ، حتى لا يكون جداله معهم سببا لاستمرارهم في الغي والطغيان ، فينقلب عندئذ معول هدم بدل أن يكون معول بناء.

---

[1] – سورة آل عمران ، آية (159).

[2] - سورة طه ، آية (44) .

المبحث الثالث

مفهوم المعرفة وطرق الوصول إليها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم المعرفة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : طرق الوصول إلى المعرفة .

المطلب الثالث : موضوع المعرفة وتكامل الطرق الموصلة إليها في القرآن .

المبحث الثالث

مفهوم المعرفة وطرق الوصول إليها

المطلب الأول : المعرفة بين اللغة والاصطلاح .

أولا : مفهوم المعرفة في اللغة .

المعرفة كلمة مشتقة من الفعل "عرف " ، وهي تأتي في اللغة على معان متعددة :

نقول : عَرَفَه ، يَعْرِفه ، مَعْرِفةً ؛ أي علمه [1].

وقيل : المعرفة ، هي السكون إلى الشيء ، والاطمئنان إليه ، لأن من عرف شيئا اطمأن إليه ، ومن أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه [2] .

وقيل : المعرفة ، هي إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره [3].

والحق،إن هذه المعاني يكمل بعضها الآخر،فلا اختلاف بينها ولا تضاد، بل فيها تكامل وتداخل؛ فإن من تدبر شيئا وتفكر فيه فقد علمه وعرفه، ومن عرف شيئا سكنت إليه نفسه واطمأنت .

ثانيا : مفهوم المعرفة في الاصطلاح . تعددت تعريفات العلماء " للمعرفة " من حيث الاصطلاح

فالجرجاني يعرفها بأنها " إدراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة بجهل، بخلاف العلم "[4] ، ويتضح من تعريفه ، أنه يفرق بين المعرفة والعلم .

---

[1] – انظر : الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط** ، 4 أجزاء ،بيروت المؤسسة العربية للطباعة والنشر، مادة (عرف) ، (178/3) . وسيشار إليه لاحقا : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط .

[2] – انظر : ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت–395هج)، **معجم مقاييس اللغة** ، 6أجزاء، ط2 مصر – مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، 1391هج=1971م ،مادة (عرف) ،(281/4–282). وسيشار إليه لاحقا : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة .

[3] - انظر: الراغب ، **المفردات** ، (560–561).

[4] – الجرجاني ، علي بن محمد ، (ت–816هـج)، **التعريفات** ، جزء واحد ،بيروت –دار الكتب العلمية ، 1416هج=1995م ، ص 221. وسيشار إليه لاحقا : الجرجاني ، التعريفات .

وقيل : المعرفة هي العلم ، بمعنى الإدراك مطلقا ، تصورا كان أم تصديقا[1][2]. ويتضح من هذا التعريف أنه يسوي بين العلم والمعرفة .

وقيل : المعرفة هي الإدراك الذي هو بعد الجهل ، ويعبر عنه بالإدراك المسبوق بالعدم[3].

وقيل : المعرفة هي إدراك الأمر الجزئي أو البسيط مطلقا[4].

هذه تعريفات العلماء القدماء للمعرفة ، أما المحدثين ، فلهم تعريفات مختلفة ، لكنها متقاربة مع تعريفات القدماء.

فقيل : المعرفة هي : " إدراك ما لصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها ، أو للمعاني المجردة سواء أكان لها في غير الذهن وجود أم لا "[5]

وعرفها آخرون بأنها : " المعلومات والأفكار والمفاهيم والتفسيرات اليقينية والأحكام والمدركات الجازمة ، التي نكونها أو نتوصل إليها عن شيء ما ، نتيجة لاستعمال حواسنا أو عقولنا ، أو هما معا ، أو نتيجة لما نتلقاه عن طريق الحدس أو الذوق والعيان المباشر،أو عن طريق الإلهام والكشف ، أو عن طريق ما جاء به الدين ونزل به الوحي الإلهي " [6]. ويتضح من هذا

---

[1] – **التصور** هو : إدراك أي مفرد من مفردات الأشياء أو المعاني ، **والتصديق** : إدراك النسبة بين مفردين فأكثر وهذه النسبة إما موجبة أو سالبة ، أي إما مثبتة أو منفية . انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 18.

[2] – انظر : التهانوي ، محمد بن علي بن محمد ، (ت–1158هج) **كشاف اصطلاحات الفنون** ، 4أجزاء ، ط1،بيروت .دار الكتب العلمية ،1418هج= 1998م (261/3). وسيشار إليه لاحقا : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون

[3] – انظر : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (262/3).

4 – انظر : الأحمد نكري ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول ، دستور العلماء ،4أجزاء ، ط1،بيروت– دار الكتب العلمية ،1421هج=2000م ، (199/3). وسيشار إليه لاحقا : الأحمد نكري ، دستور العلماء .

5 - الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 123.

[6] – الشيباني ، د.عمر التومي ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، جزء واحد ، الدار العربية للكتاب ، 1988م، ص189. وسيشار إليه لاحقا : الشيباني ، فلسفة التربية الإسلامية .

التعريف أنه جمع الطرق التي توصل إلى المعرفة ، وسيأتي الحديث عن هـذا الموضـوع فـي مطلب مستقل من هذا المبحث[1] .

وقيل أيضا في معنى المعرفة : " إنها العلاقات الذهنية الواضحة ، التي تتكون لـدى الإنسـان، بين عقله وبين شيء أو موضوع خارجي ، نتيجة التفاعل الواعي الذي يتم بينـه وبـين العـالم الخارجي المحيط به " [2].

والناظر في بعض التعريفات ، يجد أن من العلماء من لا يفرق بين المعرفة والعلم ، ويبدو ذلك جليا في تعريف من عرفها بأنها " العلم " ، كما سبق قبل قليل . بل إن هذا ما نـص عليـه بعض العلماء حيث قالوا : " إن كل علم للخلق معرفة ، وكل معرفة علم ، وكـل عـالم مـنهم عارف ، وكل عارف منهم عالم " [3].

والحق ، أن ثمة فرق بين العلم والمعرفة ، وهذه التفرقة نلمسها في تعريـف الجرجـاني للمعرفة حيث قال : " ..... وهي بخلاف العلم " [4] ؛ إذ العلم لا يستدعي سبق جهـل ، بخـلاف المعرفة ، فهي مسبوقة بجهل .

والدليل على ما نقول ، أن العلماء يجمعون على عدم جواز القول عن الله تعالى بأنـه عـارف ، بل يجب القول عنه بأنه عالم ، لأن من وصفه ب" العارف " ، يقتضي أنه كان جاهلا ثم عـرف ، وحاشا لله تعالى من ذلك .

---

1 – انظر : ص : 37 وما بعدها من هذا المبحث .

2 – الميداني ، ضوابط المعرفة ، ص123.

3 – اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي ، (ت768هج) ،مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة ، جزء واحد ، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار ، ط1 ،بيروت. دار الجيل 1992م ص 57 .وسيشار إليه لاحقا : اليـافعي : مرهم العلل المعضلة .

4 – انظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص221.

وثمة فرق آخر بين العلم والمعرفة ، إذ العلم بنسبة شيء إلى شيء آخر ، ولهذا يتعدى إلى مفعولين ، بخلاف عَرَفَ ، فإنها وضعت للمفردات ، فنقول : عرفت زيداً[1] وهذا الفرق نلمسه من تعريف تقدم ذكره وهو " أن المعرفة إدراك الأمر الجزئي أو البسيط مطلقا " [2] وهذا يعني أن العلم إدراك الأمر الكلي أو المركب[3].

المطلب الثاني : الطرق الموصلة إلى المعرفة .

وقفنا في المطلب السابق على معنى المعرفة ، وتبين من خلال بعض التعريفات ، أن المعرفة يتم التوصل إليها من خلال قنوات محددة ، ولا يمكن الوصول إلى أي نوع من المعارف إلا عن طريقها . وهذه الطرق ، يمكن حصرها –إجمالا– في خمس قنوات ، ثلاثة منها مسلم بقبول المعرفة عن طريقها[4] ، واثنتان للعلماء عليهما كلام .

أما القنوات المسلم بها فهي : الوحي ، والعقل ، والحس .

وأما غير المسلم بها فهي : الإلهام والحدس .

وفي ما يلي بسط الكلام حول هذا الموضوع ، وبالله التوفيق وعليه التكلان .

طرق الوصول إلى المعرفة :

1– **المعرفة المباشرة.** وتكون هذه المعرفة بالإدراك الحسي ، سواء كان بالحواس

---

[1] – انظر : اليافعي ، مرهم العلل المعضلة ، ص 57. وانظر : حمادة ، د. فاروق ، **دراسة وتحقيق كتاب العلم للإمام أحمد بن شعيب النسائي** ، جزء واحد ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر ، 1413هـ= 1993م ، ص 17. وسيشار إليه لاحقا : حمادة ، دراسة وتحقيق كتاب العلم للإمام النسائي .

[2] – انظر : الأحمد نكري ، **دستور العلماء** ، (199/3).

[3] – انظر : عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص 105 .

[4] – يقصد الباحث ب(التسليم): أي عند علماء ومفكري الإسلام ، لا غيرهم ، فهناك من لا يقر ولا يعترف بكون الوحي وسيلة إلى المعرفة .

الظاهرة أو الباطنة ، ويدخل فيه أيضا المجربات ، وذلك لأن إدراكها يُعتمد في الوصول إليه على ملاحظة الحس [1].

ويطلق البعض على هذا النوع من المعرفة اسم " المعرفة الحسية " ، وهي التي تعتمد في الوصول إليها على ما هو موجود في الواقع الخارجي ، من غير تدخل العقل [2] .

والناظر في القرآن الكريم ، يجد أن الله عز وجل دعا إلى سلوك هذا السبيل للوصول إلى معرفته وشكره . قال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[3] . ثم بين حسرة وندم من لم ينتفع بهذه الحواس التي منحه إياها . قال تعالى :(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[4].

وعلى ذلك ، يمكن القول : إن هذا الطريق للوصول إلى المعرفة قرره القرآن ودعا إليه ، لأنه ما من شك سيقود إلى معرفة حقة .

2- **الاستدلال العقلي** [5] ، بمختلف طرقه الاستنتاجية ، فالعقل له قوانينه الذاتية ، التي عن طريقها يستطيع الوصول إلى معرفة مضمونٌ صحتها – إن أحسن استخدامه– ،

وذلك من خلال الاستنتاج ،والربط ،والقياس ،والاستقراء ،وغيرها من العمليات العقلية [6] .

---

1 - انظر: الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، صراع مع الملاحدة حتى العظم ، جزء واحد ، ط3،(بيروت–دمشق) دار القلم، 1402هج= 1982م ، ص 35 . وسيشار إليه لاحقا : الميداني ، صراع مع الملاحدة

2 – انظر : طعمة ، د. صابر، المعرفة في منهج القرآن ، جزء واحد ،بيروت– دار الجيل ، ص 206. وسيشار إليه لاحقا : طعمة ، المعرفة في منهج القرآن .

3 – النحل : (78).

4 – الملك : (10).

5 – انظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، جزء واحد ، ط2 ،1399هج= 1979م ، ص36. وسيشار إليه لاحقا : الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها .

6 – انظر : الميداني ، **صراع مع الملاحدة** ، ص 35 .

ويعبر بعض العلماء عن هذه المعرفة باسم " المعرفة البرهانية "، وهي الحالة التي لا يــتم فيهــا إدراك أوجه التشابه والاختلاف بين فكرتين مباشرة ، بل يحتاج العقل في هذه العملية إلى توسط فكرة أو أفكار أخرى، تتم بها المعرفة التي تسمى ب" التعقل" [1].

إن هذا الطريق للوصول إلى المعرفة ، حظي باهتمام كبيــر فــي القــرآن ، وقــد ســبق للباحث[2] أن بين الأهمية الكبيرة التي أولاها القرآن للعقل ، والمكانة التي أحله إياها ، ودعوتــه إلى استخدامه وحضه على التفكير بشتى الأساليب والطرق ، كي يتوصل الإنسان بهذا العقــل ، إلى معرفة خالقه ومعبوده من خلال الآثار الدالة عليه.

والقرآن الكريم ذاته ، سلك هذا الطريق – الاستدلال العقلي- في إثبــات عقيــدة الإســلام والغيب، الذي دعا إلى الإيمان به ، وكذا في الرد على شبهات المنكرين وخرافاتهم . والباحــث في هذه الرسالة ، يعالج هذا الموضوع القرآني ؛ إذ يدور هذا البحث حول منهج القرآن في إقامة الأدلة والحجج ، لإثبات عقيدة الإسلام ، ودحض عقيدة الكفر على اختلاف أنواعها ، وكل ذلــك وفق منهج عظيم اختص به القرآن، سيحاول الباحث الكشف عنه إن شاء الله عز وجل .

3- **الخبر الصادق** ، ومن الخبر الصادق الوحي[3] ، فالوحي والخبر الصادق ، كلاهما مصدر من مصادر المعرفة الموثوقة التي يمكن اعتمادها .

" والوحي هو أداة المعرفة في ميدانها الأول –ميدان الغيب – ، حيث يقوم بوظائف ثــلاث ، هي: تقديم أخبار صادقة عن مجاهيل الغيب ، والطلب إلى العقل الاستيقان مــن صــدق هــذه الأخبار ، وإقامة معالم تحدد مسارات العقل والحواس عبر الغيب المجهول ، بغية حفظهــا مــن

---

1 – انظر : طعمة ، **المعرفة في منهج القرآن** ، ص 205.

2 – انظر : ص :11 وما بعدها من هذه الرسالة .

3 – انظر : الميداني ، **صراع مع الملاحدة** ، ص 35.

الجنوح إلى ميادين معرفية وهمية لا وجود لها ، ثم تنقية البشرية من الـوهم والخرافـة التـي أفرزتها المنهجيات المعرفية الخاطئة "[1].

والوحي ، طريق للمعرفة اليقينية ، بدليل العقل وبرهانه ،إذ كل رسول كلفـه الله تعـالى بتبليغ الوحي ، كان يؤيده " بالمعجزة " التي تحمل في طيها دلالة عقلية قاطعـة علـى صـدق الرسول ، وصحة خبره ، واتصاله بربه جل وعلا .

هذا في ما يتعلق بالوحي ، أما الخبر الصادق -كمصدر من مصادر المعرفة فـي الفكـر الإسلامي - ، ففي تقييده بالصادق نفيٌ لقبول أي خبر غير صادق ، فلا يكون الخبر مصـدرا للمعرفة المعتمدة إلا إذا كان صادقا .

ولقد وضع مفكرو الإسلام وعلماؤه منهجية- لم يسبقهم إليها أحد مـن الأمـم- لقبـول الخبـر واعتماده ، وتتمثل هذه المنهجية في قواعد علم مصطلح الحديث ،التي وضعها العلماء ، فإن كان الخبر موافقا لها قُبِل ، وإلا فهو مردود لا قيمة له . وإنك تجد هـذه القواعـد والشـروط فـي مصنفات الحديث والجرح والتعديل، وليس الباحث بصدد الحديث عنها .

4- **الإلهام**[2]. والإلهام هو " ما يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضـروري ، لا يستطيع له دفعا ، ولا يجد فيه شكا"[3]

والإلهام -كمصدر من مصادر المعرفة- ، يجب النظر إليه من زاويتين ؛ فإذا كان ادعاء المعرفة بطريق الإلهام على لسان رسول من الرسل ، فلا شك عندئذ في صدقها وقبولهـا ؛ لأن

---

[1] - الكيلاني ، د. ماجد عرسان ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، جزء واحد ،بيروت- مؤسسة الريان، 1419هـ=1998م ، ص 215. وسيشار إليه لاحقا : الكيلاني ، فلسفة التربية .

[2] - انظر : الشيباني ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، ص 194.

[3] - الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، **مناهل العرفـان فـي علـوم القـرآن** ، أربعـة أجـزاء ،بيـروت- دار الفكـر، 1408هج=1988م ، (64/1). وسيشار إليه لاحقا : الزرقاني ، مناهل العرفان .

الإلهام بالنسبة إلى الرسول ، هو نوع من أنواع الوحي الذي ثبت -بدليل العقل -صدقه ، فقبول المعرفة بهذا الاعتبار مسلم به ، لأنه وحي من الله بلا شك .

وأما إذا كان مدعي معرفة بطريق الإلهام بشرا، فلا يعول على تلك المعرفة ، وهي معرفة غير ملزمة للغير ، لأنه لا يعلم صدقها . يقول ابن حزم : " إن الإلهام دعوى مجردة عن الدليل ، ولو أعطي كل امرئ بدعواه المعراة -عن الدليل- ، لما ثبت حق ، ولا بطل باطل ، وما استقر ملك أحد على مال ... لأنه لا يعجز أحد أن يقول ألهمت أن دم فلان حلال ، وأن ماله مباح لي أخذه ... وقد يقع في النفس وساوس كثيرة لا يجوز أن
تكون حقا ، وأشياء متضادة يكذب بعضها بعضا" [1].

وعلى ذلك ، يتبين خطأ من عد الإلهام -مطلقا- مصدرا من مصادر المعرفة الموثوقة ، كما فعل د. الشيباني في كتابه (فلسفة التربية الإسلامية) ، وذلك عند حديثه عن نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي ، حيث عد الإلهام مصدرا من مصادر المعرفة من غير تقييد بكونه من عند رسول ثبت صدقه[2].

5- **الحدس** [3] ويعبر عن المعرفة التي يتم التوصل إليها من هذا الطريق باسم " المعرفة الحدسية " [4] ، وهذا الطريق أيضا -كسابقه- لا يعول عليه في إدراك المعرفة ، لأن الحدس إن أصاب مرة فقد يخطئ أخرى ، والحدس توهم غير مقطوع به [5] ، وهو دعوى مجردة عن

---

[1] - ابن حزم ، علي بن محمد بن حزم الأندلسي ، (ت- 456هج) ، **الإحكام في أصول الأحكام** ، 8أجزاء ، ط1 القاهرة ، دار الحديث 1404هج(20/1). وسيشار إليه لاحقا : ابن حزم الإحكام .

[2] - سبق ذكر قوله ، انظر : ص : 35 من هذه البحث .

[3] - انظر : الشيباني ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، ص 194.

[4] - انظر : طعمة ، **المعرفة في منهج القرآن** ، ص 205 .

[5] - انظر : الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، (ت-429هج)، **أعلام النبوة** ، جزء واحد ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب العربي، 1978م ، ص 108. وسيشار إليه لاحقا : الماوردي ، **أعلام النبوة** .

الدليل ، ولا يلزم الغير الأخذ به ، وإن كان قد يصلح أن يكون مصدرا للمعرفة للشخص ذاته ، لكنه يبقى معرفة غير مقطوع بصحتها .

ومثل الحدس كذلك ، الرؤية في المنام ، والفراسة ، وما يطلق عليه اسم الإضاءة الفطرية أو الإشراق الروحي . فهذه الأنواع جميعها ، قد تصلح أن تكون مصدرا للمعرفة للشخص ذاته ، ولكنه لا يغنيه في إقامة الحجة على غيره ، إلا إذا كان من الأمور التي يشهد الناس بصدقها .

ومن هذا ، نرى أن بعض الصالحين يدرك بفطرته وإشراقة روحه، ما لا يدركه كثير من علماء الإدراك الحسي والاستنتاجات العقلية[1]. لكنها تبقى معرفة غير ملزمة لغيرهم ، ولا تغني في إقامة حجة .

المطلب الثالث : موضوع المعرفة في القرآن ، وتكامل الطرق الموصلة إليها .

أولا : موضوع المعرفة في القرآن .

إن الناظر في القرآن الكريم ، يجد أن موضوع المعرفة التي حث على التوصل إليها ، وإدراكها بالوسائل والطرق التي سبق بيانها ، هو العقيدة الإسلامية كلها ؛ معرفة الله وصفاته وأفعاله وأسمائه ، والملائكة والجنة والنار والرسالة ، إلى غير ذلك من قضايا الإيمان والعقيدة .

ثم يتفرع عن هذه المعرفة الأساسية ، معرفة النواميس والقوانين التي يقوم عليها هذا الكون ، وهي معرفة توصل إلى معرفة الله عز وجل ، وإفراده بالعبادة .

ثم تأتي قضايا التشريع ، لتكمل المعرفة الأساسية التي دعا إليها القرآن ، وهذه تُعـرّف الناس بالقوانين الصالحة، التي تُصلح حياة البشر ، وتنظم أمورهم وفق المنهج الرباني العظيم الذي خطه الله تعالى للبشرية في كتابه[1].

---

[1] – انظر : الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص (50-51).

وبشكل عام ، نستطيع القول: إن مواضيع المعرفة التي دعا القرآن إليها ، تتمحور حول ثلاث مهمات رئيسة جاء بها القرآن ، وهي: معرفة الله تعالى ، ومعرفة الآخرة ، ومعرفة الصراط المستقيم . فهذه المعارف الثلاث هي الرئيسة ، والباقي توابع لها[2] .

ولا شك أن أعظم معرفة للإنسان ، هي معرفة الله تعالى ، خالقه ومعبوده ، ولا خير في معرفة أو علم إذا لم يهد إلى الحقيقة الأولى في الكون ، وهي معرفة الله سبحانه ، فالقصد من كل المعارف والعلوم في نهاية الأمر هو معرفة الله ، والإقرار بوجوده ووحدانيته .

والقرآن في سبيل ذلك ، وفّى هذه الغاية حقها ، وأفاض في الإبانة عنها ، بما لا يدع أدنى شك يتسرب إليها . وعلى قدر معرفة الإنسان بربه ، تكون خشيته منه ،وطاعته له ،ومحبته ورضاؤه بقضائه وقدره [3] .

ولهذا ، جعل الله تعالى الخشية الحقيقية منه ، مقصورة على العلماء ، الذين عرفوا نواميس الكون والمادة ، فأدركوا من ورائها القوة العظيمة التي أبدعتها ، وسيرتها ، فعرفوا عظمة خالق هذا الكون ومبدعه ، فخشوه حق خشيته . قال تعالى :(**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**)[4].

ولأهمية هذه المعرفة ، وأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء العقيدة والإيمان ، قرر جمهور العلماء حرمة التقليد في هذه القضية ، وأوجبوا على كل مسلم مكلف عاقل ، أن يعرف ربه جل شأنه ، ويقر به [5] ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه

---

[1] – انظر : عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص 106.

[2] – انظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، (ت–505هج)، **جواهر القرآن** ، جزء واحد ، تحقيق : محمد القباني ، ط1 ،بيروت– دار إحياء العلوم ، 1985م ، ص 78. وسيشار إليه لاحقا : الغزالي،جواهر القرآن.

[3] – انظر : الشيباني ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، ص 192–193.

[4] – فاطر : (28).

[5] – انظر : البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (ت–458هج) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، جزء واحد ، ط1 ، بيروت– دار الآفاق الجديدة ، 1401هج ،ص 35 . وسيشار إليه لاحقا : البيهقي ، الاعتقاد والهداية .

وسلم:(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)[1] . وقـال لـه ولأمتـه :(فَـاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ مَـوْلاكُمْ)[2].

وقال:(فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[3].

فهذه الآيات وغيرها ، يستفاد منها وجوب معرفة الله على كل عاقل بالغ مكلف .

ثانيا : تكامل الطرق الموصلة إلى المعرفة في القرآن .

" عملية البحث عن المعرفة والوصول إليها ، عملية تتعاون فيها وسائل الحس ، الظـاهرة والباطنة ، والأدوات والآلات التي تستخدمها الحواس ، وموازين العقل الفطريـة والمكتسـبة ، ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه أو تلقاها عن غيره ، مما اكتسبه الآخرون مـن معـارف ، يضاف إلى ذلك ، ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوما يقينية شـبيهة بـالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون بحواسهم " [4] .

وقد تعرض الباحث لهذه القضية في المبحث الأول من هذا الفصل [5] ، حيث بين هناك أن ثمـة علاقة تكاملية بين العقل والوحي ؛ لأن العقل لا بد له من وحي يوجهه للسير في طريق مـأمون ، لئلا يضل ويتيه ، والوحي لابد له من عقل يدركه، ويفهمه، ويثبته. فلا قيمة للعقل مـن غيـر الوحي ، ولا ينفع الوحي غير ذي العقل .

وأما الحواس ، كالسمع والبصر ، فهي أيضا لا قيمة لها في الوصول إلى المعرفة ، إن لـم يكن هنالك عقل ؛ لأن الحواس التي لا تصحبها قدرات عقلية ناضجة لا تسـتفيد ممـا تـراه أو

---

1 - محمد : (19).

2 - الأنفال : (40)

3- هود : (14).

4- الميداني ، ضوابط المعرفة ، ص 126

5 - انظر : ص:11 من هذه البحث .

تسمعه أو تحس به [1] ، قال تعالى :(لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُون)[2].

فأنت هنا، ترى أن القرآن ربط بدوره بين هذه الطرق ، فمن جهة الربط بين العقل والوحي ، فإنه يأمر العقل بتدبر القرآن الذي هو وحي ، ليتوصل إلى حقيقة مصدره . قال تعالى:(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[3]. وكذلك نجده ربط بين العقل والحواس الإدراكية التي زود الله تعالى بها البشر . قال تعالى :(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولا)[4][5].

والقرآن الكريم عندما ربط بين السمع والبصر- كوسيلة من وسائل المعرفة- وبين الفؤاد، فإنه يقر باشتراك العقل مع الحواس ، فندرك الأشياء الخارجية بحواسنا ،ثم نستنبط بعقولنا فتتم لنا المعرفة بما أدركنا وما جربنا ، وهذا ما دل عليه القرآن ، حيث ذكر الحواس أولا ثم أتبعها بذكر العقل [6].

---

[1] - انظر : الكيلاني ، **فلسفة التربية** ، ص 257 .

[2] - الأعراف : (179).

[3] - النساء : (82).

[4] - الإسراء : (36).

[5] - انظر : عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص 117-118.

[6] - انظر: المرجع السابق :ص 117.

الفصل الأول

الدليل والاستدلال في القرآن .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الدليل في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : أنواع الأدلة في القرآن .

المبحث الثالث : خصائص الأدلة القرآنية .

المبحث الرابع : الاستدلال وأنواعه في القرآن .

المبحث الأول

مفهوم الدليل في اللغة والاصطلاح

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول:مفهوم الدليل في اللغة.

المطلب الثاني : مفهوم الدليل في الاصطلاح .

المبحث الأول

مفهوم الدليل في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم الدليل في اللغة.

يطلق الدليل عند اللغويين على عدة معانٍ:

قال ابن فارس : "الدال واللام أصلان : أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها . والآخر اضطراب في الشيء.

فالأول : قولهم:" دَلَلْتُ فلانا على الطريق. والدليل :الأمارة في الشيء "[1]

وقيل : الدليل هو المرشد إلى المطلوب.

وقيل : هو العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول .ومنه سمي الدخان دليلا على النار [2]، لأنه علامة تكشف عن وجودها.

وقد يسمى الدالُّ والدليل " دِلالة "، والدلالة هي مصدر، وهي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى، وتكون تسمية الدال والدليل " الدلالة " من باب تسمية الشيء بمصدره[3]

وقد يطلق الدليل على الحجة والبرهان[4] ، لكن بعض العلماء فرق بين الدليل والحجة فقالوا أن

---

1 – انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (دل) ، (259/2-260).

2 – انظر : الكفوي ، أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسين ، (ت- 1094هج) ، الكليات ، جزء واحد ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، 1419هج- 1998م ، ص 439. وسيشار إليه لاحقا : الكفوي ، الكليات .

3 – انظر : الراغب ، المفردات ، مادة (دل) ، ص 316.

4 – انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (282/2) .

الدليل ما دل على صوابك، والحجة ما دفع عنك قول مخالفك[1].

ومصدر الدليل ، "دلالة "، والجمع أدلة وأدلاء[2] . وهذا المشهور عند عامة اللغة.

وبالنظر إلى المعاني التي ذكرها اللغويون للدليل ، نجد أن جمعيها يصب في معنى واحد للدليل ، وهو إظهار أمر خفي، وكشفه وبيانه والدلالة عليه،وقد يكون هذا الأمر مطلوبا في نفس المستدل ، وقد لا يكون مطلوبا ، وقد يكون بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد . كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي قال **تعالى** :

(**مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**)[3][4] ، فهذه الدابة حينما أكلت العصا، لم تكن تقصد الدلالة على موت سليمان ، وإن كان الله تعالى هو الذي سيرها.

المطلب الثاني : الدليل في الاصطلاح.

اختلفت عبارة العلماء حول المعنى الاصطلاحي للدليل ، وذلك تبعا للعلم الذي يختصون فيه. وإليك تفصيل لذلك .

أولا :الدليل عند الأصوليين والفقهاء.

من خلال النظر في تعريفات الأصوليين لمفهوم الدليل ،نجد أن ثمة مسلكين للأصوليين في معناه ، الأول : يخص اسم الدليل بما يوصل إلى العلم ، ظنا كان أم يقينا، والثاني : يخص اسم الدليل بما يوصل إلى علم قطعي ، وما عداه لا يسمى دليلا.

---

[1] – انظر : الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله ، (ت–794هج) ، **البحر المحيط في أصول الفقه** ، 4أجزاء ، ط1،بيروت– دار الكتب العلمية ، 1421هج–2000م ، (25/1).وسيشار إليه لاحقا : الزركشي البحر المحيط في أصول الفقه .

[2] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، (249/11).

[3] – سبأ : (14).

[4] – انظر : الراغب ، **المفردات** ، ص 316–317.

قال الآمدي في الإحكام عن معنى الدليل في اصطلاح الأصوليين : " وأما حده على العرف الأصولي فهو ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبري " [1] ، ثم صرح أن الأصوليين يفرقون بين ما أوصل إلى العلم ، وما أوصل إلى الظن ، وبيّن أن الأصوليين يخصون اسم الدليل بما أوصل إلى العلم ، وأما ما أوصل إلى الظن فهو الأمارة عندهم[2]. وهذا ما ذهب إليه أيضا صاحب المحصول في معنى الدليل حيث قال : " وأما الدليل فهو الذي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم ، وأما الأمارة فهي التي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيها إلى الظن"[3].

لكن معظم الأصوليين يطلق الدليل على الأعم من ذلك ، ليشمل الدليل عندهم مطلق العلم ، يقينا كان أم ظنا[4].قال الزركشي في البحر[5]: " الدليل في الاصطلاح هو الموصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب " ، ثم نقل قولا عن القاضي أبي زيد الدبوسي[6] "وسواء أوجب علم اليقين أو

---

[1] – انظر : الآمدي ، **الإحكام** ، (28/1). وانظر : التهانوي ، محمد بن علي بن محمد (ت-1158هـ) ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، 4 أجزاء، ط1،بيروت ، دار الكتب العلمية. 1418هج-1998م ، (127/2) . وسيشار إليه لاحقا : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون .

[2] – انظر : الآمدي ، **الإحكام** ، (27/1).

[3] – الرازي ، الفخر ، محمد بن عمر بن الحسين ، (ت- 606هج) ، **المحصول** ، جزءان ، ط1، الناشر : -الرياض ،جامعة الإمام محمد بن سعود ، 1400هج ، (106/1).وسيشار إليه لاحقا : الرازي ، المحصول .

[4] – يقصد بالظن : الظن الراجح، لا المرجوح الذي لا يفيد علما ،ولا يعتد به، لا في العقائد ولا في الأحكام .

[5] – انظر : الزركشي ، **البحر المحيط في أصول الفقه** ، (26/1).

[6] – **القاضي أبي زيد الدبوسي** هو : أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي ، حنفي المذهب ، وكان من كبار أصحاب أبي حنيفة -رضي الله عنه- ، ممن يضرب به المثل ، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود ، له كتاب (الأسرار) ، وكتاب(تقويم الأدلة في الأصول) ، توفي بمدينة بخارى سنة 430هج .انظر : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت- 681هج ، **وفيات الأعيان** ، 4أجزاء ، تحقيق : د. إحسان عباس ،بيروت ، دار صادر. 1397هج- 1977م ، (48/3). وسيشار إليه لاحقا : ابن خلكان ، وفيات الأعيان . وانظر : الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، 8أجزاء ، ط6،بيروت ، دار العلم للملايين. 1984م ، (109/2) . وسيشار إليه لاحقا : الزركلي ، الأعلام .

دونه " ([1])وهذا ما ذهب إليه ابن قدامة المقدسي في روضة الناظر حيث قال: " الدليل هـو مـا يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن " ([2]) . وقد اعترض الزركشي على الآمدي وغيره ، ممن قال : إن الأصوليين يفرقون بين ما يوصل إلى العلم وما يوصل إلى الظن ، وإن ما أوصل إلى العلم فهو الدليل ، وما أوصل إلى الظن فهو الأمارة . فبعـد أن أورد الزركشـي تعريـف المتكلمين للدليل ،وبين أنهم يخصون اسم الدليل بما أوجب القطع ، قال: "وزعم الآمدي أنه-أي ما ذهب إليه المتكلمون-اصطلاح الأصوليين ، وليس كذلك ، بل المصنفون في أصول الفقـه ، يطلقون الدليل على الأعم من ذلك" .[3] يعني أنهم يطلقون اسم الدليل على ما أوجب القطـع أو الظن ، فهما سواء.

والحق ، أن الزركشي كان صائبا في رأيه ،فالناظر في كتب الأصول وتعريفـات الأصـوليين للدليل ، يجد أن السواد الأعظم منهم يَنْحُو نَحْوَه في إطلاق اسم الدليل على العلم مطلقا ، سواء أفاد ظنا أم قطعا . وهذا ما بينه التهانوي في الكشاف حيث قال:"وعند الأصوليين لـه معنيـان: أحدهما أعم من الثاني مطلقا ، فالأول الأعم : ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري ، وهو يشمل القطعي والظني ، وهذا هو المعنى المعتبر عند الأكثر" [4].

أما الفقهاء ، فيطلقون اسم الدليل على ما فيه دلالة وإرشاد سواء كان موصلا إلى علـم أو ظن[5] ، وهذا متفق عليه عند عامة الفقهاء .

1- انظر : الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (26/1).

2 – انظر : المقدسي ، ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ، (ت– 620هج) ، روضة الناظر ، جزء واحـد ، ط2 ، الناشـر : الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود. 1399هج ، ص 184.

3 – انظر : الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (26/1) .

4 – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (127/2) .

5 – انظر : الآمدي ، الإحكام ، (27/1) .

ثانيا:الدليل عند المتكلمين .

يتقارب المتكلمون مع الأصوليين في فهمهم لمعنى الدليل ، غير أن المتكلمين يخصون اسم الدليل بما أوجب علما ، أما ما أوجب ظنا فهو الأمارة في اصطلاحهم . وقد سبق أن بين الباحث فيما تقدم [1] أن هذا مذهب بعض الأصوليين أيضا .

قال السبكي في رفع الحاجب عن الدليل عند المكلمين:"هو ما يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم به " [2] . قال صاحب التمهيد: " وهذا باطل لأن أهل العربية لا يفرقون بين الذي يوجب العلم ، وبين الذي يغلب عليه الظن ، لأنهم سموا كل واحد منها دليلا ، ولأنه يوجب العمل ، فكان دليلا كالذي يوجب العلم" [3].

ثالثا : الدليل عند المناطقة.

يعرف المناطقة الدليل بأنه " قولان فصاعدا يكون عنهما قول آخر" [4] ويعبر عنه آخرون بأنه:" الموصل إلى التصديق قياسا كان أو تمثيلا أو استقراء"[5] .

والمراد ب(قولان)-في التعريف الأول-"أي قضيتان فصاعدا ، ينتج عنهما قول آخر. ويؤخذ من (فصاعدا)-على حد تعبيرهم-أن النتيجة التي يتم التوصل إليها قد تكون من مقدمتين أو ثلاثة أو أكثر".[6]

---

1 – انظر : ص: 49 من هذا المبحث .

2 – السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، (ت-771هج) ، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، 4 أجزاء ، تحقيق : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط1بيروت .عالم الكتب ، 1419هج- 1999م ، (252/1). وسيشار إليه لاحقا : السبكي ، رفع الحاجب .

3 – أبو الخطاب الكلوذاني محفوظ بن أحمد بن الحسن ، (ت-510هج) ، التمهيد في أصول الفقه ، 4أجزاء، تحقيق : د.مفيد أبو عمشة ،جدة، دار المدني .ط1 ،1406هج-1985م (61/1).

4 – السبكي ، رفع الحاجب ، (253/1).

5 – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (2/ 129) .

6 – السبكي ، رفع الحاجب ، (253/1).

وهناك تعريفات أخرى للدليل كمصطلح شرعي، منها ما ذكره الشوكاني في إرشاد الفحول حيث قال: " الدليل هو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول ".

وذكر تعريفا آخر له وهو" ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[1].

ويبدو في هذين التعريفين تقاربا مع تعريف المناطقة للدليل .

وتعريف آخر ذكره السرخسي في الأصول:"هو اسم لحجة منطق يظهر به ما كان خفيا "[2].

هذه تعريفات اللغويين والأصوليين والمتكلمين والمناطقة لمعنى الدليل ، ويتضح لنا من خـلال النظر فيها اجتماع عبارة العلماء عند الغاية الرئيسة من الدليل ،[3]والمحور الذي يتمركز حوله ، ألا وهو إظهار ما كان خفيا ، أو ما يتوصل عن طريقة إلى معرفة شيء ما ، وهي متوافقة مع الأصل الأول الذي ذكره ابن فارس حيث قال : " الدال واللام أصلان :

الأول : إبانة الشيء بأمارة تتعلمها "[4] .

" وكذلك مفهوم الأدلة القرآنية ، فهي لغاية رئيسة واضحة ، هي الرد على الشبهات والشـكوك التي أثارها المنحرفون في الاعتقاد ، في شتى العصور والأمكنة من جهة ، ومن جهة أخرى ، فهي لإثبات قضايا الاعتقاد وترسيخها في الأذهان بشكل يقيني يصعب معه التحول بعد ذلك عن هذه المعتقدات ، أو بيان ما عجزت الأدلة العقلية عن بيانه كأحوال الجنة والنار واليوم الآخر"[5] وسيأتي الحديث في المبحث اللاحق عن أنواع الأدلة القرآنية وخصائصها ، إن شاء المولى جل وعلا .

---

[1] – الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد ، (ت– 1250هج) ، **إرشاد الفحول** ، جزء واحد ، تحقيق : محمد سعيد البدري ، ط1،بيروت – دار الفكر ، 1412=1992م، ص21. وسيشار إليه لاحقا: الشوكاني: إرشاد الفحول.

[2] – السرخسي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ،(ت– 490هج) ، **أصول السرخسي**، جزءان ، تحقيق : أبو الوفـا الأفغاني ،بيروت– دار المعرفة ، 1372هج ، (1/ 278).

[3] – انظر :العمري، محمد نبيل، *الأدلة القرآنية : خصائصها ومميزاتها*، **مجلة دراسات–الجامعة الأردنية ، علوم الشريعة والقانون** ،العدد2، 2000م / ص 484.

[4] – انظر : ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، (259/2) .

[5] – انظر :العمري، محمد نبيل، *الأدلة القرآنية : خصائصها ومميزاتها*، **مجلة دراسات–الجامعة الأردنية ، علوم الشريعة والقانون** ،العدد2، 2000م / ص 484.

المبحث الثاني

أقسام الدليل وأنواعه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام الدليل عند العلماء.

المطلب الثاني : أقسام الدليل في القرآن .

المبحث الثاني

أقسام الدليل وأنواعه

المطلب الأول : أقسام الدليل عند العلماء .

عند الحديث عن أنواع الدليل وأقسامه لا بد لنا من النظر إليه من زوايا مختلفة ، فكل منهـا يشير إلى قسمة خاصة تختلف عن الأخرى . ويمكن حصرها في ثلاثة جوانب :-

الجانب الأول : أقسام الدليل من حيث المادة .

الجانب الثاني : أقسام الدليل من حيث الدلالة .

الجانب الثالث : أقسام الدليل من حيث الموضوع [1]

وإليك تفصيل لذلك .

الجانب الأول : أقسام الدليل من حيث المادة .

يقسم العلماء الدليل من حيث المادة إلى ثلاثة أقسام [2]:

الأول : نقلي محض . والثاني : عقلي محض . والثالث : المركب منهما .

أما الدليل النقلي المحض؛ فهو الدليل الذي يكون بجميع مقدماته نقليا ، قريبة كانت هذه المقدمات أم بعيدة [3]. ويعبر بعض العلماء عن هذا النوع من الأدلة باسم " الدليل السمعي"[4] ، وهو اللفظي المسموع لأنه يتلقى بالسمع . وهذا النوع من الأدلة لا يتصور، ولا بد من صدق الخبـر

---

[1] -) انظر :العمري، محمد نبيل، *الأدلة القرآنية : خصائصها ومميزاتها*، **مجلة دراسات-الجامعة الأردنية ، علوم الشريعة والقانون** ،العدد2، 2000م / ص485-487.

[2] - انظر : الآمدي ، الإحكام ، (28/1).

[3] - انظر : الإيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، (ت-756هج)، المواقف، جزء واحد ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، ط1،بيروت- دار الجيل ، 1997م ، ص 203. وسيشار إليه لاحقا : الإيجي ، المواقف. وانظر : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (133/2).

[4] - انظر : الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (27/1).

به حتى يفيد العلم بالمدلول . ولكنه في نفس الوقت لا يثبت إلا بالعقل [1] لأن العقل هـو الـذي يثبت صدق المخبر أو عدم صدقه .

ومن الأمثلة على الأدلة النقلية قولنا : تارك المأمور به عـاص ، لقولـه تعـالى:(أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)[2] وكل عاص يستحق العقاب لقوله : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ)[3][4].

والنوع الثاني من أنواع الأدلة في هذا الجانب : هو الدليل العقلي .

والدليل العقلي عند الأصوليين هو "الذي يقتضي النظر التام فيه إلى العلم بالمدلولات"[5]

أما المتكلمون فيعرفون الدليل العقلي بأنه " الذي تكون جميع مقدماته عقلية ، قريبة كانت هـذه المقدمات أم بعيدة "[6].

وهذه الأدلة تدل على المطلوب بنفسها ، ويستدل بها مع قطع النظر عن كونها جعلت دليلا فلو أخذنا مثلا : المخلوقات التي خلقها الله قد يكون الله تعالى جعلها دليلا .

على وجوده ، لكنها تدل بنفسها على وجوده بقطع النظر عن كون الله تعالى قد جعلها دليلا [7].

ومن الأمثلة على الأدلة العقلية المحضة ، قولنا في الدلالة على حدوث العالم : العالم مؤلـف ، وكل مؤلف حادث ، فيلزم عنه " العالم حادث "[8] ونلحظ في هذا المثال أن جميع المقدمات التي ساقت إلى النتيجة كانت كلها عقلية محضة .

---

[1] – انظر : الإيجي ، المواقف ، ص 203.

[2] – طه : (93).

3 – الجن : (23).

[4] انظر: الإيجي ، المواقف ، ص 204.

[5] – الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (27/1).

[6] – الإيجي ، المواقف ،ص 203. وانظر : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (133/2).

[7] – انظر : ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، (ت 728هج)، النبوات ، جزء واحد ،القاهرة ، المطبعة السلفية 1386هج ،ص191. وسيشار إليه لاحقا : ابن تيمية ، النبوات .

8 – الأمدي ، الإحكام ، (28/1).

ويمكن تقسيم الأدلة العقلية إلى قسمين : البدائه[1] ، وهي التي يمكننا استفادة المطلوب منها من غير احتياج إلى عناء تدبر وتفكير . ونوع ثانٍ لا بد فيه من فَرْطِ التأمل والتدبر للعلم بالمطلوب وإدراكه [2] .

أما النوع الثالث من أنواع الأدلة من حيث المادة، وهو **الدليل المركب** ، أي المركب من النقلي والعقلي . والدليل المركب هو الذي تكون بعض مقدماته عقلية وبعضها نقلية . وقد ذكر صاحب كتاب المواقف أن المتكلمين يطلقون عليه اسم الدليل " النقلي" لتوقفه على النقل في الجملة . ثم بين أن الدليل –بهذا الاعتبار–ينقسم إلى قسمين هما : العقلي المحض، والمركب من النقلي والعقلي . ولكنه عاد واستدرك بعد أن ساق مثالا على كل نوع من أنواع الأدلة عنده وقال: " فلا بأس أن يسمى هذا القسم الأخير بالمركب من النقلي والعقلي" [3].

والمتكلمون إنما يعدون الدليل النقلي من نوع المركب، على اعتبار أنه ما من دليل إلا ويحتاج إلى النظر العقلي فيه .

ومن الأمثلة على الأدلة المركبة قولنا : هذا تارك المأمور به وكل تارك للمأمور به عاص . فهذا الدليل بعض مقدماته كانت نقلية وبعضها عقلية ، فأصبح مركبا من الأمرين معا [4].

أما ابن تيمية فقد مال إلى تقسيم يختلف قليلا عما سبق بيانه ، حيث بين أن "الدليل" –الذي هو الآية أو العلامة– ينقسم إلى ما يدل بنفسه، والى ما يدل بدلالة الدال "[5] . ثم وضح أن الأدلة

---

1 – البدائه : جمع بديهة ، وفلان صاحب بديهة : يصيب الرأي أول ما يفاجأ بالأمر. انظر : **اللسان (475/13)**

2 – انظر : الجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، (ت 478هج)، **البرهان في أصول الفقه** ، 3 أجزاء: تحقيق:د.عبد العظيم محمود الديب ، ط4 ، المنصورة، دار الوفاء ، 1418هج ، (121/1) . وسيشار إليه لاحقا الجويني : البرهان في أصول الفقه

3 – انظر : **الإيجي ، المواقف** ،ص 204.

4 – انظر : الإيجي ، **المواقف** ، ص 204.

5 – **ابن تيمية ، النبوات** ، ص 191.

التي تدل بنفسها قد تسمى الأدلة العقلية ، ويسمى النوع الثاني الأدلة الوضعية ، لكونها إنما دلت بوضع واضع[1] .

وهو على ذلك يقسم الدليل إلى قسمين : عقلي ، ووضعي . بل إنه يرى أن الدليل الوضعي يمكن عده دليلا عقليا إذا نظر فيه العقل ، ويبقى الفرق بينهما –أقصد العقلي والوضعي– عنده أن العقلية تدل بنفسها ، والوضعية تدل بقصد الدال .

الجانب الثاني : الدليل من حيث الدلالة .

يقصد بهذا الجانب ما يؤول إليه الدليل من العلم ؛ فالدليل إما أن يكون مفيدا للعلم الجازم أو الظني .

وعلى ذلك يمكن تقسيم الدليل بهذا الاعتبار إلى قسمين : الدليل القطعي ، والدليل الظني.

والدليل القطعي هو الذي يفيد علما قاطعا جازما ، ولا يتطرق إليه أدنى شك أو احتمال . أما الدليل الظني ، فهو الذي يتطرق إليه الاحتمال والشك .

وكل من الأدلة العقلية والنقلية من الممكن أن تكون قطعية أو ظنية . فالدليل العقلي يكون قطعيا إذا كانت جميع مقدماته التي بني عليها قطعية ، وظنيا إذا كانت إحدى مقدماته ظنية. وكذا الدليل النقلي ، يكون قطعيا إذا ثبت بدليل متواتر ، وظنيا إذا ثبت نقله بما دون حد التواتر .

قال الزركشي في البحر : " وقد اختلف العلماء في الدلائل النقلية ، هل هي مفيدة لليقين أم لا ، على ثلاثة أقوال :–

---

1 – ابن تيمية ، النبوات ، ص 191.

الأول : أنها تفيد القطع ، والثاني : أنها لا تفيد القطع ، والثالث : أنها تفيد القطع إن اقترنت بالدليل قرائن مشاهدة أو معقولة كالتواتر"[1] . وهذا ما يترجح لدى العقل ، وهو ما رجحه التهانوي حيث قال : " اختلفوا في إفادة الأدلة النقلية اليقين ، فقيل : لا تفيد –وهو مذهب المعتزلة والأشاعرة – ، وقيل : قد تفيد بقرائن مشاهدة من المنقول عنه أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات وهذا هو الحق "[2].

الجانب الثالث : الدليل من حيث الموضوع .

بالنظر إلى تعريفات العلماء للدليل ،نجد أن موضوع الدليل يختلف من فئة إلى فئة؛ فالأصوليون يختلف موضوع الدليل عندهم عن المتكلمين ،والمتكلمون يختلف موضوع الدليل عندهم عن المناطقة [3] ، حتى في العلوم التجريبية مثلا، وجدنا موضوع الدليل عند الأطباء عبارة عن علامة يهتدي بها الطبيب إلى المرض الذي يعانيه المريض . وهكذا ، فموضوع الدليل يتنوع بتنوع العلم الذي يبحث فيه الدليل .

وكذلك الأمر موضوع الأدلة القرآنية ؛ فالأدلة القرآنية موضوعها إقامة الحجج والبراهين العقلية على أهل الشرك والكفر ، وأرباب الشبهات والشكوك، لدحض عقائدهم الزائفة الباطلة ، وإثبات عقيدة الإسلام . فموضوعها إذن هو الإلزام والإفحام إذا نظرنا إليها من هذه الزاوية .

المطلب الثاني : أقسام الدليل في القرآن .

---

[1] – الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (28/1-29).

[2] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (134/2).

[3] – انظر :العمري، محمد نبيل، *الأدلة القرآنية : خصائصها ومميزاتها*، مجلة دراسات–الجامعة الأردنية ، علوم الشريعة والقانون ،العدد2، 2000م / ص487.

لقد احتوى القرآن على جميع أنواع الأدلة ، " وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين"[1] .

وقد ميز العلماء بين نوعين من الأدلة القرآنية .

النوع الأول : الأدلة البرهانية .

ويقصد بهذا النوع الأدلة التي سيقت لتقرير قضية من القضايا الغيبيـــة " علـــى طريقـــة البرهان العقلي ، فيستدل على المطلوب الذي جعل دليلا عليه . وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين ، وهو في أول الأمر موضوع لذلك " [2] . ويدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها . والقرآن مملوء من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة علـــى ربوبيتـــه ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته . وقد بين الله تعالى في كتابه العظيم من البـــراهين الدالة على صدقه وصدق نبيه ما فيه هدى وشفاء وإقناع لكل ذي لب حكيم [3]. بل إنك لا تجـــد كتابا تضمن من البراهين والأدلة العقلية على هذه المطالب مثل ما تضمنه القرآن الكريم . وفيه من جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة[4]التي تقيم الحجة على كل منكر أو جاحد أو شاك .

والناس أمام هذه الأدلة صنفان : صنف حكّم عقله فاستسلم وانقاد ، وصنف عزل

---

[1] – الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله ، (ت–794هج) ، **البرهان في علوم القرآن** ، 4أجزاء ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،بيروت– دار المعرفة ، 1391هج (24/2) . وسيشار إليه لاحقا : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن .

[2] – الشاطبي ، إبراهيم بن موسى ، (ت–790هج) ، **الموافقات في أصول الشريعة**، 4أجزاء ،ط2 ،بيروت– دار المعرفة، 1395هج=1975م ، (52/3) . وسيشار إليه لاحقا : الشاطبي ، الموافقات .

[3] – انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، (ت –751هج)، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، 4أجزاء تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، ط3 ، الرياض– دار العاصمة ، 1418هج=1998م (793/2). وسيشار إليه لاحقا : ابن القيم : الصواعق المرسلة

[4] – انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، (ت751هج) ، **ارشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة** ، جزء واحد ، تحقيق : أيمن عبد الرزاق الشوا ،ط1،بيروت– دار الفكر المعاصر ، 1417هج=1996م ، ص 68. وسيشار إليه لاحقا : ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة

عقله فعاند وجحد ، فخسر الدنيا والآخرة .

والأمثلة على هذا الضرب من الأدلة كثيرة . اقرأ قوله تعالى في تقرير الدليل العقلي للوحدانية: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)[1]. وقوله تعالى في تقرير الدليل العقلي لنسبة القرآن إليه ونفيه أن يكون من عند غيره :(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[2] . وقوله في تقرير الدليل العقلي لقضية الخلق والإعادة : (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)[3] . ومنها أيضا المناظرات العقلية التي أوردها الله تعالى على لسان أنبيائه ، كالمناظرة التي جرت بين إبراهيم عليه السلام والنمرود .(قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)[4] . وغيرها كثير .

وهذا الضرب من الأدلة القرآنية يستدل به على المُوالِف في النِّحلةِ والمخالف فيها ، لأنه أمر معلوم عند من له عقل ، فلا يقتصر على الموافق في النِّحلة [5] .

وغاية الاستدلال بهذا النوع على الموافق في النحلة ، إنما تكون لزيادة الإيمان في القلوب ، وبث الطمأنينة فيها ، حتى يطمئن القلب إلى هذا القرآن العظيم والدين القويم .

كما قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام : (قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[6] . فهي ترسيخ للإيمان في نفوس المؤمنين ، وتثبيت لقواعده في قلوبهم حتى لا يكون فيها أدنى شبهة أو ارتياب .

---

1 – الأنبياء : 22.

2 – النحل : 103.

3 – يس : 81 .

4 – البقرة : 258 .

5 – انظر : الشاطبي ، الموافقات ، (53/3).

6 – البقرة : 260.

أما الاستدلال به على المخالف في النحلة ، فهي لسوقه إلى الإيمان بالله تعالى ، ودحض شبهه ومعتقداته ، بطريقة عقلية محضة لئلا يكون للكفار أدنى حجة يحاجون بها الله يوم القيامة ؛ فقد ركب لهم العقول ، ثم ساق لهم من الأدلة ما يقنعها ، فلا حجة لهم من بعدها.

وتتنوع الأدلة العقلية في القرآن إلى استقرائية وقياسية أو بناء الغائب على الشاهد وإنتاج النتائج من المقدمات والسبر والتقسيم وكذلك الاستدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه [1] وغيرها كثير . وسنتناول فيما بعد هذه القضايا بالتفصيل لنقف على المنهج والطريقة التي سلكها القرآن العظيم في إقامة أدلته وحججه وبراهينه في الرد على الخصوم وأرباب الشكوك والافتراءات ، وهو منهج عظيم اختص به القرآن الكريم دون غيره ، تلك المعجزة العظيمة الباقية على مر العصور والأزمنة ، التي لا تزال تقطع حجة كل منكر ، وتدحض شبهة كل شاك ، وكل ذلك بأسلوب عجز ويعجز عن مثله كل البشر .

النوع الثاني : الأدلة التكليفية .

هذا هو النوع الثاني من أنواع الأدلة القرآنية . وهذه الأدلة تكون دلالتها على الأحكام التكليفية . وذلك كدلالة الأوامر والنواهي على الطلب من المكلف .

وقد كَثُرَ مثل تلك الأدلة في القرآن ، كدلالة قوله تعالى : (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**)[2] ، وقوله :(**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**)[3] ، وقوله :(**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**)[4] .وغيرها كثير .

---

1 – انظر : الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، (28/1).

2 – البقرة : 183.

3 – البقرة : 178.

4 – البقرة : 187.

إن هذه النصوص وأمثالها في القرآن لم تجئ للبرهان ، ولم يؤت بها في محل الاستدلال وإقامة الحجج ، بل جيء بها على هيئة خبر يُعْمل بمقتضاه ويأخذه العقل بالتسليم والانقياد [1] .

ومجال العقل في هذه الأدلة هو فهمها ،وإدراكها، واستنباط ما فيها من أحكام ودلالات وإشارات مطلوب فعلها أو منهي عنها، ثم العمل بها وتطبيقها .

تكامل الأدلة البرهانية مع الأدلة التكليفية في القرآن

إن الأدلة البرهانية العقلية التي اشتمل عليها القرآن – مع كونها ثابتة بالدليل العام لثبوت القرآن وصحة نسبته إلى الله – تحمل الدلالة على صدقها في نفسها ، لأن الأدلة العقلية تدل على صحتها من غير احتياج إلى دليل خارج عنها . في حين أن الأدلة التكليفية يكون برهانها في الحقيقة هو المعجزة الدالة على صدق الرسول الآتي بها ، فإذا ثبت برهان المعجزة ثبت الصدق ، وإذا ثبت الصدق ثبت التكليف على المكلف .

ولا شك أن الأدلة العقلية في القرآن ، كان لها دور رئيسي كبير في إثبات القرآن ذاته، وصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم . وبالتالي فإننا نستطيع القول : إن الأدلة العقلية شاهدة للأدلة التكليفية من حيث ثبوتها وصحة نسبتها إلى الله ، كما أن الأدلة العقلية طريق للاستسلام الذي تقتضيه الأدلة التكليفية . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ، تتكامل الأدلة العقلية مع الأدلة التكليفية من حيث إن الأدلة العقلية جاءت لإثبات أصول الدين وقواعد الإيمان ، بمعنى أنها تهتم بقضايا العقيدة والغيب ، في حين أن الأدلة التكليفية موضوعها قضايا التشريع، والأنظمة التي تنظم حياة الأفراد والمجتمع .

---

[1] – انظر : الشاطبي ، **الموافقات** ، (53/3).

المبحث الثالث

خصائص الأدلة القرآنية

اولا : التأثير في القلوب ، والإقناع للعقول

ثانيا: الجمع بين كونها برهانية منطقية وخطابية مؤثرة، وجدلية ملزمة.

ثالثا: السهولة والوضوح وقلة المقدمات .

رابعا: أنها قاطعة للشكوك والشبه ، ملزمة للجاحد والمعاند .

خامسا: عدم صياغة الأدلة القرآنية صياغة منطقية مؤلفة من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة .

سادسا : أنها متكاملة .

سابعا:الأدلة القرآنية تضمنت دفع شبهات كل الجاحدين ، والرد على الفرق الأربع الضالة .

ثامنا: أنها شاملة لأهم عقائد الدين ، ولكل أركانه .

تاسعا:الاستدلال على الخصيصة الواحدة بضروب مختلفة من الأدلة .

عاشرا: إمكانية إبراز الدليل الواحد في صور متعددة .

حادي عشر: الجمع بين كونها عقلية وسمعية .

المبحث الثالث

خصائص ومميزات الأدلة القرآنية

أُنْزل القرآن بلغة العرب ، ونَهَجَ أساليبهم في الكلام وفنونهم في التعبير . ولم يكن القرآن يخرج عن معهود العرب في العرض أو البيان أو الاستدلال ، لكن _ وعلى الرغم من ذلك _ تجد أساليبه تعلو كل أسلوب ، وفصاحته فوق كل فصاحة . فكان هذا القرآن معجزة بكل ما حواه من علوم واشتمل عليه من معارف ، لا يضاهيه شيء من صنع البشر .

والأدلة القرآنية جزء من تلك المعجزة العظيمة ، فلا بد أن تتميز بتميزها وتتصف بخصائص وصفات تجعلها منفردة عن سائر أدلة البشر، من مناطقة وفلاسفة ومتكلمين وغيرهم

والحديث عن خصائص الأدلة القرآنية أمر من الأهمية بمكان لكل باحث ، لأن التعرف إلى تلك الخصائص من شأنه أن يدفع الباحثين إلى سلوك منهج القرآن في إقامة الأدلة ، في وقت فتن بعض الباحثين بمناهج الفلاسفة والمتكلمين ، فسلكوا مناهجهم العقيمة، فأسلمهم ذلك إلى جدل كلامي لا يسمن ولا يغني من جوع ، كانت نهايته الحيرة والشك والضلال والندم [(1)].

والقرآن العظيم _ كما هو معلوم _ كتاب خالد لا تنقضي عجائبه ، ولا تفنى غرائبه ، معجزة في طالع كل صباح تتجدد ، فلا يسع بشرا مهما أوتي حظا من العلم والمعرفة أن يحيط بما فيه . لذلك، مهما عدَّ الباحث من خصائص للأدلة القرآنية ، فإنها ستبقى غَيْضاً من فيضٍ وقليلا من كثير ، ولن تُوفى حقها . فالله أسأل أن يلهمني الصواب ويوفقني إلى المطلوب ، إنه على كل شيء قدير .

---

[1] – أنظر : عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص483.

وإليك هذه الخصائص .

الخصيصة الأولى : التأثير في القلوب ، والإقناع للعقول .

المتتبع للأدلة القرآنية يجد أنها جمعت بين هاتين الخصيصتين معا ، تأثير في القلب، وإقناع للعقل . فلا تتلو دليلا من أدلته إلا وجدته ينفذ إلى أعماق قلبك ويُقْنع عقلك بما لا يدع أدنى حيرة أو شك فيه .

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ واصفا الأدلة القرآنية : " وحجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب ، المقنعة للنفوس ، دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس"[1].

" فانظر إليه وهو في مَعْمعانِ الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة منكرهما ، كيف يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب ، ويمتع العاطفة إمتاعا بما جاء في طي تلك الأدلة العقلية المقنعة.إذ قال الله تعالى في سورة فصلت:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى)[2].

وقال : (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ *وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ *وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ *وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ *رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)[3].

---

[1] – الغزالي ، أبو حامد ، محمد بن محمد ، ت 505هج، قواعد العقائد ،جزء واحد، تحقيق : مرسي نصر، ط2، بيروت– عالم الكتب ، 1985م،ص 110، وسيشار إليه لاحقا (الغزالي، قواعد العقائد).

[2] – سورة فصلت : آية (39).

[3] – سورة ق : الآيات (6– 11).

فتأمل هذا الأسلوب البارع ، الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آنٍ واحد ، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل ؛ إذ قال في الآية الأولى :(**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**) وفي الآية الأخيرة (**كذلك الخروج**) [1].

وانظر إليه كيف يُهَوِّنُ من أمر البعث حتى يجعل إخراج النبات أفخم شأنا منه ، لأجل أن يخفف على العقل تجرعه . يقول أبو السعود في تفسيره :" وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس "[2] .

وهكذا تجد الأدلة القرآنية كلها، مزيجا حلوا سائغا تخفف على النفوس تجرعها ، وترفه عن العقول باللفتات العاطفية ، فتأسر العقل والقلب معا جنبا إلى جنب لهداية الإنسان[3].

إن الجمع بين التأثير في القلب والإقناع للعقل ميزة تفردت بها أدلة القرآن عن سائر الأدلة ، فلا يمكن لكلام بشر أن يُسْعدَ بها ؛ ذلك أن كلام البشر إن وفى بحق العقل بَخَس القلب حقه ، وان وفّى بحق القلب كان على حساب العقل ، وكلما كان كلام البشر عاطفيا كلما ازداد بعدا عن العقل والإقناع ، وكلما كان كلاما عقليا كلما ازداد جفاء وبعدا عن العاطفة [4] ، وهذا ما نلمسه في أدلة المتكلمين والمناطقة الذين ساروا على غير نَهْجِ القرآن في الاستدلال ، فأدلتهم العقلية لا تلقى لها في القلوب صدىً ، وإن كانت أخّاذة للعقول .ولكن القرآن جمع بين هاتين في قالب واحد يعجز عن مثله البشر . كيف لا وهو من عند من ركب البشر ؟!! فتبارك الله رب العالمين .

---

[1] – الزرقاني ، **مناهل العرفان** ،(314/2).

[2] – أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي، (ت–951هج) ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، 9 أجزاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي (127/8) . وسيشار إليه لاحقا(أبو السعود ، إرشاد العقل السليم) .

[3] – انظر: الزرقاني ، **مناهل العرفان** ، (314/2).

[4] – انظر : الزرقاني ، ، **مناهل العرفان** ، (2/ 315) .

الخصيصة الثانية :

الجمع بين كونها برهانية منطقية، وخطابية مؤثرة، وجدلية ملزمة .

طبائع الناس متفاوتة ، ومداركهم متباينة ، وأهواؤهم متضاربة ، ومسالكهم في طلب الحق مختلفة .

فمن الناس من غلبت عليه الدراسات العقلية ، والنزعات الفلسفية ، ولا يرضى بشيء إلا إذا كان ببرهان العقل ، ولا يرضيه إلا قياس تام أو ما يجري مجراه ويسير في طريقه . ومنهم من غلب عليه مذهب ديني أو غير ديني قد استأثر بلبه وسيطر على هواه وسد مسامع الإدراك في قلبه فصارت نفسه لا تكاد تسيغ الحق إلا بمعالجات عسيرة ، وهؤلاء لا بد لهم من طرق جدلية تزيل ما أُلبِسَ عليهم من الحق، ليلزمهم بما عندهم ويفحمهم بما بين أيديهم ، ويتخذ مما يعرفون وسيلة لقبول ما يرفضون . ولعل هذا الصنف من الناس هو الذي أمر الله بمجادلته بالتي هي أحسن .

وأما الجمهور الأعظم من الناس فليس من هؤلاء ولا من أولئك ، بل هو في تفكيره أقرب إلى الفطرة ؛ فيه سلامتها ، وفيه سذاجتها وحسنها وجمالها وإخلاصها وبراعتها ، ومثل هذا لا يخاطب بتعقيد المنطق ، ولا بتفكير الفلاسفة ، ولا بما يرضي المتفكرين تفكرا علميا ، بل يليق به ما التقى فيه الحق بالتأثير الوجداني ، وما اختلطت فيه الحقائق بطرق إثارة العواطف والميول ، وما التقت فيه سياسة الحق بسياسية البيان ، وليس ذلك إلا بالأسلوب الخطابي أو ما يقرب منه [1].

---

[1] – انظر : أبو زهرة ، د . محمد ، **تاريخ الجدل** ، ط2 ، بيروت –دار الفكر العربي ، 1980م ،ص(60-61).
وسيشار إليه لاحقا : أبو زهرة ، تاريخ الجدل

انظر إلى هذا الدليل الذي يسوقه الله تعالى مخاطبا فيه البدوي في صحرائه ، يبرهن له على وحدانيته وقدرته: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ *وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ *وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[1]. إنه يخاطب سذاجة البدوي وسلامة فطرته ، فهو لا يعرف من حوله إلا الأرض من تحته والسماء من فوقه ، والجبال من أمامه ، ودابته التي : منها يأكل ، ومنها يشرب ، ومنها يلبس، وعليها يركب. ولا تطلب منه إلا نظرة سطحية لا تحتاج إلى عناء تدبر وتفكير ، وهي كفيلة بسوقه إلى الإيمان ونبذ الشرك والكفر . وعلى الرغم من ذلك تجد العالم ذا الفكر والعقل ينظر فيها ويغوص في أعماقها ليكشف سرها . ألا ترى أن العقول تحيرت ،والنفوس عجبت من حقائق وصل إليها العلم بشأن الفضاء والسماء والأرض والجبال والحيوان !!

الخصيصة الثالثة : السهولة والوضوح وقلة المقدمات .

هذه ميزة أخرى من ميزات الأدلة القرآنية ، السهولة والوضوح ؛ فهي تعرض عليك الأمر بأسلوب بسيط وسهل بعيدا عن تعقيدات الفلاسفة وتقسيمات المتكلمين التي لا يفهمها أكثر الناس ، فهي واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول [2] . وقد حاجَّ الله تعالى عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد إلزامهم به بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولا وأقلها تكلفا وأعظمها نفعا [3] . يقول ابن تيمية : " إن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة ، ثم اتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد عُلِمَ

---

[1] – سورة الغاشية : الأيات (17-20) .

[2] – انظر : ابن القيم ، **الصواعق المرسلة** ، (2/ 469).

[3] – انظر : المرجع السابق (460/2)

من أول الأمر أنها هي المقصودة ، بل إنما يكون المثل بذكر ما يُستفاد ذكره وينتفع بمعرفته ، فذلك هو البيان ، وذلك هو البرهان " [1].

ولبساطة أدلة القرآن ووضوحها ،تجد فيها ما يعلم الجاهل وينبه الغافل ويرضي نهمة العالم . اقرأ قوله تعالى :(**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**)[2].اقرأ هذه الآية وارجع البصر فيها كرتين ، ألا تراه قد وجه الأذهان إلى عظيم قدرته وقوة سلطانه على الوجود ، وبين كيف اخترع وأبدع ، وبرأ على غير مثال سبق، ليثبت أنه وحده الأحق بالعبادة، من غير أن يشاركه وثن أو صنم. وألا ترى أن الشخص من العوام يقرؤها فيرى فيها علما لم يكن يعلمه وقد أدركه في أيسر كلفة وأقرب طريق دون إجهاد فكر ونظر . ويرى العالم فيها والفيلسوف الباحث في نشأة الكون دقة العلم وإحكامه وموافقته ما وصل إليه العقل البشري، مع سمو البيان وعلو البرهان [3] ؛ فإننا نجد السابقين من العلماء–على تواضع علمهم وقلة معرفتهم في مجال الموضوع الذي تحدثت عنه الآيات السابقات – قد أفاضوا في الحديث عن هذا الدليل الكوني العظيم .وهذه السهولة والبساطة لم تمنع في وقت لاحق من الزمان أن تكون هذه الآية ترسيخا لحقيقة علمية ضخمة ، تم التوصل إليها في العصر الحديث حول نشأة الكون ومسألة الانفصال ، فكانت هذه الآيات هي السباقة لهذا الاكتشاف العلمي الكبير ، رغم ما توحيه الآية في ظاهر الأمر من البساطة والوضوح ما يلائم بساطة العامي من البشر .

---

[1] – ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوي، 37جزءا ، **كتاب التفسير**، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز، (14/ 64). وسيشار إليه لاحقا : ابن تيمية ، كتاب التفسير .

[2] – سورة الأنبياء : (30).

[3] – انظر : أبو زهرة ، **تاريخ الجدل** ، ص 61– 62 .

وهكذا ، فقد أخرج الله تعالى مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلى صورة تشتمل على أدق عبارة، لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ، ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يرضي عقولهم ويشبع نهمتهم[1] . وكل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من القــرآن أكثــر . ولذلك كان الله تعالى في كتابه الكريم كلما ذكر حجة على ربوبيتــه ووحدانيتــه أتبعهــا مــرة بإضافتها إلى أولي العقل ، ومرة إلى السامعين ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين ، وذلك تنبيها على أن كل قوة من هذه القوى يمكنها الاستفادة منها[2].

الخصيصة الرابعة : أنها قاطعة للشكوك والشبه ، ملزمة للجاحد والمعاند. [3]

ما من دليل سيق في القرآن إلا وتجده يقطع الشك باليقين ، ويمحو كل شــبهة تعتــرض سبيل الحق أو تطمس نوره ، ثم لا يجد الخصوم أمام تلك الأدلة إلا الصمت والهزيمـــة ، فإمـــا الاستسلام والانقياد وإما الجحود والعناد .

اقرأ قوله تعالى : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْــرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [4].

تلك حجة ساقها الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم – عليه السلام – ، وهو يحاور جبـــارا من جبابرة الأرض الذين استهوتهم الدنيا وشهواتها ، فراحـــوا يتيهـــون فـــي غياهـــب الظلـــم ويتخبطون ، حتى أعماهم الظلم والجهل وران على قلوبهم ، فتمادَوْا وتمادَوْا ، حتـــى نَصَّـــبُوا

---

[1] – انظر: السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن،(ت 911هج)الإتقان في علوم القــرآن،جزءان ، ط4، مطبعــة : مصـــر– مصطفى بابي الحلبي ، 1398هج – 1978م (2/ 172) وسيشار إليه لاحقا : السيوطي، الإتقان .

[2] – انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (25/2)

[3] – انظر : ابن القيم : الصواعق المرسلة ، (2/ 460).

[4] – سورة البقرة : آية (258)

أنفسهم آلهة ، يحيون كما يحيي ، ويميتون كما يميت . لكنهم يسقطون ويهزمون أمام عبارات قليلة ، في طيها حجة منيعة ، لم يملكوا أمامها إلا أن خيَّم على أنفسهم الصمت والبهت . فحطمت كبرياءهم وقطعت شبهتهم ، وألزمتهم الحق . ولكنه الكبر والجحود والعناد والهوى !! فانظر إلى إبراهيم عليه السلام وهو يعدل عن طريقة العرض المجرد للسنة الكونية والصفة الإلهية في قوله :" ربي الذي يحي ويميت " إلى طريقة التحدي ،وهي طلب تغيير سنة الله لمن ينكر ويتعنت لله ويجادل في الله " قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " فما وجد المجادل في الله إلا السكوت ، فالأمر ظاهر ولا سبيل إلى سوء الفهم أو الجدال والمراء ، وكان التسليم أولى والإيمان أجدر، ولكنه الكِبْر الذي يمسك بصاحبه عن الرجوع إلى الحق ، فيبهت ويتحير[1] .

الخصيصة الخامسة :

عدم صياغة الأدلة القرآنية صياغة منطقية مؤلفة من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة[2] .

اشتمل القرآن على جميع أنواع الأدلة ووجوه الاستدلال ، وما من برهان ودلالة وتقسيم إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به [3] ، ولكنه لم يسر في أدلته على طرق المتكلمين والمناطقة الذين يصوغون أدلتهم صياغة منطقية مؤلفة من مقدمات صغرى وكبرى ونتيجة ، بل إن أدلة القرآن– وان كانت في بعض الأحيان تسلك طريق المتكلمين في الاستدلال_إلا أنها بقيت محافظة على معهود العرب في الاستدلال دون الخروج عن أساليبهم . ونستطيع القول: إن أدلة

---

[1] – انظر : قطب ، **في ظلال القرآن** ، (2/ 436-437).

[2] – انظر :ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص16.

[3] – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (2/ 24) وانظر : السيوطي:**الإتقان** ، (2/ 172).

القرآن جاءت على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين ، ودون التغلغل في التعقيدات والتقسيمات التي خاضها المناطقة والمتكلمون. والسبب في ذلك كما ذكر العلماء يعود إلى أمرين

أولهما : أن الله تعالى قال في كتابه : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**)[1]. فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون القرآن سار بكل أساليبه على عادة العرب، وعادة العرب البساطة والوضوح ،دون الدخول في التعقيدات وكثرة التقسيمات .

وثانيهما :أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الأدلة بالجلي من الكلام ، لأن من استطاع أن يفهم الآخرين مطلوبه بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون ، لم يعدل عنه إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون [2].

إن أسلوب القرآن في أدلته أسمى من المنطق ، وأسمى من الفلسفة ، فبينما تراه قد اعتمد مسالكه على الأمر المحسوس أو الأمور البديهية التي لا يماري فيها عاقل ولا يشك فيها إنسان ، تراه قد تحلل من قيود المنطق ، من غير أن يخل بدقة التصوير وإحكام التحقيق وصدق ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في أحكام العقل وثمرات المنطق ، ولهذا لا نعد أسلوب القرآن منطقا وإن كان فيه صدقه وتحقيقه[3] .

الخصيصة السادسة :أنها أدلة متكاملة .

بين الباحث في المبحث السابق[4] نوعين من الأدلة هما: الأدلة البرهانية ، والأدلة التكليفية .

---

[1] – سورة إبراهيم : آية (4).

[2] – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (2/ 24) وانظر السيوطي، **الإتقان** ، (2/ 172) .

[3] – انظر ، أبو زهرة ، **تاريخ الجدل** ، (63-64).

[4] – انظر : (ص :60).وما بعدها من هذا البحث

ولا شك أن الأدلة البرهانية كان اعتناؤها منصبا على أمور العقيدة وأصول الدين والرد على الشبهات والشكوك التي كان يثيرها الجاحدون المنكرون . وأما الأدلة التكليفية فكان اعتناؤها منصبا على أمور التشريعات والعبادات وقوانين الأسرة والمجتمع ، فهي إذن مختصة بالجانب التشريعي منه . وبذلك تتكامل الأدلة القرآنية معا لتعالج قضايا هذا الدين الذي هو عقيدة وشريعة حياة . وقد تقدم الحديث عن هذا الموضوع في مبحث "أنواع الأدلة"[1]

الخصيصة السابعة :

الأدلة القرآنية تضمنت دفع شبهات كل الجاحدين[2] والرد على الفرق الأربع الضالة .

لم يأل الكفار- على اختلاف أصنافهم- جهدا في محاولة هدم هذا الدين والنيل من عقائده وأصوله ، وإثارة الشبهات والشكوك حوله ، فكانوا كلما أخفقوا مرة أعادوا الكرة من جديد علهم ينالون مبتغاهم في زعزعة أركان هذا الدين ، مستخدمين كل الوسائل والطرق . وكان القرآن لهم بالمرصاد ، فيطلع عليهم بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة. ولم يكن يسكت عن شبهة واحدة يثيرونها ، بل كان يرد عليهم أبلغ رد وأحسنه ، ولا يبقي لهم فرصة للنيل من عقائده ، أو المساس بأركانه . ثم يقيم عليهم الحجة في فساد ما هم مقيمون عليه من الكفر والعقائد الباطلة .ولم يكن القرآن ينتظر منهم شبهة ليردها ، بل كان في كثير من الأحيان يبادرهم بعرض عقائدهم الزائفة وأقوالهم الباطلة، ثم يورد عليها من الأدلة والحجج ما ينقضها من أساسها ويقتلعها من جذورها فلا يبقى لها أثر في قلب عشق الحقيقة ،وأشرق نوره ليلامس أنوار تلك الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة .

---

[1] – انظر : (ص : 62) وما بعده من هذا البحث .

[2] انظر : عبيدات ، **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص 502.

وكانت ردود القرآن على تلك الفرق تمس كل القواعد والأصول والمعتقدات التـــي تتبنـــي عليها ، فتخر على أصحابها ، وهم يتيهون لا يستطيعون ردا ولا قولا .

اقرأ قوله تعالى في نقض عقيدة النصارى بعيسى بن مريم وأمه :

(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[1].

إن هذه الآية تضمنت أبلغ رد عقلي على كل مدع ألوهية المسيح عيسى بن مريم وأمه ، فهو يسوق الدليل القاطع على أنهما بشر كغيرهما من البشر وذلك بوصفهما بأنهمـــا "يـــأكلان الطعام " فإن من يأكل الطعام فهو محتاج ، والحاجة صفة لا يمكن أن تجتمع معها ألوهية فهذا ما لا يتصور عقلا . ثم إن من أكل الطعام احتاج إلى النَّفْضِ-وهو قضاء الحاجة- وهذا أمـــرٌ ذوقا في أفواه مدعي ألوهيتهما لما في ذلك -مع الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهيـــة_ مـــن بشاعة عرفية [2] .

وكذلك رد على المشركين ليبين لهم فساد ما هم مقيمون عليه من عبادة الأصنام :

(إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[3] .

ورد على اليهود والنصارى معا ليبين فريتهم في" أنهم أبناء الله وأحباؤه" . قال تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّـــنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)[1].

---

[1] – سورة المائدة : آية (75).

[2] – انظر : الالوسي ، محمود الالوسي أبو الفضل ، (ت-1270هج) **روح المعاني في تفسير القرآن العظـــيم والســـبع المثاني**، 30 جزءا، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (6/ 206). وسيشار إليه لاحقا : الآلوسي، روح المعاني .

[3] – سورة فاطر : آية (14).

هذه بعض ردود القرآن على ملل الكفر المختلفة، ولا أريد الإطالة في تتبع محاجة القـرآن لهذه الفرق الضالة ، فقد أفردت لذلك مبحثا مستقلا سيأتي الحديث عنه لا حقا إن شاء الله[2] .

الخصيصة الثامنة : أنها شاملة لأهم عقائد الدين ولكل أركانه.

وكما أن القرآن أقام البراهين والأدلة على كل الكافرين والجاحـدين ، فإنـه أثبـت كـل الأركان الأساسية والقواعد التي ينبني عليها هذا الدين .

فقد أثبتت الأدلة القرآنية بالبرهان العقلي وحدانية الله ،ونبوة محمد _ صلى الله عليه وسلم _والساعة، والبعث، والقرآن ذاته .

ففي إثبات الوحدانية لله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)[3].

وفي إثبات الخلق والإعادة والبعث: **(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْـأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَـى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)**[4] وقال: **(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)**[5].

وفي إثبات الرسالة:**(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ)**[6] وقال:**(ولو تقول عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)**[7].

وفي إثبات القرآن : **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِـيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**[8].

---

[1] – سورة المائدة : آية (18).

[2] – انظر : (ص: 154).من هذا البحث .

[3] – سورة الأنبياء : آية (22).

[4] – سورة يس: آية (81).

[5] – سورة يس : آية (79).

[6] – سورة يونس: آية (16).

[7] – سورة الحاقة : الآيات (44-46).

[8] – سورة النحل : آية (103).

وهكذا ، لم يترك القرآن عقيدة دعا إليها إلا وأقام عليها الحجة العقلية الدامغة والبرهان القاطع الذي لا يبقي مجالا لشك أو ريبة فيها .

الخصيصة التاسعة: الاستدلال على القضية الواحدة بضروب مختلفة من الأدلة[1]

وإذا كان القرآن قد تناول في أدلته كافة العقائد التي دعا إلى الإيمان بها ، فإنه لم يكتف بإيراد دليل واحد أو نوع واحد من الأدلة على القضية الواحدة ، بل إنه كان يستدل عليها بأنواع متعددة ومختلفة من الأدلة ، وذلك حتى تكون ألزم للحجة وتراعي كل المستويات لدى البشر على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وأزمانهم وأمكنتهم ، تمشيا مع كونه خالدا ، وللناس كافة .

فعلى سبيل المثال ، لو تتبعت الأدلة التي أقامها القرآن على مسألة المعاد الجسماني يوم القيامة ، فإنك تجده قد استدل على هذه القضية بضروب مختلفة من الاستدلال[2] .

الخصيصة العاشرة : إمكانية إبراز الدليل الواحد في صور متعددة .

هذه خصيصة أخرى من خصائص الأدلة القرآنية ، فإذا كانت الخصيصة السابقة تعني سوق أكثر من دليل على المسألة الواحدة ، فإن هذه الخصيصة تعني أن الدليل الواحد من أدلة القرآن يمكن إبرازه وتقريره في صور متعددة . وفي هذا يقول ابن القيم:" والمادة الحق يمكن إبرازها في الصور المتعددة ، وفي أي قالبٍ أُفْرِغت وصورةٍ أُبْرِزت ظهرت صحيحة ، وهذا شأن مواد براهين القرآن ، في أي صورة أبرزتها ظهرت في غاية الصحة والبيان " [3]

ومن الأمثلة على ذلك في القرآن قوله تعالى:(**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ**

---

[1] – انظر : **الدلالة العقلية في القرآن** ، ص 467.

[2] – انظر هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الثالث ، المبحث الثالث ص :192 وما بعده من هذا البحث .

[3] – انظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 118 .

عَلَى الْكَافِرِينَ)[1] . قال ابن القيم عن هذه الحجة :" ويمكن تقريرها على صور عديدة " ثم ذكر عشر صور في تقرير هذه الحجة ، نذكر منها على سبيل المثال :

1- **أن يقال** : قد أقررتم بنبوته قبل ظهوره باستفتاحكم به ، فتعين عليكم الإقرار بها بعد ظهوره.

2- **أن يقال** : كنتم تستفتحون به ، وذلك إقرار منكم بنبوته قبل ظهوره استنادا إلى ما عندكم من العلم بظهوره ، فلما شاهدتموه وصار المعلوم معاينا بالرؤية ، فالتصديق به حينئذ أولى ، فكفرتم به عند كمال المعرفة ، وآمنتم به حين كان غيبا لم تكمل ، فآمنتم به على تقدير وجوده وكفرتم به عند تحقق وجوده ، فأي تناقض وعناد أبلغ من هذا؟!

3- **أن يقال** : إيمانكم به لازم ، لاستفتاحكم به، ووجود الملزوم بدون لازمه محال .

4- **أن يقال** : أحد الأمرين لازم ولا بد ؛ إما خطأكم في استفتاحكم به ، وإما كفركم وتكذيبكم به ، فإنهما لا يمكن اجتماعهما ، فأيهما كان خطأ كان الآخر صوابا ، ولكن استفتاحكم به مستند إلى الإيمان بالنبي الأول ، فهو مستند إلى حق ، فتعين أن يكون كفركم به هو الباطل ، ولا يكمن أن يقال : إن التكذيب به هو الحق ، والاستفتاح به كان باطلا ، لأنه يستلزم تكذيب ما أقررتم بصدقه ولا بد[2] .

هذه بعض صور تقرير الحجة الواردة في الآيات السابقة ، وكما ذكرت ، قرر ابن القيم عشر صور لها ، وقد اقتصرت على ذكر بعضها لأجل توضيح هذه الخصيصة .

الخصيصة الحادية عشرة : الجمع بين كونها عقلية وسمعية .[3]

---

1 - البقرة : (89).

2 انظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص (115-116).

3 - انظر : ابن القيم ، **الصواعق المرسلة** ، (460/2).

إن ثبوت الأدلة العقلية القرآنية جاء من طريقين هما : العقل والنقل ، فإذا نظرت في الأدلة العقلية التي استدل بها القرآن ، ثبتت لديك صحتها بالعقل ، إضافة إلى ثبوتها من جهة النقل ، لأن القرآن العظيم كله منقول إلينا بالتواتر ، فأصبحت الأدلة العقلية يقينا فـوق يقـين ، فكانت في أعلى المراتب من كل الوجوه .

تلك هي خصائص ومميزات الأدلة القرآنية ، التي استطعت جمعها ، وكما ذكرت منـذ البداية ؛ فإن هذه الخصائص ما هي إلا غيض من فيض . ومميزات القرآن ليس بوسع بشر أن يحيط بها ؛ فهو كتاب لا تنفد معانيه ويتكشف لنا كل يوم من مكنونه ما كان خافيا . وصدق الله إذ يقول : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَـوْ جِئْنَـا بِمِثْلِهِ مَدَداً)[1].

[1] – سورة الكهف : آية (109)

المبحث الرابع

الاستدلال وأنواعه في القرآن

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مفهوم الاستدلال في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : أنواع الاستدلال في القرآن.

المبحث الرابع

الاستدلال في القرآن وأنواعه

المطلب الأول : مفهوم الاستدلال لغة واصطلاحا .

الاستدلال لغة هو طلب الدليل [1] . على وزن " استفعال " ، كاستنجاد واستنصار، بمعنى طلب النجدة والنصرة .

وقد يكون طلب الدليل من السائل والمسؤول[2] ، فالسائل يطلب الدليل من المسؤول ، والمسؤول يطلبه من مظانه وأصوله . هذا هو معنى الدليل من حيث اللغة .

أما الدليل من حيث الاصطلاح ، فالفقهاء يطلقونه على معنيين :

الأول : بمعنى ذكر الدليل ، لأن من ذكر الدليل استدل به ، سواء كان هذا الدليل نصا أو إجماعا أو قياسا .

والثاني : نوع خاص من الأدلة ، وهو عبارة عن دليل لا يكون نصا ولا إجماعا ولا قياسا [3].

ولا يختلف الأصوليون عن الفقهاء في فهمهم لمعنى الاستدلال ، فقد اتفقت كلمتهم فيه مع الفقهاء.[4]

---

1 – انظر : الكفوي ، ، الكليات ، ص 114.

2 – انظر : السمعاني ، أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت_ 489هج) ، **قواطع الأدلة في الأصول**، جزء واحد، تحقيق : محمد حسن محمد ، ط1،بيروت– دار الكتب العلمية، 1997م ، ص 34 . وسيشار إليه لاحقا : السمعاني ،قواطع الأدلة في الأصول .

3– انظر : الآمدي ، **الإحكام** ، (4/ 125).

4– انظر : البركي : محمد عميم الاحسان ، **قواعد الفقه** ، جزء واحد ، ط1،كراتشي– الصدف ببلشر ، 1407هـج، ص 172.وسيشار إليه لاحقا : البركي ، قواعد الفقه .

أما المناطقة فيعرفون الاستدلال بأنه تقرير الدليل لإثبات المدلول .وهـو علـى نـوعين عندهم : أنّي ، وذلك إذا كان الاستدلال من الأثر إلى المؤثر . واستدلال لَمّي وذلك إذا كان من المؤثر إلى الأثر[1] .

وقيل أيضا : " الاستدلال هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم ، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة ".[2]

وبوجه عام الاستدلال هو استنتاج قضية من قضية ، أو هو الوصول إلى حكـم جديـد مغـاير للأحكام التي استنتج منها . ويكون ذلك عن طريق الاستعانة بما هو معلوم للوصول إلى ما هو مجهول مع مراعاة القواعد السليمة لصحة الانتقال من المعلوم إلى المجهول بالطرق المختلفة[3].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى استدلال القرآن ، فإن الأدلة القرآنية سيقت لأجل إثبـات قضـايا مجهولة مستنتجة من قضايا معلومة . مثال ذلك قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَـا كَـانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ)[4].

وتقرير هذا الدليل : لو كان في السماء والأرض آلهة بحق غيـر الله ، لحصـل الاخـتلاف والتناقض " ببرهان العقل " لكن الكون كله مؤتلف غير مختلف " ببرهان المشاهدة " فينتج عن ذلك أنه لا اله إلا الله .[5]

---

[1] – انظر : الأحمد نكري، **دستور العلماء** ، (1/ 71-72).

[2] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ،ص 149.

[3] – انظر: ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 69.

[4] – المؤمنون : (91).

[5] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 158 .

المطلب الثاني : أنواع الاستدلال في القرآن .

يمكن تقسيم الاستدلال في القرآن إلى نوعين اثنين هما : الاستدلال المباشر ، والاستدلال غير المباشر .

أولا : الاستدلال المباشر.

الاستدلال المباشر هو الذي لا يحتاج فيه المستدل لأكثر من قضية واحدة للوصول إلى النتيجة المطلوبة [1]

ويتم بهذا القسم ، الاستدلال بصدق قضية على صدق أخرى أو كذبها ، أو الاستدلال بكذب قضية على صدق أخرى أو كذبها . فمثلا لو قلت : الإنسان ليس بخالق . فهذه قضية صادقة ، تستطيع أن تشتق منها قضية أخرى صادقة وهي أن الإنسان مخلوق[2].

ومن الأمثلة على الاستدلال المباشر في القرآن قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**)[3] وقوله :(**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**)[4].

ففي هذه الآية يورد الله قول الكفار بشأن الساعة والبعث واستبعادهم وقوعهما ، ويرشد نبيه أن يرد عليهم بالقول المؤكد الصادق أن الساعة واقعة لا محالة .
وهنا يستدل على كذب قول الكافرين " وهو عدم وقوع الساعة "، بصدق إخبار الله تعالى عن وقوعها ، لأنه لما كانت القضية الثانية – التي هي النتيجة – صادقة حتما لأنها خبر يقيني ، كانت القضية الأولى كاذبة حتما [5].

---

[1] – انظر: جريشة ، د. علي، **أدب الحوار والمناظرة** ، جزء واحد ، ط2 ،المنصورة– دار الوفاء ، 1412هج=1992م ، ص 126. وسيشار إليه لاحقا : جريشة ، أدب الحوار والمناظرة .

[2] – انظر: الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 150.

[3] – سبأ : (3).

[4] – التغابن : (7).

[5] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص150.

ويلاحظ في المثال السابق أن النتيجة التي تم التوصل إليها لم يستخدم فيها إلا قضية واحدة هي التي ساقت إليها . وهذا هو الاستدلال المباشر .

والذي يراه الباحث أن هذا النوع من الاستدلال لا يقيم حجة عقلية على الكفار ، فلو عدنا إلى المثال الذي سبق ذكره وهو الرد على زعم الكافرين ، حيث إنه يستدل على كذب الكافرين حتما بصدق إخبار النبي صلى الله عليه وسلم حتما ، ومعلوم أن الكفار لا يعترفون أصلا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي هم لا يصدقون خبره ، فلا يكون عندهم الاستدلال بصدق النبي حجة على كذبهم .

ثانيا : الاستدلال غير المباشر .

تعريفه :

الاستدلال غير المباشر هو الذي يحتاج فيه المستدل إلى أكثر من قضية واحدة حتى يتوصل إلى النتيجة المطلوبة[1] .

وبالنظر في هذا التعريف يتضح الفرق بين الاستدلال المباشر وغير المباشر ، إذ إن الاستدلال غير المباشر يحتاج فيه لأكثر من قضية ، بخلاف المباشر حيث لا يحتاج فيه لأكثر من قضية واحدة .

والاستدلال غير المباشر له ثلاث صور .

أولا : الاستقراء .

والاستقراء لغة هو التتبع ، نقول استقرأت الشيء إذا تتبعت جزئياته [2].

---

[1] – انظر : جريشة، أدب الحوار والمناظرة ، ص 127.

[2] – انظر : الكفوي ، الكليات ، ص 105.

وأما اصطلاحا : فهو تتبع حكم الجزئيات للوصول إلى حكم كليها [1].

وقيل أيضا: هو قول مؤلف من قضايا تشتمل على الحكم على الجزئيات لإثبات الحكم الكلي . أو بعبارة أخرى هو الحكم على الكلي لوجوده في أكثر جزئياته.[2] فلو تتبعت جزئيات الجسم (الحيوان والنبات والجماد) ، لوجدت أن جميع هذه الأجسام ذات حيز، فتحكم من خلالها – بطريق الاستقراء– على قضية كلية وهي أن لكل جسم حيز .

والاستقراء منهج اعتمده القرآن في الاستدلال ، وكثيرا ما كان القرآن الكريم يوجه العقول إلى تتبع ودراسة أحوال الأمم الماضية وما حل بها من عذاب ونِقَم للتوصل إلى نتيجة عامة ، وهي أن كل أمة لا تستقيم على منهاج ربها وشرعه فستلقى المصير الذي واجهته الأمم السالفة . اقرأ قوله تعالى:(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى)[3] وقوله تعالى:(وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِم)[4].

بل إن الله دعا صراحة إلى اتباع هذا المنهج ، حيث قال :(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ*قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[5]. وهاتان الآيتان وردتا في سياق إثبات المعاد – الذي ينكره الكفار– بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئا ، ثم أرشدهم إلى تتبع آيات الله المشاهدة من خلق الله الأشياء؛ خَلْق السماوات وما فيها من الكواكب ، والأرضين وما فيها من سهل وجبل وبحر ونهر وبر وشجر وثمر ، كل ذلك دال على

---

[1] – انظر : دستور العلماء ، (172/1).

[2] – التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، (3/ 576).

[3] – طه : (128).

[4] العنكبوت : (38).

[5] – العنكبوت : الآيتان (19–20).

حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي إذا قال لشيء(كُنْ فَيَكُونُ)[1][2].ومن استقرأ خلق هذه الأشياء -التي هي أعظم خلقا من خلق الإنسان- استدل بذلك على قدرته تعالى على إعادة الخلق ، بل هو أهون على الله من ابتدائه .

وهنا نلاحظ بجلاء توجيه القرآن إلى طريقة الاستقراء ، إذ أنه يأمر بالسير في الأرض الذي هو تتبع ودراسة الجزئيات التكوينية لها ، ودراسة نشأتها ، لاستنتاج القوانين والقواعد الكلية التي تبين لهم كيف بدأ الله الخلق ،وهذا هو منهج الاستقراء بعينه [3].

ثانيا : القياس .

والقياس بالمعنى الأصولي يعني "حمل فرع على أصل في بعض أحكامه بمعنى يجمع بينهما [4]. والقياس المنطقي هو " صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها ، فيأتي القياس منبها عليها أو ملزما للخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها " [5]

"والقياس حجة في إثبات الأحكام العقلية ؛ وهو طريق من طرقها"[6] على خلاف أهل الظاهر ، حيث أنكروه ولم يعتبروه من الحجج العقلية واعتبروا كل حكم يبنى عليه باطلا لا يعتد به .قال ابن حزم : " ولا يحل الحكم بالقياس في الدين والقول به باطل مقطوع على بطلانه " . ثم يضيف معلقا على قول من قال بأن الله تعالى قاس إخراج الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة

---

[1] – سورة يس : (82).

[2] – انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (3/ 409).

[3] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص191.

[4] – الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت-476هج)، **اللمع في أصول الفقه** ، جزء واحد ، ط1،بيروت- دار الكتب العلمية ، 1405هج=1985م، ص96. وسيشار إليه لاحقا : الشيرازي ، اللمع في أصول الفقه .

[5] – جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة** ، ص 128. وانظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص227.

[6] – انظر : الشيرازي ، **اللمع في أصول الفقه** ، ص 96.

على إخراج النبات من الأرض ، حيث قال :" وأما (كذلك الخروج) فإبطال للقياس بــلا شــك ، لأن إخراج الموتى مرة في الأبد يثمر خلودا في الجنة أو النار ، وإخراج النبــات مــن الأرض يكون كل عام " [1]

ولا يخفى على القارئ ضعف هذا الرأي ، إذ لا أحد يدعي أن المقيس ينبغــي أن يطــابق المقاس عليه من جميع الوجوه ،بل يكتفى فيه معنى واحد يجمع بينهما . والمعنى الجامع بين إخراج النبات وإخراج الموتى هو عموم القدرة الإلهية ، لأن الذي قدر على إخــراج النبات قادر على إخراج الموتى بلا ريب.

ولست في هذا المقام في سياق الرد على مذهب أهل الظاهر بشأن القياس ، وأكتفي بهذه الإشارة إليه .

والقياس هو أحد طرق الاستدلال غير المباشر ، وإنما كان استدلالا غير مباشر لتوقف تحصــيل النتيجة فيه على إدراك مسلم به مؤلف من قضيتين على أقل تقدير [2] كما ســبق بيــان مفهــوم الاستدلال غير المباشر .

والقياس له أنواع متعددة ، لكن الباحث يترك الحديث عنها إلى مبحث آخر[3] ، يتحدث فيه بتفصيل عن هذه الأنواع مدعومة بالأمثلة التوضيحية من القرآن .

ومن الأمثلة على القياس في القرآن ، قياس الإعادة على إخراج النبــات ، وقياســه علــى بدئه، وغيرها كثير .

---

1 – انظر : ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، (ت–456هج)، النبذة الكافية، جزء واحد، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، ط1 ،بيروت– دار الكتب العلمية ، 1405هج– 1985م ص(62–64). وسيشار إليه لاحقا : ابن حزم ، النبذة الكافية .

2 – انظر : الميداني ، ضوابط المعرفة ، ص 227.

3 – انظر : (ص : 135–142) من هذا البحث .

ثالثا : التمثيل .

" والأمثال هي تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر "[1].

والتمثيل عند الأصوليين يعتبر من لواحق القياس ، أما عند المتكلمين ، وهم علماء العقيدة، فيطلقون عليه اسم " الاستدلال بالغائب على الشاهد [2].

والمثل كان إحدى طرق الاستدلال غير المباشر التي اتخذها القرآن وسيلة للاستدلال.قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[3].

إن كل من يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه ، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده ، وإعدام ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ، فكيف ما هو أكبر منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف الحيوان ، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها ، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله . وهذا من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك ، وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم [4].

---

[1] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، (ت–751هج)، **الأمثال في القرآن**، جزء واحد، تحقيق: إبراهيم محمد ، ط1 ، طنطا – مصر. مكتبة الصحابة،1406هج=1986م ص46. يشار إليه لاحقا : ابن القيم ، الأمثال في القرآن.

[2] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 227.

[3] – الحج ، الآيتان (73–74).

[4] – انظر: ابن القيم ، **الأمثال في القرآن**، ص(46–47).

الفصل الثاني

الحجة في القرآن ومنهجه في إقامتها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم الحجة ومراتبها .

المبحث الثاني : طرق الاحتجاج في القرآن .

المبحث الثالث : أساليب الاحتجاج في القرآن

المبحث الرابع : الفرق التي وقع الاحتجاج عليها في القرآن .

المبحث الأول

مفهوم الحجة ومراتبها

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول : مفهوم الحجة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني: الحجة في السياق القرآني.

المطلب الثالث: مراتب الحجة .

المبحث الأول

مفهوم الحجة ومراتبها

المطلب الأول : مفهوم الحجة في اللغة والاصطلاح .

الفرع الأول: الحجة في اللغة.

الحُجَّةُ بالضم هي اسم على وزن "فُعْلَة" . وهي ترد في اللغة على معان مختلفة .

فالحجة : هي البرهان[1].

والحجة : ما دُوفِع به الخصم [2].

والحجة : الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة[3] . نقول : حاجَّه فَحَجَّه : أي غلبه بالحجة . وفي المثل " لجَّ فَحَجَّ "[4].

والحجة : الدليل . قال تعالى :(فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)[5] أي الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض.

وقال أهل اللغة : سميت الحجة بهذا الاسم لأنها تُحج ، بمعنى أنها تقصد [6] ، أو أنه يقصد بها الحق المطلوب [7].

---

1 – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (حجج) ، (228/2) . وانظر : الجوهري ، **الصحاح** ، مادة (حجج)(450/1) ، وانظر : **الكفوي** ، الكليات ، ص 406.

2 – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب**، (228/2).

3 – انظر : المرجع السابق ، (2/ 2287) .

4 – انظر : الجوهري ، **الصحاح** ، (1/ 450).

5 – الأنعام : (149).

6 – انظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، (2/ 228).

7 – انظر : ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، مادة (حج) ، (30/2)

وتجمع حجة على : حجج وحجاج [1].

والناظر في المعاني السالفة للحجة ، يجد أنه لا اختلاف بينها أو تناقض بل هي متكاملة ومؤتلفة، إذ يمكننا أن نجمع بين هذه المعاني لتأليف معنى واحد على النحو التالي : إن الحجة هي البرهان والدليل الذي يتخذه المخاصم، لأجل دفع خصمه وغلبته في الخصومة.

وإنما جاء اختلاف المعاني التي ذكرها علماء اللغة لأنهم كانوا يطلقون الحجة تارة على الوسيلة (البرهان والدليل) وتارة على(الهدف منها) وهو دفع الخصم والتغلب عليه.

الفرع الثاني: الحجة في الاصطلاح .

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للحجة اختلافا كبيرا عن المعنى اللغوي لها . فقيل : "الحجة هي الموصل إلى التصديق "[2]، بمعنى أنها طريق يوصل إلى الغلبة على الخصم وحمله على اليقين والاقتناع .

وقيل : الحجة هي " برهان أهل الحق والدلالة المبينة للمحجة ، أي المقصد السليم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين " [3].

وقد عرَّف التهانوي في الكشاف الحجة الإلزامية بأنها: " المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم ،المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته "[4]

وهكذا يبدو التقاء واضحا بين المعنى اللغوي للحجة والمعنى الاصطلاحي لها.

---

1 – انظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، (2/ 228).

2 – الأحمد نكري ،**دستور العلماء** (11/2).

3 – المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، (ت_1021هج) ، **التعاريف** ،جزء واحد، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط1 ،بيروت– دار الفكر المعاصر & دمشق دارالفكر ، 1410هج ، ص 268.وسيشار إليه لاحقا :المناوي ،التعاريف

4 – التهانوي ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، (1/ 388).

المطلب الثاني : الحجة في السياق القرآني .

وردت لفظة " الحجة في القرآن_ بمشتقاتها المختلفة_ في آيات كثيرة منه . وباستقراء هذه الآيات نجد أن هذه اللفظة في القرآن كانت تدور حول معنيين اثنين :

أولهما : بمعنى المناظرة والمخاصمة . ومن ذلك :

قوله تعالى : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**) [1]. وقوله :(**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ**)[2]. وقوله :(**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**)[3]. وقوله :(**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ**)[4]. وقوله :(**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ**)[5] [6].

وفي هذه الآيات جميعها يتضح لنا أمران : الأول : أن معنى الحجة على اختلاف اشتقاقها قد أتى بمعنى المناظرة والمخاصمة .والثاني : أن الحديث في هذه الآيات يدور حول أهل الكفر على اختلاف ملله وأشكاله ، ذلك لأنهم أهل الخصام والجحود والعناد ، بخلاف أهل الإيمان ، فهم أهل الانقياد والطاعة والتسليم لأمره تعالى ذكره وجل شأنه .

ثانيهما: وردت لفظة الحجة في القرآن بمعنى " البرهان " .

وقد وردت بهذا المعنى تارة من المؤمنين مع الكفار كما في قوله تعالى :(**لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**)([7]).

---

[1] – سورة البقرة : آية (258).

[2] – سورة البقرة : آية (139).

[3] – سورة آل عمران : آية (61).

[4] – سورة آل عمران : آية (65) .

[5] – سورة آل عمران : آية (66)

[6] – انظر : الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ،(ت–718هج)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،6 أجزاء، تحقيق: محمد على النجار ، بيروت– المكتبة العلمية (431/2). وسيشار إليه لاحقا : الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز .

[7] – سورة الشورى : آية (15).

وتارة من الكفار بحسب اعتقادهم كما في قوله :(مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1].

وتارة من إبراهيم عليه السلام في تمهيد قواعد الإيمان : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)[2].

وتارة من الحق إلى الخلق بآيات القرآن وإظهار البرهان ، ومنه قوله تعالى :(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)[3] وقوله:(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا)[4][5].

وبالجملة ، نستطيع أن نقرر أن مفهوم الحجة في السياق القرآني لم يخرج عن المعنى اللغوي لها، حيث مر بنا في تعريفات اللغويين للحجة بأنها البرهان ،أو ما دوفع به الخصم، وهذه هي المعاني التي دارت حولها لفظة الحجة الواردة في سياق الآيات .

وقد ملأ الله تعالى كتابه العزيز من الحجج التي تقطع كل شبهة تعترض سبيل الحق، وتلجم كل خصم ألد . وكانت هذه الحجج تارة يأتي الله تعالى بها ابتداء من عنده، وتارة على لسان نبي من أنبيائه ، وتارة في ثنايا قصة من القصص ، وتارة على لسان طير .

المطلب الثالث : مراتب الحجة .

عند حديث الباحث عن المعنى الاصطلاحي للحجة ، ورد في بعض التعريفات _كتعريف التهانوي– ما يشير إلى أن الحجة على مراتب ، حيث ذكر منها الحجة الإلزامية وقال : "هي المركبة من مقدمات مسلمة عند الخصم ".

---

1 – سورة الجاثية : آية (25).

2 – سورة الأنعام : آية (83).

3 – سورة الأنعام : آية (149).

4 – سورة البقرة : آية (150)

5 – انظر الفيروزبادي، بصائر ذوي التمييز ، (2/ 431) .

وهذا ما يقتضيه المنطق والعقل السليم ، إذ ليس كل حجة تطرح تكون مقبولة ، ولا كل حجة مقبولة تكون مساوية للأخرى في القوة ، بل هي على مراتب.

وقد عد العلماء خمس مراتب من الحجج ، بعضها مقبول والآخر مرفوض .

وهذه الحجج هي : الحجة البرهانية ، والحجة الجدلية ، والحجة الخطابية ، والحجة الشعرية ، والحجة المغالطية أو السوفسطائية . وفيما يلي عرض وتفصيل لهذه الأنواع.

أولا: الحجة البرهانية.[1]

هذه أعلى مرتبة من مراتب الحجج ، ولذلك تسمى أيضا بالبرهان ، والبرهان هو آكد الأدلة، وقد تسمى أيضا ب " القياس البرهاني" [2]وتتألف هذه الحجة من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة مقبولة [3] فهي إذن مفيدة لليقين الجازم [4] الذي لا يتطرق إليه أدنى احتمال أو شك ، لأن النتيجة تبع للمقدمة ، فإذا كانت المقدمة يقينية ،كانت النتيجة يقينية كذلك . فلو قلنا : مَنْ قدر على إنشاء شيء ابتداء ، قدر على إنشائه مرة أخرى ، فالنتيجة إذن : يكون قادرا على إنشائه مرة أخرى .

ويلاحظ هنا أن مقدمات هذه الحجة كانت يقينية ، فلا مجال للشك في صحتها ، فكانت النتيجة يقينية تبعا لمقدماتها، وهذه هي الحجة البرهانية .

والقرآن الكريم قد تضمن هذا النوع من الحجج ، فهو إذن منهج سلكه القرآن في إقامة الحجج على الجاحدين والمنكرين.

---

[1] – انظر: جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة**، ص (129) ، والميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص (298).

[2] – انظر : ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، **مجموع الفتاوي** ، 37جزءا، **كتاب المنطق** ، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز(10/9). وسيشار إليه لاحقا : ابن تيمية ، المنطق

[3] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص 298.

[4] – انظر : جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة** ، ص 129 .

ومن الأمثلة على الحجج البرهانية في القرآن الكريم ، قوله تعالى :(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[1] ، وقوله :(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[2].

ففي هاتين الآيتين ، يسوق الله تعالى حججا برهانية في الرد على من أنكر البعث يوم القيامة . ويمكننا صياغة هذه الحجة على النحو التالي : كل قادر على الخلق قادر على إعادته ، فالله إذن قادر على إعادة الخلق من جديد [3].

ويلاحظ في هذه الحجة أن مقدماتها كانت يقينية ، فقضية الخلق ابتداء عيانية مشهودة ، وفي كل يوم تتكرر، فلا مجال للشك فيها أو المجادلة . فإذا ثبتت قدرة الله تعالى على الخلق أول مرة _ وهذا علم يقينا_ ثبتت قدرته على إعادة الخلق من جديد يقينا . لكن الكفار –مع يقينهم بهذه المقدمات التي ساقت إلى النتيجة– رفضوا النتيجة التي أفضت إليها تلك المقدمات ، وهذا هو السفه بعينه ، والجحود والعناد الذي لا يصدر إلا ممن اتبع الهوى وحجب العقل عن أداء وظيفته .وصدق الله حيث قال فيهم:(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً)[4].

ثانيا : الحجة الجدلية [5]

هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الحجج ، وقد يسميها بعضهم ب"القياس الجدلي"[6] وهي الحجة المؤلفة من مقدمات تكون مشهورة بين الناس ، ويعتقدون بها اعتقادا مقاربا لليقين ، فلا يشعر الذهن لأول النظر فيها بأن نقيضها ممكن ، فالكل إذن يسلم بهذه المقدمات ويعرفها . لكن

---

[1] – الأعراف : (29).

[2] – يس: (79).

[3] – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص299.

[4] – النمل : (14).

[5] – انظر : جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة** ، ص129. والميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص299.

[6] – انظر : ابن تيمية ، **المنطق** ، ص 10.

هذه المقدمات لا ترقى في الحقيقة إلى مرتبة اليقين التام ، لذلك تأتي في مرتبة دون مرتبة الحجة البرهانية ، فهي إذن أعلى مرتبة من الظن الراجح ، ودون مرتبة اليقين .

وقد تضمن القرآن الكريم هذا النوع من الحجج . ومن الأمثلة عليه في القرآن الكريم الحجة التي ساقها الله تعالى للاستدلال على ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جل وعلا ، وأن من مقتضى العدل عدم التسوية بين المسلمين والمجرمين في المصير والجزاء ، بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض[1].قال تعالى: (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**)[2].

وقال :(**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**)[3].وقال :(**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ**)[4] .

ففي هذه الآيات رد مفحم على كل من ينكر البعث ويستبعد وقوع الساعة ، حيث أقام الله تعالى عليهم الحجة " بمقتضى العدل " الذي يقر به الجميع ، وبين لهم أن من مقتضى العدل الإلهي عدم التسوية بين المجرم العاصي ، والمؤمن الطائع وأن القول بالتسوية بينهما في المصير، حكم لا يصدر إلا ممن طرأ على عقله خلل في التفكير أو ابتلي بسفه العقل وفساد الرأي[5]. يقول الشهيد سيد قطب تعليقا على قوله تعالى (**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ...**) : " يدخل معهم في جدل لا تعقيد فيه ولا تركيب ، ويتحداهم ويحرجهم بالسؤال تلو السؤال عن

---

1 – انظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص300.

2 – سورة القلم ، الآيتان (35-36) .

3 – سورة ص ، آية (28) .

4 – سورة غافر، آية(58) .

5 – انظر : الالوسي ، **روح المعاني** ، (33/29) .

أمور ليس لها إلا جواب واحد تصعب المغالطة فيه . والسؤال الاستنكاري " **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** " هو سؤال ليس له إلا جواب واحد . لا . لا يكون ، فالمسلمون المذعنون لربهم لا يكونون أبدا كالمجرمين الذين يأتون الجريمة عن لجاج يسمهم بهذا الوصف الذميم ، وما يجوز في عقل ولا في عدل أن يتساوى المسلمون والمجرمون في جزاء ولا مصير" [1].

وهذا النوع من الحجج هو ملزم ، لأن مقدماتها شبه يقينية ، فلا مجال للجدل فيها . فقضية العدل الإلهي الذي سيق كمقدمة للاستدلال به على ضرورة اليوم الآخر هي قضية مسلم بها ، ويعتقدها الجميع ، مسلمون وكفار،وإنما نزلت مرتبتها عن درجة اليقين لأن قضية العدل الإلهي _ وإن كان يقر بها الجميع _ تبقى قضية معنوية غير ملموسة ،ومن هنا كانت الحجة الجدلية في مرتبة أعلى من الظن الراجح وأدنى قليلا من اليقين .

ثالثا الحجة الخطابية .

" وهي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر الأخذ بها ، لأنها غير ملزمة الصدق في الكلام ، وهي تفيد ظنا راجحا مقبولا ، لأنها تعتمد على مقدمات ظنية " [2].

وقد اعتمد القرآن هذا النوع من الحجج كحجج مضافة إلى الحجج البرهانية والجدلية حول توحيد الألوهية [3].

ومن الحجج الخطابية في القرآن قوله تعالى :**(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[4].

---

1 – قطب ، في ظلال القرآن ، (8/237_238) .

2 – جريشة ، أدب الحوار والمناظرة ، ص129.

3 – انظر : الميداني ، ضوابط المعرفة ، ص 301.

4 – سورة الروم ، آية(28) .

هذه حجة احتج بها الله سبحانه على المشركين ، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء ، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها في نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم ، فهي مقررة في نفوسهم ومعلومة عندهم . فقال : هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء لكم في المال والأهل وتخافون أن يقاسموكم فيها ويشاطروكم إياها ويستأثروا ببعضها عليكم ، كما يخاف الشريك من شريكه ، وهل ترضون ذلك لأنفسكم ؟ فإذا كنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم ، وأنتم عبيد ، فكيف ترضون ذلك لله الذي هو رب العبيد ؟[1].

رابعا: الحجة الشعرية[2] .

يعتمد هذا النوع من الحجج على تحريك النفس ، والتلاعب بمشاعر المخاطب ، حتى يستجيب لها . ولا يشترط في هذا النوع من الحجج أن تفيد ظنا راجحا مقبولا ،لأنها قد تعتمد على مقدمات كاذبة وهمية وصور وخيالات لا يخفى كذبها على السامع[3] ومع ذلك يصدقها لكونها سيطرت على مشاعره ووجدانه . وكثيرا ما كان الشعراء يستخدمون هذا اللون من الحجج في شعرهم ، لأجل السيطرة على مشاعر الآخرين وتحريك النفوس بالاعتماد على مقدمات خيالية وهمية .

ولا نقول إن القرآن قد احتوى على حجج شعرية بالمفهوم السابق لأجل تحريك النفوس وإثارة المشاعر اعتمادا على مقدمات خيالية وهمية ، فحاشى للقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ذلك .

---

[1] – انظر : ابن القيم ، ، **الأمثال في القرآن** ، ص20 .

[2] – لا نقول إن القرآن قد احتوى على حجج شعرية بالمفهوم الذي وضعه العلماء الذين صنفوا في مراتب الحجج، ولكن في الوقت نفسه نستطيع القول إن حجج القرآن استطاعت أن تحرك النفوس وتثير العاطفة وكل ذلك اعتمادا على الصدق في أعلى درجاته ، من غير اللجوء إلى التمويه والخداع ، وهذا سر في الإعجاز القرآني.

[3] – انظر: ابن تيمية ، **المنطق** ، ص 10. وانظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة**، ص 302.

ولكننا نقرر في الوقت نفسه أن حجج القرآن_ بأنواعها المختلفــة _ قــد اســتطاعت أن تأخــذ بالعاطفة والوجدان على نحو جعلها تسيطر على القلوب اعتماداً على الحق والصدق ،من غيــر اللجوء إلى الخيال أو الأوهام .

فلا غرابة أن تجد كل حجة من حجج القرآن _ مع كونها برهانية أو جدلية أو خطابية _ هي في الوقت نفسه شعرية[1] . بل قد تجد من حجج القرآن ما جمع بين هذه الأنواع الأربــع فــي آن واحد . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وكثير من المقدمات _مع كونها خطابيــة أو جدليــة _ يقينية برهانية ، بل كذلك مع كونها شعرية . ولكن هي من جهة التيقن بها تسمى برهانية ، ومن جهة شهرتها عند عموم الناس وقبولهم لها تسمى خطابية ومن

جهة تسليم الشخص المعين لها تسمى جدلية "[2]. وكذلك يمكننا القول: ومن جهة سيطرتها على المشاعر وتحريك النفوس تسمى شعرية .

اقرأ قوله تعالى :(**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّــهِ رَبِّ الْعَــرْشِ عَمَّــا يَصِفُونَ**)[3] ، وانظر كيف جمع الله في هذه الآية كل أنواع الحجج المقبولة ، وكل ذلــك مــع التزام الصدق في أعلى درجاته . وجاء في كتاب النبأ العظيم للشيخ دراز تعليقا على هذه الآية : "انظر كيف اجتمع الاستدلال والاستعظام في هذه الكلمات القليلة . بل الدليل نفسه جــامع بــين عمق المقدمات اليقينية ، ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من الفساد

---

1 – وممن ألمح إلى ذلك أيضا : الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه القيم (النبأ العظيم) . انظر: دراز، الشيخ محمد عبد الله ، **النبأ العظيم** ، جزء واحد ، ط2 ، دار القلم ، 1390هج =1970م ، ص 117.وسيشار إليه لاحقا : دراز ، النبــأ العظيم .

2 – ابن تيمية ، **المنطق** ، ص10 .

3 – الأنبياء ، آية (22) .

والترهيب منه ، فهو برهاني خطابي شعري معا ، فهل تجد مثل هذا في كتاب من كتب الحكمة النظرية "[1].

إن اتسام حجج القرآن جميعها بكونها شعرية ، كان له أثر عظيم على النفوس ، وجعلها حججا مقبولة لدى كل فئة من فئات البشر ، لأن الحجة الواحدة تنطوي على عنصرين اثنين هما الأساس الذي يجعل الحجة مقبولة ، وهذان العنصران هما : إقناع العقل وإثارة العاطفة ، فكانت حجج القرآن جامعة لكل سبل الإقناع . وهذا ما جعل حجج القرآن تلقى قبولا لا مثيل له في عرف البشر لما اشتملت عليه من هذه الميزة التي جعلته بحق كتابا خالدا في إعجازه، إلى ما شاء الله أن يكون .

خامسا : الحجة المغلطية .

والحجة المغلطية هي ما يشبه الحق وهي باطل [2] ، أو هي الحكمة المموهة التي تجعل السامع يغتر بها لأول وهلة تطرق سمعه .

وهذه الحجة يعتمد صاحبها على مقدمات كاذبة ، وفيها تمويه وخداع[3] ، وهي بهذا الاعتبار حجة مرفوضة في ديننا والقرآن .

لكن ابن القيم ذكر نوعا من الحجج المغالطية ، وبين أنه يقوم على لغز ، بمعنى أن المقدمة يكون فيها لغزا لا يتأتى فهمه إلا لمن أوتي حظا من مرونة في التفكير وسرعة البديهة . وقد مثل على هذا النوع بمثالين :

---

[1] دراز ، **النبأ العظيم** ، ص 117.

[2] – انظر: ابن تيمية ، **المنطق** ، ص10.

[3] – انظر : جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة**، ص 130.

أولهما : ما كان من موقف إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام التي كان يعبدها قومه، ثم جوابه لهم عندما سألوه عمن قام بتحطيمها بقوله: (**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**)[1][2].

فهذه كانت مغالطة من سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهي تنطوي على لغز لأجل أن يقيم الحجة على قومه، ويبين لهم فساد ما هم مقيمون عليه من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع . وقد كانت إجابته تبكيتا لهم ، ولفتا لنظرهم ، وإثباتا أنه هو الفاعل دون سواه .

حيث لم يكن إلا هو والصنم ، والصنم لا يمكن أن يصدر منه ذلك ، فثبت بالدليل أنه هو الفاعل ، ولم يكن قصده نسبة الفعل للصنم على الحقيقة، بل من جهة أن الصنم هو الذي أغاظه كثيرا فحمله على التكسير، فصار كأنه هو الفاعل للفعل [3].

وقد نجح سيدنا إبراهيم عليه السلام في إقامة الحجة على قومه في بادئ الأمر، بدليل قوله تعالى (**فرجعوا إلى أنفسهم**)[4] أي : عادوا إلى رشدهم وعقولهم وأدركوا فساد هذه العبادة وبطلانها ، لكنهم عادوا ونكسوا على رؤوسهم مرة أخرى .

ولا شك أن إبراهيم عليه السلام كانت مغالطته القائمة على لغز لأجل إحقاق الحق وإبطال الباطل . وهي بهذا الاعتبار مقبولة .

وثانيهما : ما كان من موقف النمرود مع إبراهيم عليه السلام ، حينما قال إبراهيم : " ربي الذي يحيي ويميت " فقال النمرود : " أنا أحيي وأميت " فهذه كانت مغالطة من النمرود ليغلب إبراهيم

---

1 – الأنبياء : (63)

2 – انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** ،جزء واحد، ط1، بيروت – دار الكتب العلمية، 1402هج=1982م، ص181. وسيشار إليه لاحقا : ابن القيم ، الفوائد المشوق .

3 – انظر : حجازي ، محمد محمود ، التفسير الواضح ، 30 جزءا ،القاهرة– مطبعة الاستقلال ط4،1388هج=1968م ، (17/ 23-24). وسيشار إليه لاحقا : حجازي ، التفسير الواضح.

4 – الأنبياء: 64.

عليه السلام بالحجة ؛ إذ أنه قصد إحياء وإماتة غير التي يقصدها إبراهيم عليه السلام ، فقد قيل إنه أتى بأحد الناس فحكم عليه بالموت ثم عفا عنه وهذا في نظره "إحياء" وجاء بـآخر فحكـم عليه بالموت ثم قتله وهذا في نظره "إماتة"، ولكن مقصود إبراهيم عليه السلام في وصف ربـه كان إحياء وإماتة بغير آلة ، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه [1].

ويظهر في هذه المغالطة أنها تعتمد على مقدمة تنطوي على لغز في نفس النمرود ، وهدفه كان إبطال الحق وإظهار الباطل، وهي بهذا الاعتبار مرفوضة .

---

1 – انظر : ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص181.

المبحث الثاني

طرق القرآن في الاحتجاج

أولا: المناظرة والجدل.

ثانيا: الحوار.

ثالثا: القصة .

رابعا: سوق الحجة ابتداء من غير مناظرة ولا حوار ولا قصة.

المبحث الثاني

طرق القرآن في الاحتجاج .

لم يقتصر القرآن الكريم في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة ، بل تنوعت طرقــه في عرضها لتكون ألزم للحجة ، وأدعى إلى القبول والملاءمة لكل عقل بشري وحالة نفسية في كل زمان ومكان ، تحقيقا لخلود القرآن وإعجازه إلى ما شاء الله .

وقد ذكر الدهلوي فــي كتابــه " الفــوز الكبيــر " أن القــرآن الكــريم اتخــذ طــريقين للاحتجاج:الأول:أن تذكر العقيدة الباطلة ثم ينص على شناعتها وفسادها واستنكارها فحسب.

والثاني : أن تحدد الشبهات التي وقع فيها المضلون ثم تعــرض حلولهــا وأجوبتهــا بالأدلــة البرهانية أو الخطابية [1].

ويفهم من الطريق الأول الذي ذكره ، أن الله يحتج على بطلان ما يعتقده الكفار بوصف شناعته وتقبيحه ، ومن الثاني إخراجها على طريق المناظرة وغيرها، فيعرض ما قالوه ويحدد الشبهات التي وقعوا فيها ، ثم ينقضها بالدليل والحجة .

والذي يراه الباحث أن الطريق الأول الذي ذكره الدهلوي – وهو ذكر العقيدة ثم تقبيحها– لا نستطيع عده من طرق الاحتجاج ، كونه لا يدخل في إطار الحجج العقلية التي نتحدث عنها .

والحق ، أن الذي يستقرئ حجج القرآن، فإنه يجده قد سلك في إقامتها أربع طرق رئيسة:

الطريقة الأولى : **المناظرة والجدل .**

الطريقة الثانية : **الحوار .**

الطريقة الثالثة : **القصة .**

---

[1] – انظر : الدهلوي ، أحمد بن عبد الرحيم ، (ت1176هج) ، **الفوز الكبير في أصول التفسير** ،جزء واحد ،ط2، دار البشائر الإسلامية ، 1987م– 1407هج ص22. وسيشار إليه لاحقا : الدهلوي ، الفوز الكبير.

الطريقة الرابعة : **سوق الحجة ابتداء من غير مناظرة ولا حوار ولا قصة .**

أولا: المناظرة والجدل .

شغلت المناظرات القرآنية مساحة كبيرة في باب الحجج القرآنيـة ، ويمكننـا القـول: إن الغالبية العظمى من حجج القرآن قد أخرجت بطريق المناظرة . فالمناظرة كانـت مـن أوسـع الطرق التي اتخذها القرآن في إقامة أدلته وحججه في الرد على المنكرين أو المعترضين وتفنيد مزاعمهم وافتراءاتهم .

والمناظرة في اللغة مأخوذة من الأصل " نَظَرَ" . وبتتبع أقوال أهل اللغة لمعنى هذا الأصل نجد أنه يدور على ثلاثة معانٍ :

الأول : النظر ، الذي هو حس العين [1] . ومنه قوله تعالى : (**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)[2].

والثاني : النظر ، أي الانتظار [3] . ومنه قوله تعالى :(**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**)[4].

والثالث : النظر ، وهو الفكر في الشيء [5] . ومنه قوله تعالى :(**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)[6] . أي تفكروا في حالها ودلالتها على صانعها . وقد تكون مـأخوذة مـن النظيـر بمعنى المِثْل [7] .هذا من حيث اللغة.

أما المناظرة من حيث الاصطلاح : فهي " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين

---

[1] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة " نظر" (215/5)

[2] – سورة القيامة ، آية (23).

[3] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (216/5)

[4] – سورة الحديد ، آية (13) .

[5] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، (216/5) .

[6] – سورة يونس ، آية (101) .

[7] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، (5/ 216) .

الشيئين إظهارا للصواب " [1] . أو هي " علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم " [2] . ويقصد بالآداب : الطرق . وبالمطلوب : الغرض من المناظرة وهو البحث في الموضوع المختلف فيه بهدف الوصول إلى وجه الحق فيه.

وجه الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

إن المناظرة إما أن تكون مأخوذة من النظير، أو من النظر بمعنى الإبصار، أو من النظر بمعنى التفات النفس إلى المعقولات والتأمل فيها ، أو بمعنى الانتظار .

فوجه الارتباط: أن في الأول إيماء إلى أنه ينبغي أن تكون المناظرة بين متماثلين ، بحيث لا يكون أحدهما في غاية العلو والثاني في غاية الدناءة .وفي الثاني ،لأن كلا من الطرفين يقابل الآخر ويبصره . وفي الثالث إيماء إلى أولوية التأمل ، بأن لا يقول ما لم يتأمل فيما يريد قوله، أو أن كلا الطرفين يتأمل قول الآخر. وفي الرابع جدير أن ينتظر أحد الخصمين إلى أن يتم الآخر كلامه [3].

وأما الجدل، فقد وقفنا على تعريفاته في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي[4] ولا ضرورة للتكرار.

وقد رأى الباحث التسوية بين الجدل والمناظرة في القرآن ، لأن كليهما قد يطلق على الآخر في القرآن . فقد يطلق الجدل ويراد به المناظرة وذلك كما في قوله تعالى : (وجادلهم

---

[1] – المناوي ، التعاريف ، ص 678.انظر : نكري ، دستور العلماء ، (3/ 233-234).

[2] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، (208/4).

[3] – انظر : نكري ، دستور العلماء ، (3/ 233-234).

[4] – انظر هذه التعريفات : الفصل التمهيدي ، المبحث الثاني ، ص : 24-25 من هذا البحث .

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1] وقوله:(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[2]. وباختصار لم يفرق العلماء بين جدل القرآن ومناظراته ، فجدله مناظراته ومناظراته جدله.

وقد تنوعت المناظرات في القرآن بالنسبة إلى الأطراف المتناظرة . وفيما يلي تفصيل لذلك .

أولا: المناظرة بين الله –جل شأنه– والملائكة .

قال تعالى :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)[3] .

" هذه مناظرة من الملائكة والجواب عن سؤالهم . كأنهم قالوا : إن استخلفت في الأرض خليفة كان منه الفساد وسفك الدماء ، وحكمتك تقتضي أن لا تفعل ذلك ، وإن جعلت فيها فستجعل فيها من يسبح بحمدك ويقدس ، ونحن نفعل ذلك . فأجابهم تعالى عن هذا السؤال بأن له من الحكمة في جعل هذا الخليفة في الأرض ما لا تعلمه الملائكة ، وإن وراء ما زعمتم من الفساد مصالح وحكما لا تعلمونها "[4] ثم احتج على ما جرى مجرى الاعتراض – ولا نقول اعتراض– بأن علم آدم من الأسماء ما لا تعلمه الملائكة ليبين للملائكة فضل هذا الخليفة– الذي أراد الله جعله في الأرض– عليهم .

---

[1] – سورة النحل ، آية (125).

[2] – سورة العنكبوت ، آية (46) .

[3] – سورة البقرة ، الآيات (30–33) .

[4] – ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص 102.

ثانيا : المناظرة بين الله-جل ذكره- وبين إبليس اللعين .

وقد وردت هذه المناظرة في أكثر من موضع في القرآن . منها قوله تعالى :(**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ*قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ*قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**)[1] .

ثالثا: المناظرة بين المؤمنين والمنافقين.

ومن ذلك قوله تعالى في المناظرة التي أثبتها الله في أوائل سورة البقرة :(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ**)[2].

فهذه مناظرة جرت بين المؤمنين والمنافقين . فقال لهم المؤمنون : لا تفسدوا في الأرض فأجابهم المنافقون بقولهم : إنما نحن مصلحون . وكأن المناظرة انقطعت بين الفريقين ، فحكم العزيز الحكيم بين الفريقين بأن رد على المنافقين بأربع : الأول: تكذيبهم . والثاني : الإخبار بأنهم هم المفسدون . والثالث : حصر الفساد فيهم " هم المفسدون" والرابع: وسمهم بغاية الجهل وهو أنهم لا شعور لهم البتة . وبذلك قامت الحجة عليهم ، وثبت فسادهم في الأرض على نقيض ما ادعوه من الصلاح والخير [3] .

---

1 – سورة الأعراف ، آية (11-13) .

2 – البقرة : (11-12) .

3 – انظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 90.

رابعا : المناظرة بين الأنبياء وأقوامهم .

لم تكن قضية الإيمان التي دعا إليها الأنبياء مسلمة ، بل كانت تلقى الكثير من الاعتراض والرفض من المدعوين ، ولكن أنبياء الله لم يسلموا لهذا الاعتراض بل كانوا يؤدون الأمانة التي كلفوا بها ، ولم يدخروا جهدا في تبليغها بشتى الطرق والوسائل.

وكثيرا ما كان الرسل يلجأون إلى مناظرة أقوامهم كأسلوب من أساليب الدعوة والإقناع وإقامة الحجة عليهم ،حتى لا يبقى لهم أدنى عذر للتولي عن الإيمان والعكوف على الضلال.

والقرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والرسل أثبت بين دفتيه كثيرا من هذه المناظرات التي جرت بين الرسل وأقوامهم ، وهم يؤدون واجب الدعوة التي كلفوا بها ، لإثبات العقائد التي جاؤوا بها ،وإبطال عقائد الشرك وأعماله .

ومن ذلك ما جرى بين نوح عليه السلام وقومه ، حيث بدأهم بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ*أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ)[1]. فردوا عليه بتهم أربع : أنه بشر ، وأنه لا يتبعه إلا الأراذل ، وأنه ليس له عليهم فضل ، وأخيرا أنه من الكاذبين .(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)[2].

فرد عليهم بقوله: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ*وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا

[1] – سورة هود ، الأيتان 25،26.

[2] – سورة هود آية (27).

أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)[1] .حتى وصل بهم إلى درجة الإفحام فلم يملكوا شيئا يقولونه إلا أن طلبوا منه أن يعجل لهم العذاب الذي توعدهم به .(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[2][3] .

هذا نموذج من النماذج التي أثبتها الله في كتابه في باب مناظرات الأنبياء مع أقوامهم ، وغيرها في القرآن كثير .

ثانيا : الحوار.

ومن الطرق التي اتخذها القرآن في إقامة الحجج على الناس ، الحوار . ولعل بعض العلماء لم يفرق بين الحوار وبين المناظرة والجدل في القرآن ،حيث عدهما شيئا واحدا .

ولكن إذا نظرت في المحاورات التي أثبتها الله في كتابه فستلاحظ صنفين منها . صنف يبتدئ فيه المتحاورون بالتخاصم من أول الأمر ، كل يريد إثبات دعواه فيما ذهب إليه . وهذا الصنف نستطيع تسميته "مناظرة أو جدل" .وصنف ثانٍ يبتدئ فيه الطرفان لا على أنهما خصمان يختلفان في الاعتقاد والمذهب، بل هما شريكان فيه . وهذا ما نستطيع تسميته بالحوار.

ولتوضيح هذا الأمر ، نضرب هذين المثالين : عندما حاور سيدنا إبراهيم عليه السلام النمرود في المناظرة التي أثبتها الله في سورة البقرة:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

1 – سورة هود الآيتان 29،28.

2 – سورة هود أية(32).

3 – انظر : جريشة ، أدب الحوار والمناظرة ، ص136-137.

الظَّالِمِينَ)[1].فواضح من خلال هذه الآية،أن النمرود بدأ مخاصما لإبراهيم من أول الأمر. وهذه مناظرة .

وحوار آخر في القرآن – وهو لإبراهيم عليه السلام أيضا– وهو يحاور قومه :(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ*فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ*فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[2].

فانظر إلى إبراهيم عليه السلام وهو يحاكي قومه في اعتقادهم ،ولا يعلن مخالفته لهم ، ولم يسفه أحلامهم ، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله، وتفهمهم لحجته. ثم لم يلبث أن كرّ على قولهم ينقضه، ولكن من طرف خفي ينبئ عن سداد في الرأي ونفاذ للبصيرة [3].

ولم يكن إبراهيم عليه السلام يعتقد هذه العبادة ، ولكنه نصّب نفسه في أول الأمر شريكا لقومه فيها، استدراجا لهم واستهواء لقلوبهم ،حتى إذا أحس منهم الإصغاء راح ينقض هذه العبادة شيئا فشيئا ، وقومه لا يبدون التخاصم معه، حتى إذا أعلن انصرافه عن آلهتهم وبراءته من عبادتهم ، عندها حاجوه في ذلك الذي فاجأهم به حيث لا يتوقعونه .وفي هذه المرحلة بدأت المناظرة .

فيلاحظ هنا أنه بدأ معهم شريكا في الاعتقاد ،وهو يحاورهم ويحاورونه في جو من الهدوء حتى إذا أعلن مخالفته لهم انقلب الحوار إلى مناظرة بينه وبينهم كل يريد إثبات رأيه.

---

[1] – البقرة : (258).

[2] – سورة الأنعام الآيات (75-79).

[3] – انظر:جاد المولى، محمد أحمد، **قصص القرآن**، جزء واحد،دمشق -بيروت. دار النصر ،1404هـ- 1984م، ص44-45، وسيشار إليه لاحقا: جاد المولى : قصص القرآن .

ثالثا : القصة .

شغلت القصة أذهان البشر على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعقلية والثقافية ، حتى أصبح لها سلطان على النفوس . ولا زالت القصة موضع إثارة وجلب انتباه ، لما لها من وقع كبير تتركه في النفس . وهي طريقة سهلة للتأثير في العقول وبث المراد في القلوب. لذا ، كان القصص القرآني " هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز "[1].

فالقصص القرآني؛ كما سيق لأغراض إيضاح أسس الدعوة وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، سيق أيضا لمقارعة أهل الكتاب وغيرهم بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما في كتبهم قبل التحريف والتبديل . اقرأ قوله تعالى وهو يخبر بالقصة عن بني إسرائيل ليقيم الحجة عليهم :**(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[2][3].

والقصة القرآنية كانت من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن في محاججة مخالفيه وإلزامهم وإفحامهم ، لنفي كل العقائد الباطلة التي كان يدين بها أهل الكتاب والمشركون وغيرهم ، كذلك لتثبيت أصول هذا الدين وزرع مبادئه في النفوس [4].

---

1 – الخطيب ، د. عبد الكريم ، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، جزء واحد ، ط2،بيروت– دار المعرفة، 1395هج=1975م ، ص8 . وسيشار إليه لاحقا : الخطيب ، القصص القرآني .

2 – سورة آل عمران، آية(93).

3 – انظر:القطان، الشيخ مناع، **مباحث في علوم القرآن**،جزء واحد، ط9،بيروت– مؤسسة الرسالة، 1400هـج=1980م ص307.وسيشار إليه لاحقا : القطان ، مباحث في علوم القرآن.

4 – انظر: طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، **مع الأنبياء في القرآن** ، ط20، دار العلم للملايين، 1999م،ص24. وسيشار إليه لاحقا : طبارة ، مع الأنبياء في القرآن .

فلم يكن القرآن في قصصه يقْصِدُ سَرْدَ الأحداث التاريخية مجردة ، بل إنه كان يعرضها عرضا أدبيا يهز العاطفة ويثير الوجدان ، جاعلا من تلك الحقائق التاريخية عظة وعبرة وهداية وإرشادا وإلزاما وإفحاما لكل منكر أو جاحد .

ولما كان من أهداف القصص القرآني الرد على شبهات المعارضين والمنكرين ، وإثبات صدق التوحيد والرسالة وغيرها من العقائد ، فإنك تجد القصص كله مملوءا بالحجج القاطعة ، التي تلجم كل عاص متكبر ، ولا تكاد تمر بقصة من قصصه إلا وجدتها تحمل في ثناياها حجة بالتلويح أو التصريح .

وموضوع القصص القرآني يتعدد .

1- فتارة يكون موضوعه رجلا محترما من قِبَلِ مَنْ يحتج القرآن عليهم ، إذ يدّعون محاكاته في دينه واتباعه في ملته ، فيجيء برهان الله ودليله على لسانه ، فيكون ذلك أكثر اجتذابا لأفهامهم ، وأقوى تأثيرا في قلوبهم، وإقناعا لعقولهم .

انظر إلى قصة إبراهيم مع أبيه ، ترى في القصة حججا واضحة وقوية تبطل عبادة الأصنام التي تمسك بها المشركون الذين يدعون متابعته . قال تعالى : (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً*إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً*يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً*يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً*يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**)[1].

---

[1] - سورة مريم ، الآيات (41-45).

ففي هذا الجانب من قصة إبراهيم عليه السلام ، ترى كيف تضمنت برهانا قاطعا وحجة دامغة على فساد عبادة الأصنام ، إذ كيف يعبد الإنسان شيئا دونه في المنزلة ؟ فالإنسان يتمتع بالسمع والبصر والحس والعقل ، والأصنام التي يخضع لها ويذل لها لا تتمتع بذلك . وهذا أبلغ حجة على فساد هذه العبادة .

وهذه الحجة كانت ردا على المشركين الذين آثروا عبادة الأصنام على التوحيد ، وتمسكوا بها ودافعوا عنها كِبْراً منهم وعنادا ، ومجيئها على لسان رجل يعترف المشركون أنفسهم بفضله يعطيه قوة فوق قوته الذاتية ، فتكون الحجة التي أقيمت عليهم ملزمة لهم من جهتين : من جهة الحجة ذاتها ، لأن العقل السليم يقنع بها ويسلم لها . ومن جهة أن الذي قالها رجل محترم في نظرهم ، يدّعون اتباعه والسير على نهجه وخطاه ، فهم ملزمون بقوله، ومأخوذون برأيه[1].

2- وتارة تأتي الحجة في ثنايا قصة ثلة من الشباب المؤمن ، الذي آمن بالله ربا ومعبودا ،وثار على الطاغوت وأهله. كما جاء في قصة أصحاب الكهف :(**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً *هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ ممن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**)[2].

ففي هذه الآيات جاء على لسان هؤلاء الفتية حجة تبطل عبادة الطاغوت ، حيث كان يعكف عليها قومهم . فقد ذكر أكثر المفسرين أن هؤلاء الفتية كانوا في زمن ملك جبار ، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فَثَبَّتَ الله هؤلاء الفتية وعصمهم عن الزلل والإتباع ، حتى قالوا بين يديه " ربنا رب السماوات والأرض" [3] فبينوا بالدليل أن الذي يستحق العبادة هو الذي خلق السماوات وما فيهن والأرض وما فيها، ومن ليس كذلك فلا يستحق عبادة ولا خضوعا . ثم

---

1 – انظر ، أبو زهرة ، **تاريخ الجدل** ، ص 66.

2 – الكهف : الآيتان (14،15).

3 – انظر : الشوكاني ، **فتح القدير**، (332/3).

بينت القصة على لسان هؤلاء الفتية الطريق الصحيح والمنهج المستقيم للاعتقاد ، وهو أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه ، وبرهان له سلطان على النفوس ، وإلا فهو الكذب في أبشع صوره وأشكاله ، لأنه كذب على الله الذي لا تخفى عليه خافية :(هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)[1][2]. وهذه حجة أخرى من الفتية على قومهم وهي مطالبتهم بالدليل على ما يذهبون إليه من عبادة .

ولعل الإتيان بهذه الحجة على لسان فتية في مقتبل عمرهم ، ليكون هؤلاء الفتية قدوة لكل شاب ثار على الباطل ، لأن مجيئها على لسانهم أقرب إلى الأفهام ، وأدعى إلى القبول والإقناع لكل من هو في سنهم ، إذ كل إنسان يميل إلى اتخاذ قدوته ممن هو في عمره ومستواه . فكانت هذه القصة –بما في طيها من حجة–توجيها إلى الشباب خاصة ، ليكون هؤلاء الفتية النموذج الأمثل، والقدوة الحسنة، ومصدرا للحكمة التي يسترشد بها في كل عصر .

3– وتارة يجيء الدليل والحجة في ثنايا قصة على لسان حيوان أعجم ، فيكون في ذلك غرابة تسترعي الذهن ،وتثير الانتباه ، حتى تملأ النفس بالحقيقة إيمانا وخشوعا .كما جاء دليل التوحيد وبرهانه الساطع على لسان هدهد سليمان عليه السلام : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ*لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ*فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ*إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ*وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

[1] – الكهف، آية(15).

[2] – انظر: قطب، في ظلال القرآن ، (375/5).

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ*أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ*اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[1][2].

ففي هذه القصة ساق الله حجة على لسان الطير، حيث وصف الله تعالى وصفا يوجب اختصاصه باستحقاق السجود والتوحيد والعبادة ، ردا على من يسجد لغيره . فإن الذي يخـــرج الخـــبء ، وهو المخبوء في السماوات والأرض ؛ من غيث في السماء ونبات في الأرض ونحو ذلك ، هو الذي يستحق أن يسجد له ويعبد في الأرض[3].

4- وتارة يجيء الاحتجاج في ثنايا قصة عبد مؤمن يكتم إيمانه خشية الطغيان ، ويجيء الدليل على لسانه وهو يتحدث باسم العقل والمنطق المجرد عن الإيمان ، فلا يطرح نفسه مؤمنا يحاجج عن المؤمنين-كونه يخفي الإيمان- بل يطرح نفسه كالمنصف الذي لا يحتكم لشيء سوى العقل المجرد ، وهذا يعطي الحجة قوة فوق قوتها ،كون المحتج -في الظاهر- واحدا ممن يحتج عليهم .ومن ذلك قصة الرجل المؤمن الذي حاور فرعون بشأن موسى عليه السلام ، إذ قال الله مخبرا عن قصته : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[4]. قال الزجاج : " فهذه طريقة يذهب فيها المنـــاظر إلـــى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل ، وإنما ذكر البعض ليوجب الكل ، لأن البعض من الكل فالقائل إذا قال : أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقـــل مـــا

---

1 - سورة النمل ، الآيات (20-26).
2 - انظر: أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص 64.
3 - انظر : الطبري ، جامع البيان ، (150/19).
4 - سورة غافر، آية (28).

يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصـــم أن يدفعـــه. فكأن المؤمن قال لهم : أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم" [1]

5- وقد يجيء الاحتجاج بقصة من القصص الغابرة ، حدثت مع نبـــي أو غيـــره . لكنـــه احتجاج بالفعل لا بالقول ، إذ الحادثة ذاتها تكون موضع الاحتجاج على من حدثت معه، ولمـــن سيأتي بعده من البشر.

مثال ذلك ما احتج الله به على قدرته على الإحياء مرة أخرى ، وذلك في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؛ إذ قال الله تعالى مخبرا عنهم :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِـــنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَـــى النَّـــاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ)[2].

قال ابن كثير : " فقاموا وهم أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد موتهم مدة طويلة وهـــم يقولـــون سبحانك لا إله إلا أنت . وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يـــوم القيامة، ولهذا قال " إن الله لذو فضل على الناس" أي فيما يريهم من الآيات البـــاهرة والحجـــج القاطعة والدلالات الدامغة ولكن أكثر الناس لا يشكرون "[3].

ومنه أيضا قوله تعالى في معرض الاستدلال على إمكانية البعث في سورة البقرة :

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

---

[1] - الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ،(ت-311هج) ، **معاني القرآن وإعرابه** ، 5أجزاء ، تحقيق : د.عبد الجليل عبده ، ط1،بيروت- عالم الكتب، 1408هج -1988م (372/4) ، وسيشار إليه لاحقا: الزجاج، معاني القرآن .

[2] - سورة البقرة آية (243) .

[3] - انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (113/1).

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ)[1].ففي هذه الآية لم يشأ الله أن يحتج على هذا الرجل بالقول ، بل احتج عليه بإيقاع فعل على نفسه، ليكون هو ذاته الحجة التي يرد بها عليه، وفي ذلك أعظم إلزام بالحجة له، ولمن يأتي بعده من البشر حيث قال "ولنجعلك آية للناس"[2].

الطريق الرابع: سوق الحجة من الله ابتداء في غير سياق المناظرة

هذا هو المسلك الرابع الذي سلكه القرآن في إقامة الحجج ، ويقصد الباحث بهذا الطريق : سوق الحجة من الله تعالى ابتداء في غير سياق المناظرة أو الحوار أو القصة .وبعبارة أخـرى هو ما سوى الطرق الثلاثة السابقة التي مضى الحديث عنها .

فكثيرا ما كان الله تعالى يذكر آيات كونية مقرونة بالنظر والتدبر، للاستدلال على أصول العقائد، كتوحيده سبحانه في الألوهية والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر . وقد قرر القرآن كثيرا من الحجج بهذا الطريق .

ومن ذلك، قوله تعالى في سورة البقرة : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ*إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّـاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[3][4] .

ففي الآية الأولى دعوة صريحة من الله تعالى لتوحيده في الألوهية خاصة ، ونفي للتعـدد ، ردا على المشركين الذين أقروا بالربوبية وجحدوا الألوهية . وفي الثانية سـاق الله تعـالى الحجـة الملزمة لتوحيد الألوهية . فكأنه يقول إذا كان وحده الخالق فكيف لا يكون وحده المعبود؟ وكيف

1- البقرة :(259).

2 - انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (315/1).

3 - سورة البقرة ، الآيتان (163-164).

4 - انظر : القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص 302.

تجعلون له شريكا في العبادة وأنتم مقرون بأنه لا شريك له في الخلق ؟ وهذه طريقة القـرآن، حيث كان يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية [1].

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[2].

---

[1] – انظر : ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة، ص 93.

[2] – سورة البقرة ، الآيتان(21–22).

المبحث الثالث

أساليب الاحتجاج في القرآن

السبر والتقسيم -الترقي والتدلي-التحدي -الاختراع -الهدم -الاستدراج -التوسع

القياس(قياس العكس-قياس العلة- قياس الدلالة -قياس الخلف)

القول بالموجب-الانتقال-تعليق الأمر على مستحيل

المناقضة-التسليم للخصم في بعض مقدماته -مطالبة الخصم بالدليل

إظهار التشهي والتحكم-رد المسائل إلى أمور بدهية معروفة

بيان ما وقع فيه الخصم من اللبس والاشتباه

سلب العام بإثبات قضية جزئية موجبة

المبحث الثالث

أساليب القرآن في الاحتجاج

تمهيد :

يهدف هذا المبحث إلى الوقوف على الأساليب التي سلكها القرآن في إقامة الحجج. ولا أزعم أنني سأضع بين يدي القارئ كل هذه الأساليب ، فهذا ما لا طاقة لبشر به مع كتاب لا تنضب معانيه ، ولكنني سأحاول جاهدا أن أكشف العديد منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

والحق ، أن هذا المبحث وسابقه هو جوهر موضوع هذه الدراسة ومحورها الرئيسي ، إذ هدف الباحث في الأساس إلى الكشف عن منهج القرآن في الاحتجاج .

وحتى لا يلتبس الأمر على القارئ ، ينبه الباحث على أمرين اثنين :

الأول : إن علاقة هذا المبحث بالمبحث السابق أنه مكمل ومتمم له ؛ إذ المبحث السابق تناول الخطوط العريضة والمحاور الرئيسة التي سلكها القرآن في الاحتجاج ، وهذا المبحث يتناول الأساليب التي طبقها في إطار المحاور الرئيسة .

وإنما كانت تسميتنا للمبحث السابق " طرق الاحتجاج "، وهذا المبحث "أساليب الاحتجاج" لأن الطريقة أعم من الأسلوب ؛ فالأسلوب يطبق في إطار الطريقة[1] .

والأمر الثاني الذي يود الباحث الإشارة إليه ، أن القارئ سيجد بعض حجج القرآن يرد ذكرها تحت أكثر من أسلوب ، وليس هذا تكرارا للأساليب ، ولا تناقضا في الأسلوب الذي سلكه النص أو الحجة ، وإنما جاء ذلك نتيجة طبيعية لكون كثير من حجج القرآن تحمل أكثر من أسلوب في الاحتجاج، وسيلْمَسُ القارئ هذا الأمر.

---

[1] – انظر : حمدان ، محمد زياد ، **التنفيذ العملي للتدريس** ، جزء واحد ،عمان– دار التربية الحديثة ،985، ص 192، بتصرف يسير . وسيشار إليه لاحقا : حمدان ، التنفيذ العملي للتدريس

أساليب القرآن في الاحتجاج.

أولا : السَّبْر والتقسيم .

والسبر في اللغة مأخوذ من سَبَرَ الجرح ، أي نظر ما غوره .

والمسبار "بالكسر" هو ما يسبر به الجرح ، وكل أمر رزته فقد سبرته [1].

وقال ابن منظور :" السبر هو استخراج كنه الشيء" [2] .

والتقسيم من قسَّم الشيء إذا جزأه .

أما السبر والتقسيم في الاصطلاح فهو : " حصر الأوصاف التي توجد في الأصل والتي تصلح للعلة في بادئ الرأي ثم إبطال ما لا يصلح منها فيتعين الباقي للعلية" [3].

" فالمناظر وهو يسلك هذا السبيل في الاحتجاج ،يقوم بالبحث عن معان مجتمعة في الأصل ويتتبعها واحدا واحدا ويبين خروج آحادها عن صلاح التعليل به إلا واحدا يراه ويرضاه"[4] .

ويلاحظ من التعريف الاصطلاحي للسبر والتقسيم ،أن المحتج بهذا الأسلوب يسلك مسلكين : مسلك الحصر ومسلك الابطال. أما مسلك السبر فيطلق على الإبطال ، والتقسيم يطلق على الحصر ، وهذا ما عليه أكثر العلماء [5] وقد عكس آخرون فأطلقوا السبر على الحصر ، والتقسيم على الإبطال [6].

---

1 – انظر : الرازي ، **مختار الصحاح** ، ص 119.

2 – ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (سبر) ، (340/4) .

3 – النشار ، سامي على ، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام** ، ط3،بيروت– دار النهضة، 1980م ص 120.

4 – انظر: المرجع السابق ، ص120.

5 – انظر: المرجع السابق، ص120.

6 – انظر:الشوكاني ، **إرشاد الفحول** ، ص364.

والناظر في حجج القرآن يجد أن هذا الأسلوب كان من أساليب القــرآن فــي إقامــة الحجــج والبراهين والرد على أرباب الشكوك والشبهات ، قال الشوكاني : " وقد نطق به القرآن ضــمنا وتصريحا في مواطن كثيرة منه "[1].

ومن الأمثلة عليه في القرآن قوله تعالى :(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُــلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*وَمِــنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَــامُ الْــأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[2].

قال السيوطي في الإتقان : " فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى رد الله تعالى عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال : إن الله تعالى خلق من كل الأزواج مما ذكر، ذكــرا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته ؟ لا يخلو: إما أن يكون من جهــة الــذكورة، أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما . أو لا يُدْرى له علة ، وهو التعبدي ، بأن أخذ ذلك عــن الله تعالى . والأخذ عن الله إما بوحي وإرسال رسول ،أو سماع كلامه

ومشاهدة تلقي ذلك عنه ، وهو معنى قوله " أم كنتم شهداء إذ وصاكم بهذا ، فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها .

والأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما .

والثاني : يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما .

---

1 – المرجع السابق ، ص 364.

2 – سورة الأنعام ، الآيات (143–144).

والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا . فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة ، لأن العلة تقتضي إطلاق التحريم . والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه . وبواسطة رسول كذلك باطل لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدّعَى ، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال "[1].

ومنه أيضا قوله تعالى :(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[2].

قال ابن القيم : " ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطف مغزاه ، فإنه أخذهم على طريقة التقسيم فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا ، فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه . وإن كان صادقا فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له "[3]، فلا أفضل لكم من أن تتركوه وشأنه ولا تتعرضوا له بالأذى . والشاهد في الآية واضح .

وقد قسم الشوكاني هذا الأسلوب في القرآن إلى قسمين : الأول مصرح به ، ومثل عليه بالمثال الذي أورده السيوطي . والثاني : ضمني غير مصرح به ، ومثل عليه بقوله تعالى :(وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[4][5].

ثانيا : التّرَقّي والتّدَلي في الاحتجاج بحسب ما يقتضيه الحال .

يقصد بالترقي تناول الأدنى فالأعلى ، وعكسه التدلي وهو تناول الأعلى فالأدنى .

---

[1] – السيوطي ، **الإتقان** ، (173/2) .

[2] – سورة غافر ، آية (28) .

[3] – ابن القيم ، **الفوائد المشوق** ، ص (322–323)

[4] – سورة **الأنعام** ، آية (139).

[5] – انظر : الشوكاني ، **إرشاد الفحول** ، ص 364.

وكل من الترقي والتدلي كان من أساليب الاحتجاج في القرآن ، فكان تارة يبتدئ بـــالأدنى فالأعلى وتارة يبتدئ بالأعلى فالأدنى ، وكل ذلك بحسب ما يقتضيه الموقف ويفرضه الحـــال ، بما يجعل الحجة أبلغ في التحدي والإلزام ، وأقرب إلى التسليم والإفحام .

أولا : أمثلة على الترقي.

ومن الأمثلة على أسلوب الترقي في القرآن ، قوله تعالى :**(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّـــهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَـــا أَمْ لَهُـــمْ أَيْـــدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ)**[1].

" بدأ الله تعالى بالأدنى لغرض الترقي ، لأن منفعة الرابع أعم من منفعة الثالث،فهو أشرف منه ، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني ، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول فهو أشرف منه " [2].

وفي هذه الحجة أثبت الله تعالى أن الأصنام التي يعبدها الكفار أمثال الكفار في كونها مخلوقة ومقهورة ، ثم حطَّها عن درجة المِثْلِيَّةِ بنفي المماثلة بين صفات الكفار وصفات الأصنام، فأخذ ينفي الصفات من الأدنى منفعة إلى الأعلى حتى سلب أسباب المماثلة جميعها بالتدرج [3] ولا شك أن سلب المماثلة: أضعفها فأقواها كان أبلغ في إقامة الحجة من سلب الأقوى فالأضعف في مثل هذا المقام ؛ إذ المقام مقام بيان ضعف الأصنام وأنها دون الإنسان في كل شـــيء ، ولا شك أن البدء بنفي الأضعف عنها أبلغ ، لأن نفي الأضعف نفي لما هو أقوى منه بطريق الأولى، ولو بدأ بالأعلى لبقي عند السامع احتمال أن تتصف بما هو أدنى ، فكانت الحجة بهذا الأسلوب أقطع وأبلغ وألزم في تأدية الغرض المطلوب .

---

1 – سورة الأعراف ، آية (194–195).

2 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (3/270–271).

3 – انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (3/ 270–271).

ومنها أيضا الأسلوب الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام في نقض عبادة قومه . قال تعالى:(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ*فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ*فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1] .

فقد يتساءل السامع : لِمَ بدأ إبراهيم عليه السلام بالكوكب[2] ثم القمر ثم الشمس ؟ أي لِمَ بدأ بالأدنى إلى الأعلى ؟ والجواب على ذلك : إن إبراهيم عليه السلام في مقام الاحتجاج هذا كان يستخدم مع قومه أسلوب الاستدراج والملاطفة في الكلام، حتى يضمن سماعهم له إلى آخر حجته، في جو هادئ بعيدا عن الشغب والمنازعة . وقد كانت الشمس أشرف معبود لقومه ثم يليها القمر ثم الكوكب ، فبدأ بالكوكب الذي هو أدنى معبود لهم في الشرف والمقام ، لأنه الأبعد عن نفوسهم ، فلا تعلق لهم به كبير ، ثم بالقمر الذي يليه في المرتبة ثم بالشمس التي هي في أعلى المراتب . فكان استخدامه للترقي رعاية للمقام ، إذ المقام مقام استدراج واستلطاف للمخاطبين ، ولو بدأ بالشمس لنفروا عنه ونازعوه من أول الأمر كونه مسّ أشرف معبود لهم.قال الآلوسي : " وكذلك في حجة إبراهيم عليه السلام ، اتبع معهم أسلوب الترقي في إقامة الحجة، رعاية للإيجاز والاختصار، فبدأ من الأدنى إلى الأعلى مبالغة في التقرير والإلزام على ما هو اللائق بذلك المقام "[3] " وكان تقديم بطلان إلهية الأصنام على ما ذكر من باب الترقي"[4]

---

[1] – سورة الأنعام ، الآيات (75-79).

[2] – قيل: الزهرة ، وقيل المشتري . انظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ،الدر المنثور،8أجزاء،بيروت –دار الفكر ،1993م،(306/3). وسيشار إليه لاحقا: السيوطي ، الدر المنثور.

[3] – الآلوسي ، روح المعاني ، (203/7) .

[4] – انظر : المرجع السابق ، (199/7).

ثانيا : التدلي .

أما الأسلوب الثاني وهو التدلي ، فقد استخدمه الله تعالى مع المشركين في تحديه لهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن .وقد كانت مراحل التحدي أن يأتوا بمثله كاملا، ثم تحداهم بعشر سور مثله، ثم بسورة واحدة منه . وأسلوب التدلي في هذا الاحتجاج واضح . ولكن لمـــاذا اســـتخدم الله هـــذا الأسلوب في الاحتجاج عليهم ؟ والجواب على ذلك : إن الموقف كان موقف إظهار عجز مطلق لكل البشر عن أن يأتوا بمثل القرآن مع توبيخ وتحقير لمن ادعى نفي القرآن من عند الله . ولا شك أن استخدام أسلوب التدلي في الاحتجاج كان أبلغ في التحدي وإظهار عجز المشركين وبيان ضعفهم وتوبيخهم ، كما لو قلت لمدعي حفظ الشعر: اقرأ لي معلقة فلان . فعجز . فقلت اقــرأ عشرة منها ، فعجز . فقلت اقرأ بيتا واحدا فقط ، فعجز . فتكون بهذا الأسلوب قد أسكته وجعلته ينظر في عجزه على نحو لا لبس فيه .

ثالثا : التحدي[1] .

وقد كان التحدي من أهم الأساليب التي اتخذها القرآن في الاحتجاج . ولا يُقصد بالتحـــدي ما هو متعلق بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وخوارقه التي كان الله يجريها على يديه ، بل يقصد به أن يطلب القرآن من أصحاب الضلال ومثيري الشبهات والشكوك أن يأتوا بفعـــل معين، إذا قاموا به كان دليلا لهم على صدق دعواهم ،وإن عجزوا دل على كذبهم وقيام الحجـــة عليهم .

وقد تضمن القرآن كثيرا من الحجج التي جاءت بهذا الأسلوب منها:

---

[1] – انظر : أبو زهرة ، **تاريخ الجدل** ، ص72.

1- تحدى الله تعالى المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بشيء من مثله . فقد تحدى الله

تعالى بالقرآن أمة العرب ، بل الناس كافة ، ووقع هذا التحدي على مراحل :

أولها : تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن كله . قال تعالى :(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ*فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)[1].

ثانيها : ثم لما عجزوا تحداهم بعشر سور مثله . قال تعالى :(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[2].

وثالثها : ثم لما عجزوا تحداهم بسورة واحدة من مثله.قال تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[3].ولما عجزوا الثالثة سجل الله تعالى عليهم الهزيمة ، وأعلن قيام الحجة عليهم ، وكذبهم فيما ادعوه من نسبة القرآن إلى بشر ، فقال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[4][5]. ولا زال التحدي بالقرآن جارياً إلى قيام الساعة

2-ومن حجج القرآن بأسلوب التحدي ، آية المباهلة . والمباهلة هي مفاعلة من الابتهال ، وهي الضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد . ومما جاء فيها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدى نصارى من أهل نجران أن يأتوا بأبنائهم ونسائهم، ويأتي الرسول بأبنائه ونسائه، ثم يجتمع الجميع في مكان واحد يبتهلون إلى الله ويضرعون إليه بإخلاص وقوة أن ينزل لعنته وغضبه على من كان كاذبا من الفريقين ، فأبى المدعوّون -وهم النصارى من أهل نجران- أن يستجيبوا لها، وخافوا ولاذوا بالفرار منها، وبذلك قامت عليهم الحجة .قال تعالى :(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ

---

[1] - سورة الطور ، الآيتان ، (33-34).

[2] - سورة هود آية (13) .

[3] - سورة البقرة ، آية (23).

[4] - سورة الإسراء، آية (88).

[5] - انظر : الزرقاني ، مناهل العرفان ، (312/1-313).

مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[1][2].

ومنه أيضا : قوله تعالى :(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[3].

فتحداهم الله تعالى أن يتمنوا الموت ليكون هذا التمني دليلا لهم على صدق مدعاهم ، ثم أعلن في الحال أنهم لن يتمنوا الموت أبدا لأنه عليم بما في نفوسهم .

رابعا : الاختراع .

ويُقصد بهذا الأسلوب من أساليب الاحتجاج: أن القرآن ذكر معاني من الحجج لم يسبقه إليها أحد من البشر .قال ابن القيم : " الاختراع أن يذكر المؤلف معنى لم يُسبق إليه، واشتقاقه من التليين والتيسير .. فكأن المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم إلى الوجود " [4].

ومثال ذلك في القرآن ما احتج الله تعالى به على بطلان عبادة الأصنام . قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[5].

قال ابن القيم : " لم يَسْمَع أحدٌ بهذا التمثيل قبل نزول القرآن ، ولا قريبا منه ، ولو سمع لكان

---

[1] – سورة آل عمران ، آية(61).

[2] – انظر : الزرقاني ، **مناهل العرفان** ، (400/2). وانظر : السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ،(ت-911هج) **لباب النقول في أسباب النزول**،جزء واحد ،بيروت –دار إحياء العلوم ، ص52-53.وسيشار إليه لاحقا : السيوطي،لباب النقول.

[3] – سورة الجمعة ، الأيتان (6-7).

[4] – ابن القيم ، **الفوائد المشوق** ، ص331.

[5] – سورة الحج ، آية 73.

القرآن سابقا ، ولا يكون مثله ولا قريبا منه . وكذلك كل أمثال القرآن ليس لها أمثال"[1] . ولهذا لما سمع المشركون بهذا المثل في تحقير أصنامهم ، عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأنكروا أن يكون هذا مثلا ضربه الله فرد الله عليهم بقوله :

(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[2][3].

خامسا : الهَدْم.

والهدم هو : " أن يأتي الغير بكلام يتضمن معنى ، فتأتي أنت بضده ، فإنك تكون قد هدمت ما بناه المتكلم "[4]

فالهدم في القرآن كأسلوب من أساليب الاحتجاج هو :أن يورد الله تعالى قول المبطلين، ثم يأتي بضده ، فيكون الله تعالى رد عليهم قولهم ونفى ما يزعمون.

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى :(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)[5] فادعى اليهود في هذه الآية أمرين : أنهم أبناء لله وأحباؤه . فرد الله عليهم بأسلوب الهدم ، حيث قال :(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَد)[6] فهدم ادعاءهم أنهم أبناؤه . وقال :(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) فهدم ادعاءهم أنهم أحباء الله ، لأنهم ظالمون بشركهم وكفرهم . وهدمه أيضا بقوله :(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)[7] فإن الأب لا يعذب ابنه، بل يتسامح معه ، وكذلك المحبوب لا يعذب حبيبه.

---

1 – ابن القيم ، **الفوائد المشوق** ، ص331.

2 – سورة البقرة ، آية (26).

3 – انظر : القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، (ت–671ه)، **الجامع لأحكام القرآن** ، ع.الأجزاء 20 تحقيق : أحمد عبد الحليم البزدوي ،ط2،القاهرة– دار الشعب، 1372هج،، (242/1).انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (412/3) . وانظر ابن القيم ، **الفوائد المشوق** ، ص232.

4 – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (412/3) . وانظر ابن القيم ، **الفوائد المشوق** ، ص232.

5 – سورة المائدة ، آية (18).

6 – سورة المؤمنون ، آية (91).

7 – سورة المائدة، آية (18)

ومنه أيضا قوله تعالى:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ)[1].

هدمه الله تعالى بقوله :(ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ)[2] وقوله أيضا: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ)[3]
ومن هذا أيضا : ما رد الله به على المنافقين(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّـهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)[4] أي في دعواهم[5].

سادسا : الاستدراج .

والاستدراج هو " التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب، والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر"[6] .

وقد تضمن القرآن الكريم كثيرا من الحجج في الرد على المخالفين بهذا الأسلوب من أساليب الاحتجاج .

فمن هذا الباب قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ*فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ*فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[7].

فقد كان إبراهيم عليه السلام في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه

---

[1] – سورة التوبة ، آية (30).
[2] – سورة التوبة ، آية (30).
[3] – سورة المؤمنون ، آية (91).
[4] –. سرة المنافقون ، آية(1)
[5] – انظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (412/3). وابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص 232
[6] – ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص 322.
[7] – سورة الأنعام ، الآيات (75-78).

من عبادة الأصنام .وكان أشرفها عندهم الشمس ثم القمر ثم الكوكب [1] وقد تقدم الكلام حول هذه الحجة[2]، والذي يعنينا هنا، هو توضيح أسلوب الاستدراج فيها ؛ إذ يظهر الاستدراج في هذه الحجة من جانبين :

الأول : عندما أظهر إبراهيم عليه السلام نفسه شريكا في هذه العبادة، حتى أنه صرح بذلك (قال هذا ربي) . قال النسفي : " إن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل ، فيحكي قوله غير متعصب لمذهبه ، لأنه أدعى إلى قبول الحق وأنجى من الشغب "[3]

الثاني : أنه استخدم أسلوب الترقي في نقض هذه الآلهة التي كان يعبدها المشركون، وكان استخدامه لهذا الأسلوب تحقيقا للاستدراج الذي كان يتبعه معهم، ولو بدأ معهم بالشمس لبطل الاستدراج معهم . وقد تقدم الحديث حول ذلك .

ومنه أيضا قوله تعالى :(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[4].

ففي هذه الحجة نرى أن هذا الرجل سلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ليستدرجهم بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدعى لتصديقهم له[5].

سابعا :التوسع .

والذي يقصده الباحث من هذا الأسلوب هو : أن القرآن توسع في بعض حججه في تناول مظاهر كونية ساقها للاحتجاج ،حتى خاض في دقائقها وتفصيلاتها على نحو يجذب العقول إلى

---

1 – انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (152/2).

2 – انظر : ص: 127 من هذا المبحث

3 – انظر : النسفي ، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود ، (ت–701هج) ،(تفسير النسفي) المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، 4أجزاء، دار الفكر (20/2). وسيشار إليه لاحقا : النسفي ، تفسير النسفي.

4 – سورة غافر، آية (28).

5 – انظر : ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص 231.

تدبرها ،وتأمل ما فيها من دلالات واسعة على قدرة خفية تدبرها وتسير أمورها . وقد غلب هذا الطابع على حجج الله التي ساقها ابتداء[1] للاحتجاج بالربوبية على توحيد الألوهية .
ومنها في القرآن كثير .قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ*فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ*وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[2].

فانظر إلى هذه الآيات وتدبر كيف استطرد الله تعالى في بيان مظاهر قدرته في الكون ، فتناول قدرته في: الإحياءِ والإماتةِ والليلِ والشمسِ والقمرِ والنجومِ وخَلْقِ الإنسان وإنزالِ الماء ، وإخراجِ النباتات المختلفة من الأرض : النخل والعنب والزيتون والرمان .وكل ذلك في سياق حجة واحدة ساقها الله تعالى للاحتجاج على المشركين الذين عبدوا معه غيره ، ومن ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا كما زعمت اليهود والنصارى ، أو له بنات كما زعم مشركو العرب . ولذلك ختم الله الآيات بقوله : ((**إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**)) أي دلالات على كمال قدرة

---

[1] – يقصد بهذا النوع من الحجج : سوق الحجة من الله في غير سياق المناظرة أو الحوار أو القصة . انظر : المبحث السابق ، ص :

[2] – سورة الأنعام ، الآيات (95-99).

من خلق هذه الأشياء كلها فكيف يشرك بعبادته ، وكيف ينسب إليه الصاحبة والولد والبنت ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا!!

وقد تجد التوسع في وصف مظهر واحد من مظاهر قدرته تعالى، فترشدك الحجة إلى دقائقه وتفصيلاته كقوله تعالى : (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**)[1] وقوله: (**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**)[2].

فانظر إلى هاتين الآيتين كيف وصفتا عملية تكون المطر من البداية وحتى النهاية ، وكل ذلك بتفصيل دقيق وشامل .

ثامنا : القياس.

كان القياس في القرآن أبرز أشكال الاحتجاج ، وكثر استخدامه في سوق الأدلة العقلية نفيا وإثباتا ؛ نفي العقائد الباطلة، وإثبات قضايا الإيمان وعلى رأسها التوحيد .

والقياس بالمعنى العام هو "حمل فرع على أصل في بعض أحكامه بمعنى يجمع بينهما" [3] أو هو" صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها ، ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها ، فيأتي القياس منبها عليها أو ملزما للخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها "[4].

والقياس في القرآن لم يتخذ شكلا واحدا ، بل تعددت أشكاله تبعا لطبيعة الموضوع المستدل عليه. ومن هذه الأشكال :

أولا : قياس العكس.

---

1 – سورة النور ، آية (43) .

2 – سورة الروم ، آية (48).

3 – الشيرازي، ، **اللمع في أصول الفقه** ، ص196.

4 – جريشة ، **أدب الحوار والمناظرة** ، ص 128. وانظر : الميداني ، **ضوابط المعرفة** ، ص227.

وقياس العكس هو :" نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه " [1] وهو بعكس قياس الطرد الذي يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه [2].

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ*وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[3].

هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس ، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه . فالمثل الأول : ما ضربه الله لنفسه وللأوثان ؛ فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ، ينفق على عبيده كيف يشاء ، سرا وجهرا ليلا ونهارا ، ويمينه سحّاء لا يُغْضيها شيءٌ الليلَ والنهارَ[4] . والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء. فكيف تجعلونها شريكة لله في العبادة وتعبدونها من دون الله مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين بينهم؟!.[5]

والمثل الثاني ضربه الله لنفسه ولما يعبد من دونه من الأصنام أيضا . فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة ، ومع هذا أينما توجهه لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة ، فهل يستوي من كان هذا حاله بمن يتصف بكل صفات الكمال والقدرة المطلقة؟[6]

---

[1] – ابن القيم ، **الأمثال في القرآن** ، ص 21.

[2] – أنظر : المرجع السابق نفسه، ص21

[3] – سورة النحل ، الأيتان(75-76).

[4] – أي دائمة الصبِّ والهَطْل ، لا تُنْقِصها نفقة . انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة(سحح)(476/2).

[5] – انظر ، ابن القيم ، **الأمثال في القرآن** ، ص 21.

[6] – انظر : ابن القيم ، **إعلام الموقعين** ،عدد الأجزاء4 .تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد بيروت، دار الجيل ، 1973م، (161/1).

وقياس العكس في هذين المثلين واضح ؛ إذ أن الله تعالى سلب عن الأصنام علة الألوهية – وهي صفات الكمال والقدرة المطلقة – فاقتضى ذلك نفي الحكم عنها– وهو الألوهية–لانتفاء علته. وبذلك بطلت ألوهية الأصنام .

ثانيا: قياس العلة .

وقياس العلة هو " أن يحمل الفرع على الأصل بالمعنى الذي يتعلق به الحكم ، وذلك مثل قياس النبيذ على الخمر بعلة أنه شراب فيه شدة مطربة ، وقياس الأرز على البُر بعلة أنه مطعوم " [1].

وكان هذا القياس شكلا من أشكال الاحتجاج في القرآن . وقد صرح ابن القيم أن القرآن قد تضمنه ، حيث قال : " فأما قياس العلة فقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع منها قوله تعالى :(**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[2] ، فأخبر تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين ، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات وهو مجيئها طوعا لمشيئته وتكوينه ، فكيف يَستنكر وجودَ عيسى مِنْ غير أب مَنْ يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم، والصنفان نظيران ، يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به[3]. وتشبيه خلق عيسى بخلق آدم هو من باب تشبيه الغريب بالأغرب ، لأن خلق عيسى من خلق آدم ، وذلك ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس [4].

---

[1] – انظر : الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، (ت–476هج)، **المعونة في الجدل** ، جزء واحد ، تحقيق : علي عبد العزيز العميريني ،ط1،الكويت. جمعية إحياء التراث الإسلامي ، 1407هج ، ص 365. وسيشار إليه لاحقا : الشيرازي ، المعونة في الجدل .

[2] – سورة آل عمران آية 59.

[3] – انظر: ابن القيم ، **إعلام الموقعين** ، (134/1).

[4] – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** (426/3)

ومن قياس العلة في القرآن أيضا قوله تعالى :(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[1] .أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة ، واعلموا أن سبب ذلك كان تكذيبهم بآيات الله ورسله ، وهم الأصل وأنتم الفرع ، والعلة الجامعة التكذيب ، والحكم الهلاك [2].

ثالثا : قياس الدلالة .

وقياس الدلالة هو " الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها "[3].

ولتوضيح الفرق بين قياس الدلالة وقياس العلة، نضرب المثالين التاليين :

عندما نقيس تحريم النبيذ على تحريم الخمر، لعلة الشدة المطربة التي تجمع بين المقيس والمقيس عليه . فهذا قياس العلة .

وعندما نقيس تحريم النبيذ على تحريم الخمر بالرائحة الفائحة الملازمة للشدة المطربة (العلة) . فهذا يسمى قياس الدلالة[4] .

وبذلك يتضح لنا أن المعنى الجامع بين الأصل والفرع في قياس الدلالة هو ما يلزم عن العلة – وليس العلة ذاتها– أو بعبارة أخرى ما ينتج عنها ويكون أثرا لها .

وقياس الدلالة يكون على ثلاثة أضرب :

أحدها: أن يستدل بخصيصة من خصائص الشيء عليه .كقولنا في سجود التلاوة :إنه لا يجب لأنه يجوز فعله على الراحلة ، فأشبه سجود النفل ، وإن جواز فعله على الراحلة من خصائص النوافل، فيستدل به على أنه لا يجب .

---

1 – سورة آل عمران ، آية 137.

2 – انظر : ابن القيم ، **إعلام الموقعين** ، (134/1).

3 – المرجع السابق ، (138/1).

4 – انظر : الأمدي ، **الإحكام** ، (7/4).

والثاني : أن يستدل بالنظير على النظير . كقولنا في زكاة مال الصبي إن من وجب العُشْر في زرعه وجب رُبْع العُشر في ماله كالبالغ .

والثالث : أن يستدل بضرب من الشبه . مثل أن يقول في إيجاب الترتيب في الوضوء إنه عبادة يبطلها النوم ،فوجب فيها الترتيب كالصلاة [1].

وكل هذه الأنواع تندرج تحت مسمى واحد ، وهو قياس الدلالة. وقد كان هذا القياس أحد أساليب الاحتجاج في القرآن ، وأكثر الله تعالى من استخدامه خاصة في إثبات قضية البعث والمعاد الجسماني يوم القيامة ، ردا على المشركين وغيرهم ممن أنكر وقوعه .

والأنواع التي وقع الاحتجاج بها من هذا القياس في القرآن هي: الضربان الأول والثاني.

وهما :-

أولا : الاستدلال بخصيصة من خصائص الشيء عليه.

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى :(**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً *أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى*ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى*فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى*أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**)[2].

قال ابن كثير : " والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستدلا على الإعادة بالبداءة ... ثم قال أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى. أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النقطة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه ، وتناول القدرة للإعادة بطريق الأولى "[3]

---

[1] – انظر : الشيرازي ، **المعونة في الجدل** ، ص37.

[2] – سورة القيامة ، الآيات (36-40).

[3] – ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (453/4).

ويلاحظ هنا في هذا الاحتجاج، أن الله تعالى احتج بخصيصة من خصائص الإنسان، وهو أنـه كان ميتا فخلقه من العدم ،وهو قادر على أن يعيد خلقه مرة أخرى كما خلقه أول مرة.

فالأصل : خلق الإنسان من العدم في المرة الأولى .

والفرع : إعادة خلق الإنسان من العدم .

والعلة : الخلق من العدم .

ملزوم العلة : عموم القدرة . وهذا هو المعنى الجامع بين الأصل والفرع .

ومنه أيضا قوله تعالى : ((**كما بدأكم تعودون**))[1] وقوله : ((**كما بدأنا أول خلق نعيـده**))[2] فكلها من هذا الضرب .

ب- الاستدلال بالنظير على النظير .

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى :(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ**)[3].

ففي هذه الآية دل الله سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي عاينوه يقينا ، وشاهدوه بأنفسهم، على الإحياء الذي أنكروه واستبعدوه . فقاس إحياء على إحياء ، وإخراجا علـى إخـراج فـدل بالنظير على النظير ، وقرب أحدهما من الآخر في معنى جامع بينهما وهو إحياء بعـد مـوت وإخراج من الأرض الذي يلزم عنه عموم القدرة الإلهية في كل شيء ، فالذي قدر على الإحياء بعد موت -وهذا مشاهد- قادر على إحياء الإنسان يوم القيامة .[4]

ويلاحظ هنا في هذا القياس ما يلي:-

---

1 - الأعراف ، الآية : (29) .

2 - سورة الانبياء ، الاية : (104) .

3 - سورة الروم ، الاية : (19).

4 - انظر : ابن القيم ، إعلام الموقعين ،(139/1).

الأصل: إحياء الأرض بعد موتها .أو إخراج الحي من الميت أو الميت من الحي .

الفرع : إخراج الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة.

العلة :إخراج وإحياء بعد موت.

يلزم من العلة : وجود قدرة مطلقة . وهذا هو المعنى الجامع .

ويلاحظ أن الفرق بين هذا الضرب ، والضرب السابق من قياس الدلالة يتجلى في كون الضرب السابق : الاحتجاج بخصيصة من خصائص الشيء نفسه عليه .

(خلق الإنسان من العدم أول مرة "وهي خصيصة" ←—— خلق الإنسان من العدم مرة أخرى)

أما هذا الضرب : الاحتجاج على النظير بنظيره.

(إحياء الإنسان ←—— إحياء الأرض أو النبات). فإحياء الإنسان وإحياء النبات نظيران .

رابعا : قياس الخُلْف.

وقياس الخُلْف هو " الذي يُبَيِّنُ فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه "[1]. وقد يطلق البعض على هذا النوع من القياس اسم " دلالة التمانع"[2] وهي أسلوب من أساليب الاحتجاج. وقد اتجه القرآن الكريم إلى استخدام هذا الأسلوب في إقامة الحجج على منكري توحيد الألوهية .

قال تعالى:**(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)**[3]

ففي هذه الآية يقرر الله تعالى توحيد الألوهية على النحو التالي : " لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ، ولا يتسق على أحكام ، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما ، وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته ؛ فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة

---

[1] – أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص 66.

[2] – انظر : السيوطي ، الإتقان ، (173/2).

[3] – سورة الأنبياء ، آية (22) .

تجزئة الفعل –إن فرض الاتفاق– أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف ، وإمـــا أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه ، والإله لا يكـــون عاجزا "[1] .

وهنا يلاحظ أن الله تعالى أثبت توحيد الألوهية بإثبات استحالة نقيضها وهو التعدد .

ومنه أيضا قوله تعالى:(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ)[2].

فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا، يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر؛ فلو كان معه سبحانه إله آخر يشاركه في ملكه، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ لا يرضـــى شـــركة الإلـــه الآخر معه ، بل إن قدر على قهره والتفرد بالألوهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفـــرد بخلقه وذهب به ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد مـــنهم على قهر الآخر والعلو عليه . فلا بد من أمور ثلاثة :-

1-إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

2-وإما أن يعلو بعضهم على بعض .

3- وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد . ويكون وحده هو المتصرف فيهم وهـــم العبيـــد المقهورون .

وانتظام أمر العالمين –العلوي والسفلي– وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام لا يختلـــف ولا يفسد أَدَلُّ دليل على أن المدبر واحد ، كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحـــد ، فـــذلك

---

[1] - السيوطي ، **الإتقان** ، (173/2).

[2] - سورة المؤمنين ، آية (91).

تمانع في الفعل والإيجاد ، وهذا تمانع في الغاية والألوهية . فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان [1]

تاسعا: القول بالموجب.

وهو من أساليب الاحتجاج في القرآن . قال التهانوي :" القول بالموجب عند الأصوليين من أنواع الاعتراضات . وعند أهل البديع هو من المحسنات المعنويه . وأما عند النظار -وهو ما يعنينا- فحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه ."[2]

وهو قسمان : أولهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أُثْبتَ له ، فثبتها خصمه لغير ذلك . ومثال ذلك : ما أورده الله تعالى للرد على المنافقين : (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)[3].

ففي هذه الآية يرد الله على المنافقين ادعاءهم آخذا الرد من مضمون كلامهم وفحواه ؛ إذ الأعز وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، والأذل كناية عن فريق المؤمنين . وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهي – لله ولرسوله وللمؤمنين- . فكأنه قال : صحيح ذلك ليخرجن الأعز منها الأذل ، لكن من هو الأعز ؟ ومن هو الأذل؟ المؤمنون هم الأعزاء . وأنتم الأذلاء المخرجون من المدينة.

والقسم الثاني : حَمْل لفظٍ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه. [4]

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى:

---

[1] – انظر : ابن القيم ، **التفسير القيم** ، جمعه: محمد أويس الندوي. وحققه : محمد حامد الفقي .بيروت- دار الكتب العلمية، 1398هج=1978م ،ص371. وسيشار إليه لاحقا: ابن القيم ، التفسير القيم .

[2]– التهانوي : **كشاف اصطلاحات الفنون** ، (550/3-551). وانظر، السيوطي ، **الاتقان** ، (174/2).

[3] – سورة المنافقون ، آية (8).

[4] – انظر : السيوطي ، **الإتقان** ، (174/2).

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[1].

وهذا أيضا كان ردا من الله على المنافقين الذين بسطوا ألسنتهم بالسوء للطعن بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث اتهموه بأنه يصغي لكل متحدث ويصدق كل قول ، وذلك بوصفه "أذن" فرد الله تعالى ردا من فحوى كلامهم ، وكأنه قال لهم : نعم . هو أذن ولكن نِعْمَ الأذن ، لأنه أذن خير لكم ، والمعنى أنه يسمع الخير ولا يسمع الشر [2].

عاشرا : الانتقال.

الانتقال هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه ، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول[3]، أو لإمكان المغالطة فيه وحمله على معنى غير مقصود.

وقد سجل الله في كتابه الكريم هذا الأسلوب من الأساليب ، وذلك في المناظرة التي جرت بين الخليل والنمرود الجبار . إذ قال إبراهيم (ربي الذي يحيي ويميت) فقال الجبار(أنا أحيي وأميت). ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله . فعلم إبراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مقصوده من الإحياء والإماتة ،أو أنه علم ولكنه غالط في الدليل . فانتقل إبراهيم إلى استدلال آخر لا يجد النمرود سبيلا للمغالطة فيه أو المراوغة . فقال:((**إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**)) . فانقطع عن الكلام ، ولم يتمكن من قول شيء أمام هذه الحجة القاطعة[4].

ولقد كان هذا أسلوبا حكيما من إبراهيم عليه السلام في الاحتجاج ، إذ لم يشأ أن يخوض معه في بيان تأويله الفاسد لقضية الإحياء والإماتة ، لأن ذلك سيخرج الحديث عن موضوعه

---

[1] – سورة التوبة ، آية (61).

[2] – انظر : الشوكاني ، فتح القدير ، (375/2).

[3] – انظر : السيوطي ،الإتقان ، (174/2).

[4] – المصدر السابق : (174/2).

.وهذا ما كان يبتغيه الجبار ، ولو خاض إبراهيم عليه السلام في ذلك لضاع الحق في معمعة الجدل ، ولكن إبراهيم عليه السلام قطع عليه الطريق بأن نقله إلى دليل آخر.

حادي عشر:تعليق الأمر على مستحيل .

وهذا أيضا من أساليب الاحتجاج في القرآن . ومعناه أن تعلق أمرا على مستحيل، إشارة واحتجاجا على عدم وقوعه، فيكون في ذلك مبالغة في تقرير ما يرده المحتج .

وقد ذكر الزركشي في البرهان أن هذا أسلوب من أساليب القرآن ، ولم يصرح أنه من أساليب الاحتجاج . ولكن الباحث- من خلال النظر في المثال الذي أورده – رأى أنه أسلوب من أساليب الاحتجاج في القرآن .

فقد ذكر الزركشي أن من أساليب القرآن "إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ، ليدل الكلام على بقية جمله . ثم أورد عليه مثالا قوله تعالى :(**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**)[1] ،حيث علق الله تعالى أمر عبادة النبي صلى الله عليه وسلم لغير الله-ولده على ما يزعمون- على أمر مستحيل، وهو أن يكون لله تعالى ولد ، وهذا أمر بعيد وقوعه، ولا شك أن الجملة تحمل في طيها حجة بالغة تنفي أن يكون لله ولد . فالمعنى : ليس لله ولد فلا أعبد سواه .[2]

أما السيوطي في الإتقان فقد عد هذا أسلوبا من أساليب الاحتجاج تحت نوع أطلق عليه اسم "المناقضة" حيث عرف المناقضة – كأسلوب من أساليب الاحتجاج- بأنها "تعليق أمر على

---

1 – سورة الزخرف : الاية (81)

2 – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (383/2).

مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه " . ثم مثل عليه بقوله تعالى: (وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)[1][2].

والذي يراه الباحث أن المناقضة كانت أسلوبا من أساليب الاحتجاج في القرآن ، ولكن ليس بالمفهوم الذي ذهب إليه السيوطي في الإتقان ، بل على ما سيأتي بيانه الآن .

ثاني عشر : المناقضة .

والذي يعنيه الباحث من هذا الأسلوب هو" إبطال دعوى الخصم وإقامة الحجة عليه وذلك بإظهار تناقض دعواه مع ما جرى عليه، أو ما جرى عليه فريقه، أو ما جرى عليه الجنس البشري .

وقد ألمح ابن القيم إلى هذا الأسلوب وذلك عند تعليقه على قوله تعالى :(...وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)[3][4].

ومن خلال تعريف الباحث للمناقضة ، يتضح أنها على ثلاثة أنواع :

الأول : دعوى الخصم تناقض فعله .

الثاني : دعوى الخصم تناقض فعل فريقه.

الثالث : دعوى الخصم تناقض فعل الجنس البشري.

ولكل منها أمثلة في القرآن .

أولا : إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع فعله . ومثاله قوله تعالى :(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[5]

---

[1] – سورة الأعراف ، آية (40).

[2] – انظر : السيوطي ، الإتقان ، (174/2) .

[3] – البقرة : (89).

[4] – انظر : ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص 115.

[5] – البقرة : (89).

فهذه حجة على اليهود في تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا يحاربون جيـــرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبي قبل ظهوره ، فيفتح لهم وينصـــرون ، فلمـــا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به وجحدوا نبوته، وهذا تناقض بيّن ، وحجة عليهم[1] .

ثانيا: إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع فعل فريقه .

ومثاله قوله تعالى: (**الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَـــانٍ تَأْكُلُـــهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)[2].ففـــي هذه الآية يورد الله تعالى إدعاء أهل الكتاب من اليهود، واحتجاجهم على عدم الإيمـــان برســـالة محمد،أن الله عهد إليهم في كتابهم التوراة أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم ببرهان ودليل صادق ، فأرشد الله نبيه أن يرد عليهم بأن الله بعث لهم رسلا [3] وجاءوا ببراهين صادقة كما يقولون ، فلماذا قام فريقهم بقتلهم ولم يؤمنوا لهم ؟. وهكذا بطلت حجتهم بتناقضها مع فعل فريقهم .

وإنما قلت(فعل فريقهم) مع أن الآية نسبت القتل إليهم ، لأن الآية أخبرت عن إخوانهم الذين سبقوهم ، وإنما نسب القتل إليهم على سبيل المجاز[4] لا الحقيقة لأنهم علموا به ورضوه فكانوا كمن فعله .

ثالثا: إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع ما جرى عليه الجنس البشري .

ومن أمثلته قوله تعالى :(**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**)[5].

---

[1] – انظر: ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 114-115.

[2] – سورة آل عمران ، آية (183).

[3] – انظر: البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء(ت–516هج) **معالم التنزيل**،4أجزاء،تحقيق : خالد العك –مروان سوار ، ط2 ،بيروت– دار المعرفة، 1407هج –1987م(380/1).ووسيشار إليه : البغوي ، معالم التنزيل

[4] – انظر : البغوي ، **معالم التنزيل** ، (380/1).

[5] – سورة القصص آية 48.

يقول تعالى ذكره: فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير ،فبعثناك إليهم نذيرا بالحق من عندنا ، قالوا –تمردا على الله وتماديا في الغي-: هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا –وهو محمد صلى الله عليه وسلم– مثل ما أوتي موسى من الكتاب،فأرشد الله تعالى نبيه أن يرد عليهم :قل يا محمد لقومك من قريش القائلين لك(**لولا أوتي مثل ما أوتي موسى**): أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك[1].

فكأنَّ الله يريد أن يقول لهم : دعواكم غير صحيحة، ولو أوتي مثل ما أوتي موسى ما آمنتم به، والدليل على ذلك أن موسى أوتي هذا، ومع ذلك كفر به قومه ،ولن يكون حالكم بأفضل من غيركم.

ثالث عشر : التسليم للخصم في بعض مقدماته .

والذي يعنيه الباحث بهذا الأسلوب هو أن: تسلم للخصم في مقدماته ثم تبين له أنها لا تتنافى مع ما يدعى إلى اعتقاده .

وقد ألمح السيوطي في الإتقان إلى هذا الأسلوب تحت نوع من أساليب الاحتجاج سماه"مجاراة الخصم" ، وعرفه بأنه " مجاراة الخصم –ليعثر–، بأن تُسلّم بعضَ مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه "[2] وإنما عدل الباحث عن تسمية السيوطي هذه، لكون مجاراة الخصم تكون بأكثر من أسلوب ؛ فالاستدراج فيه مجاراة للخصم ، والانتقال فيه مجاراة للخصم ، والتسليم للخصم في بعض مقدماته فيه مجاراة للخصم .

مثال ذلك : قوله تعالى : (**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا**

---

[1] – انظر:الطبري ، جامع البيان ، (83/20).

[2] – السيوطي ، الإتقان ، (174/2).

عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ*قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّـهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[1].

" فترى من ذلك أن الرسل سلموا بالمقدمة التي بنى عليها القوم رفضهم ، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم (ولكن الله يمن على من يشاء)، فكأنهم قالوا : ما قلتموه من أننا بشر صحيح ، ولكن ما تريدون أن تبنوه عليه من إثبات أننا لسنا برسل باطل به ، لأن الله يمن على من يشاء من عباده، فلا مانع من أن يمن علينا بالرسالة "[2]

رابع عشر : مطالبة الخصم بالدليل .

وهذا أيضا كان من أساليب الاحتجاج في القرآن .ومعناه أن يطلب المحتج من خصمه برهانا على ما يدعيه . فلا تقبل دعوى من غير برهان ، إذ لا يعجز كل أحد أن يدعي ما يشاء من اعتقاد وتشريع . وهذا ما لا يقبله عقل ولا شرع .

وقد كرر الله تعالى هذا الأسلوب في مواطن متعددة منه .

قال تعالى :(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[3]وقال : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ)[4].وقال :(أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَـنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[5].

---

[1] – إبراهيم : (10-11).

[2] – أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص73.

[3] – البقرة ، (111).

[4]– الأنبياء ، (24).

[5] – النمل ، آية (64).

وقد كان هذا الأسلوب منهجا لعلماء الإسلام، بل للبشرية جمعاء في الاحتجاج ، وعليه صاغ علماء الإسلام قاعدة تحفظ الإنسانية من الشطط ، فقرروا مبدأ "إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل "[1] فلا قيمة للقول يقوله الإنسان ما لم يسنده الدليل.

خامس عشر : إظهار التَشهّي والتَّحكُّم .

وهذا الأسلوب من أساليب الاحتجاج قرره ابن القيم .وحاصل تعريفه له :أنه إبطال دعوى الخصم بإظهار أن ما ذهب إليه إنما كان إتباعاً للشهوة من غير دليل ،فإن جاءه ما لا يشتهيه دفعه ورده ،وإن جاءه ما يشتهيه ويهواه أجازه وقبله ،فيرد ما خالف هواه، ويقبل ما يوافقه[2]

ومن حجج القرآن على الكافرين بهذا الأسلوب قوله تعالى :(**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**)[3].

ومنه أيضا قوله تعالى:(**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**)[4] ،ولاشك أن هذه الأفعال لا تصدر إلا ممن اتبع شهوته وهواه ، من غير دليل يثبت صحة دعوته .ومنه أيضا قوله تعالى :(**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**)[5].

قال الشوكاني:" وتقرير ذلك ما حاصلة أنكم تحكمون بتحليل البعض وتحريم البعض، فإن كان بمجرد التشهي والهوى فهو مهجور باتفاق العقلاء ، مسلمهم وكافرهم ، وإن كان لاعتقادكم أنه

---

[1] – انظر : البوطي ، د.محمد سعيد رمضان ، كبرى اليقينيّات الكونية ،جزء واحد، ط2،بيروت- دار الفكر،1390هـ ،ص34 . وسيشار إليه لاحقا : البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية .

[2] – انظر ، ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص114.

[3] – البقرة ، آية (87).

[4] – البقرة ، آية (85).

[5] – يونس، آية (59).

حكم الله فيكم وفيما رزقكم، فلا تعرفون ذلك إلا بطريق موصلة إلى الله،ولا طريق يتبين بها الحلال من الحرام إلا من جهة الرسل الذين أرسلهم الله "[1].

وقد بين الله في كتابه أنه لا يجوز أن تكون الشرائع والأحكام والعقائد تابعة للشهوات ،إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه ،وكانت شهوة كل واحد وهواه شرعا له .وعند ذلك سيحصل الفساد الذي ما بعده فساد في السماوات وفي الأرض .قال تعالى:(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَ)[2][3].

سادس عشر : رد المسائل إلى أمور بديهية معروفة .

وهذا أسلوب آخر من أساليب الاحتجاج في القرآن ، وهو: الاحتجاج برد المسائل إلى أمور بديهية معروفة ، أو حقائق مشهورة مألوفة لدى كل البشر ، لا يملك المجادل إلا أن يخر بين يديها صاغرا [4]

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب من القرآن ، قوله تعالى :(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[5].

فقد احتج الله تعالى على بطلان قول من ادعى لله ولدا، بأمر معروف ومشهور ومألوف،لا يماري فيه أحد من البشر ، وهو أنه لو كان له ولد لكان له صاحبة ، ولم يدعِ أحد أن له سبحانه صاحبة ، فيجب ألا يكون له ولد [6]

[1] – الشوكاني ، فتح القدير، (455/2).
[2] – المؤمنون، آية (71).
[3] – أنظر : ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص114.
[4] – أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص 70.
[5] – الأنعام ، (101).
[6] – انظر : أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص 71.

سابع عشر : بيان ما وقع فيه الخصم من اللبس والاشتباه.

والذي يعنيه الباحث من هذا الأسلوب : أن يظهر المحتج للمحتج عليه أن دعوته قائمة على محض اللبس والاشتباه ولا صلة لها بالحقيقة والواقع .

وقد استخدم الله تعالى هذا الأسلوب في الرد على من ادعى صلب المسيح عليه السلام . إذ قال: **(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)**[1]. فقد نفى الله تعالى نفيا قاطعا أن يكون عيسى عليه السلام قد صلب أو قتل، ثم أحتج على من يقولون ذلك أن اعتقادهم هذا إنما جاء نتيجة اللبس في الموضوع ، وليس الأمر كما هو في الظاهر ؛ فإن الذي قتل ليس هو عيسى بل هو من ألقى الله عليه شبهه . وبذلك نبههم إلى خطأهم الذي وقعوا فيه ، والذي كان وراء اعتقادهم الفاسد هذا .

ثامن عشر : سلب العام بإثبات قضية جزئية موجبة .

ويقصد بهذا الأسلوب : أن ينفي الخصم قضية ما ، نفيا مطلقا دون أن يستثني منها شيئا ، فيحتج عليه بإثبات قضية جزئية موجبة من القضية المنفية ، فيبطل النفي العام بإثبات القضية الجزئية الموجبة .

وهذا الأسلوب من أساليب الاحتجاج في القرآن قرره ابن كثير ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ)**[2].

---

1 – النساء ، (157).

2 – الأنعام ، (91).

قال ابن كثير :" أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب مـــن عنـــد الله -فـــي جواب يسلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة- : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى -وهو التوراة - الذي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى "[1]

ويلاحظ في هذه الآية أن الكفار ينفون نفيا مطلقا أن يكون الله تعالى قد أنزل رسالة على بشر من خلقه ، ولكن الله تعالى أبطل نفيهم العام بتذكيرهم برسالة موسى عليه السلام حيث يقـــرون بها ويعترفون . وهكذا ، بطل النفي العام بإثبات القضية الجزئية الموجبة .

[1] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (157/2

المبحث الرابع

الفرق التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن .

- محاجة المشركين في القرآن الكريم .
- محاجة أهل الكتاب في القرآن الكريم .
- محاجة المنافقين في القرآن الكريم .

المبحث الرابع

الفرق التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن

لم يترك القرآن ضلالة من ضلالات الكفار إلا وأتى عليها بحجة تهدمها من الأســاس . وكانت حجج القرآن شاملة لكل فرق الكافرين ، جاءت للرد على كل شُبهاتهم وضلالاتهم ؛ فرد الله تعالى على المشركين والمنافقين واليهود والنصارى ، ولم يُبْقِ لهم عقيدة إلا وأقام عليها حجة دامغة تبطلها .

وبتتبع الباحث لحجج القرآن يمكنه حصر هذه الحجج _من حيث من وقع عليه الاحتجاج –في نوعين رئيسين من الحجج :-

النوع الأول :

الحجج القرآنية التي اتسمت بالعموم والشمول . ويقصد الباحث بهذا النوع : الحجج التـــي لم يوردها الله تعالى احتجاجا على صنف معين من الكفار ، بل هي حجج عامة جاءت للرد على كل الكافرين من غير تخصيص أو تعيين ، فهي حجج على كل ملل الكفر على اختلاف أصنافه

والأمثلة على هذا النوع من الحجج كثيرة . منها قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)[1].فهــذه حجة عامة لم ترد ردا على صنف معين من الكافرين . حيث ذكر ابن كثير في تفسيره تعليقا على هذه الآية:أنها للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين[2].

---

1 – سورة البقرة ، (21،22).

2 – انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (1/ 58).

ومضمون هذه الحجة : أن الله تعالى هو الخالق الرازق ، ومالك الدار وساكنيها، ومن كان هذا حاله فلا أحد يستحق العبادة غيره . وهذا من باب الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية .

وهذه الحجة – وإن كانت شاملة الرد على المشركين – إلا أنها تبقى غير معينة فيهم .

النوع الثاني :

وهذه حجج يمكن تسميتها "بالحجج الخاصة " حيث اتسمت بالخصوص ، كونها سيقت للرد على فرقة من فرق الكفر بذاتها .

ويمكن حصر الفرق التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن بثلاث فرق هي : المشركون ، والمنافقون ، وأهل الكتاب [1] وهم اليهود والنصارى .

أولا : محاجة المشركين في القرآن .

أبرز ضلالات المشركين :

1- عبادة الأصنام : لم يكن المشركون ينكرون توحيد الربوبية ، فكانوا يقرون بالله تعالى خالقا ومتصرفا ومدبرا لهذا الكون . ولكنهم جحدوا الألوهية فعبدوا مع الله غيره من الأصنام ظنا منهم أن هذه الأصنام تقربهم من الله زلفى .

وكانت عبادة الأصنام محور الخلاف بين الدعوة الإسلامية والمشركين ، ففي الوقت الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، تمسك المشركون بعبادة الأصنام ودافعوا عنها دفاع المستميت .

وكان القرآن بدوره يسوق للمشركين الحجة تلو الحجة، يقرع بها أسماعهم لثنيهم عن هذه العبادة ، تارة بالترغيب وتارة بالترهيب .

وقد اتخذت حجج القرآن في إبطال عبادة الأصنام أسلوبين :

---

[1] – جعل الباحث " أهل الكتاب " اليهود والنصارى معا ، لأن كثيرا من حجج القرآن قرنت بينهم في الرد ، ولأن ضلالات اليهود والنصارى أكثرها متشابه .

أسلوب الإثبات : أي إثبات استحقاق الله تعالى للتفرد بالألوهية .

وأسلوب النفي : أي نفي استحقاق الأصنام للعبادة .

وتمثل الأول : في إقامة الحجة على المشركين بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية . حيث كان يسوق كثيرا من مظاهر قدرته، وأنه المنفرد بالخلق والرزق والتصرف .

كقوله تعالى :**(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)**[1].

وكأنه يقول : من تفرد بالخلق والرزق فهو المستحق للعبادة لا غيره .

وهم مقرون بهذا ومعترفون به . وقد سجل الله اعترافهم في أكثر من موضع في القرآن. قال تعالى : **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)**[2]. وقال :**(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)**[3] .

والحق أن اعترافهم بهذا كان أعظم حجة على فساد عبادتهم ؛إذ جعل الله ما يعترفون به حجة على ما أنكروه وجحدوه .

وتمثل الثاني : بإظهار عجز الأصنام التي كانوا يعبدونها، حتى عن أدنى قوة يتمتع بها الإنسان . وقد أكثر الله تعالى في سبيل ذلك من ضرب الأمثال . منها:
قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[4] وغيرها من الأمثال .

---

[1] – سورة النحل ، (17).
[2] – سورة العنكبوت (61).
[3] – سورة العنكبوت (63).
[4] – سورة الحج ، (73).

2-ومن ضلالات المشركين أيضا الادعاء بأن الملائكة بنات الله . وقد رد الله تعالى بنفي الولد له مطلقا: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)[1] وهذه الحجة رد على كل من ادعى لله ولدا -ذكرا- كما زعمت اليهود والنصارى -أو أنثى -كما زعم المشركون .

3-استبعاد وقوع البعث والساعة . وهذه القضية حصل فيها جدل كبير مع المشركين إذ لم تكن عقولهم تتصور هذا الأمر فهو مستبعد في نظرهم . قال تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)[2] . وقال مبينا قولهم في البعث: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[3] .

ولما كانت هذه القضية لا تستوعبها عقول المشركين، أكثر الله تعالى لهم من استخدام أسلوب القياس لتقريب الصورة من أذهانهم ، ونقلهم من المحسوس إلى المجرد، علّ عقولهم تستوعبه . ولذلك رد عليهم : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[4] . وقال : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)[5] . (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى)[6].

4-إنكار الرسالة، ونسبة القرآن إلى بشر . وكان أبرز أسلوب اتخذه الله للرد عليهم هو التحدي، ، حيث تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن إن كانوا صادقين في دعواهم . ثم زيادة في التحدي

---

1 - سورة المؤمنون (91

2 - سورة يس (78).

3 - سورة المؤمنون (37).

4 - سورة الأعراف (29).

5 - سورة يس (79).

6 - سورة فصلت (39).

سجل هزيمتهم في القرآن : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[1] .

خلاصة أساليب القرآن في الاحتجاج على المشركين .

1- أسلوب القياس . ومنه قياس العكس في إبطال عبادة الأصنام ، وقياس الخلف لنفي التعدد ، وقياس الدلالة[2] في إثبات قدرته على البعث .

2- أسلوب التحدي ، كما تحداهم بالقرآن .

3- أسلوب المطالبة بالدليل والبرهان . قال تعالى : (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِنْ كُنْـتُمْ صَادِقِينَ)[3] .

أما الطرق العامة التي استخدمها في الرد عليهم فهي : المناظرة ، والقصة ، وذكر الحجة ابتداء في غير سياق المناظرة أو القصة ، وقد أكثر الله تعالى من استخدام هذا الطريق في الاسـتدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

ثانيا : محاجة المنافقين في القرآن .

المنافقون هم : الذين كانوا يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام . وقد سجل الله تعالى في القرآن كثيرا من ضلالاتهم . منها :-

1-ادعاء الإيمان . قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِـالْيَوْمِ الْـآخِرِ وَمَـا هُـمْ بِمُؤْمِنِينَ)[4].

---

1 - سورة الإسراء ، (88).

2 - انظر هذه الأساليب (ص : 135-141) من هذا البحث .

3 - سورة النمل (64)

4 - سورة البقرة ، (8).

2- إدعاء الصلاح . قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[1].

3- إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ)[2].

وقد كان أبرز أسلوب اتبعه القرآن في محاجة المنافقين هو كشف سرهم ،وفضح أمرهم ، وبيان أوصافهم . إذ كانوا يعتمدون في كيدهم على التظاهر بشيء وإبطان آخر فأتاهم الله من حيث كانوا يخفون . بل كان القرآن في بعض الأحيان يعمد إلى تصوير حالتهم النفسية والانفعالية التي تشي بسرهم . قال تعالى: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)[3]. وكانت أبرز طريقة عامة اعتمدها في محاجتهم هي المناظرة . كما جاء في أوائل سورة البقرة .

ثالثا : محاجة أهل الكتاب .

أبرز ضلالات أهل الكتاب .

1-التحريف . حيث قاموا بتحريف كتبهم بأن أضافوا إليها ما يوافق هوى نفوسهم ، وحذفوا ما يخالفها . وقد سجل الله تعالى عليهم هذه الضلالة حيث قال : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه)[4].

2-نسبة الولد إلى الله تعالى . وهذه الضلالة سجلها الله على اليهود والنصارى معا قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ)[5].

---

1 – سورة البقرة ،(11).

2 – سورة التوبة (61).

3 – سورة المنافقون (4).

4 – سورة النساء (46).

5 – سورة التوبة (30).

3-دعوى التثليث ، وهو القول بألوهية مريم وعيسى مع الله ، قال تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)[1].

4- ادعاء البنوة والمحبة من الله . قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)[2].

5- وصف الله تعالى بأوصاف لا تليق بجلاله وكماله . قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)[3].

6- ادعاء اليهود قتل المسيح عيسى ابن مريم . قال تعالى :(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُم)[4].

منهج القرآن في الاحتجاج على أهل الكتاب .

يمكن الوقوف على طريقتين عامتين اتخذهما القرآن في الرد على أهل الكتاب :

أولهما : المناظرة . حيث أثبت الله تعالى كثيرا من المناظرات التي جرت مع أهل الكتاب ، كالمناظرة التي سجلها الله بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[5]. فهذه حكاية مناظرة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود [6].

---

1 – سورة المائدة (73).
2 – سورة المائدة (18).
3 – سورة المائدة (64).
4– سورة النساء (157).
5 – سورة البقرة ،(91).
6 – انظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 119.

وثانيهما : القصة . فقد كان القرآن يأتي بجوانب من قصص بني إسرائيل ليفضح ما هم مقيمون عليه من الكفر احتجاجا عليهم ومنه قوله تعالى : **(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[1].

أما الأساليب الخاصة التي اتبعها القرآن في محاجة أهل الكتاب، فـيمكن إجمالهـا بالأسـاليب التالية:-

1- التحدي . وهو أن يطلب منهم فعل أمر للتدليل على صدقهم . ومنه قوله تعالى :**(قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[2].

2- إظهار تناقض أفعالهم مع أقوالهم . قال تعالى :**(فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ)**[3]. قال ابن القيم : ووجه النقض : أنكم إن زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل إلـيكم وبالأنبياء الذين بعثوا فيكم فلم قتلتموهم من قبل إن كنتم مؤمنين [4]

3-بيان ما وقعوا فيه من اللبس . قال تعالى :**(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)**[5].

4-مطالبتهم بالدليل والبرهان على ما يزعمون . قال تعالى : **(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّـا مَـنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[6].

5- الاحتجاج عليهم بما في أيديهم من الكتاب .

---

1 - سورة آل عمران (93).

2 - سورة آل عمران (93).

3 - سورة البقرة (91).

4 - انظر : ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص 121.

5 - سورة النساء ، (157).

6 - سورة البقرة (111).

قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مكتُوباً عِنْـدَهُمْ فِـي التَّـوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ)[1].

6- إظهار التشهي والتحكم الذي كان وراء تصرفاتهم . قال تعالى :(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَـابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)[2] . وقال :(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[3][4].

[1] - سورة الأعراف (157).

[2] - سورة البقرة (85).

[3] - سورة البقرة (87).

[4] - انظر: (ص:128) من هذا البحث .

الفصل الثالث

دراسة تحليلية لأدلة القرآن في إثبات بعض القضايا العقيدية

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول :أدلة القرآن في إثبات التوحيد .

المبحث الثاني :أدلة القرآن في إثبات الرسالة وأن القرآن من عند الله.

المبحث الثالث :أدلة القرآن في إثبات البعث والساعة .

المبحث الأول

أدلة القرآن قي إثبات التوحيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مسلك الإثبات.

المطلب الثاني : مسلك النفي.

المبحث الأول

أدلة القرآن في إثبات التوحيد

تمهيد

كان التوحيد أول دعوة الرسل ، وما من رسول بعث إلا وكـان أول دعوتـه توحيـد الله والتوجه إليه وحده في العبادة والقصد والطلب .

وقد قص الله تعالى علينا مجموعة من قصص الأنبياء التي تبين هذا التوحّد فـي الـدعوة حيث قال :(**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**)[1] وقالها على لسان هود وشعيب وصالح عليهم السلام . ثم بين أنه ما من رسول بعث إلا وأُوحِيَ إليه أن يدعو قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة . قال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـولٍ إِلَّـا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**)[2] .

ولم يكن الله تعالى يريد من الناس الاستسلام لهذه الدعوة، من غير القناعة المطلقة بها . ومن أجل ذلك كان يسوق للناس الحجة تلو الحجة، والبرهان تلو البرهان، لإثبات صدق التوحيد بالأدلة العقلية المحضة ، تارة يثبت صدق الدعوة، وتارة يرد على شبهات الجاحدين والمنكرين

والحق أن حجج التوحيد بمجموعها قد اتجهت إلى إثبات التوحيد لا إثبات وجود الخالق ، "وقد اتخذ القرآنُ -في أكثر آياته التي بها دعوة التوحيد- إيمانَ القومِ بالربوبية سبيلا إلـى إلزامهم بالألوهية ".[3]؛ ذلك لأن الإنسانية لم تفكر عبر التاريخ كله في جحد وجود خالق ، بل ما جحدته هو توحيد الألوهية . ولا يلتفت إلى ما جاءت به حفنة الشيوعية التي ناقضـت الفطـرة

---

[1] – الأعراف : 59.

[2] – الأنبياء : 25.

[3] – شلتوت ، محمود ، تفسير القرآن الكريم ، جزء واحد ، ط5 ، دار الشروق ، 1973م ، ص (401-402) .
وسيشار إليه لاحقا : شلتوت ، تفسير القرآن الكريم

الإنسانية فجحدت وجود الخالق ، فهي نابتة شاذة منقطعة عن أصل الفطرة وأصـل الحيـاة ولا جذور لها في التاريخ [1] .

والمتتبع لحجج القرآن في إثبات التوحيد يجد أن هذه الحجج دارت بين مسلكين اثنين :

المسلك الأول : وهو الإثبات ؛ والذي يعنيه الباحث بهذا المسلك : أن الله تعـالى كـان يسـوق حججا تثبت بالبرهان العقلي وحدانية الله، واستحقاقه للتفرد بالعبادة دون غيره .

والمسلك الثاني : وهو النفي ؛ أي نفي استحقاق غير الله تعالى للعبادة والألوهية ، سواء كـان هذا المعبود بشرا أم صنما أم كوكبا أم غيرها .

المطلب الأول : مسلك الإثبات .

كان الله تعالى يسوق كثيرا من حجج التوحيد التي تثبت بالدليل العقلي اسـتحقاقه للتفـرد بالعبادة دون غيره .

وفي هذا المسلك ،كان الله تعالى يكثر من سوق أوصافه التي تثبت استحقاقه للتفرد بالعبادة؛ فهو خالق السماء والأرض ، وهو المتصرف في هذا الكون أجمع ، بيده الأمر كله وأمـره إذا أراد لشيء أن يكون فيقول كن فيكون .

وقد عرض الله تعالى حججه في هذا المسلك بأسلوبين :

الأول :أسلوب التقرير : وهو أن تورد الأدلة المتعلقة بتوحيد الله وتفـرده بالملـك والتصـرف والقدرة والقهر في صورة الشأن المسلم الذي لا يقبل الإنكار أو الجدل[2] .

وقد تعددت أساليب التقرير لحجج التوحيد :

---

[1] – انظر ، في ظلال القرآن ، (213/1).

[2] – انظر : شلتوت ، تفسير القرآن الكريم ، ص 388.

1-تارة كان الله تعالى يقرر الحجة ابتداء من عنده ، كما في قوله تعالى :(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)[1] وقوله :(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[2]

وقوله:(وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)[3] وقوله :(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)[4].

"ففي هذه الآيات يقول -تعالى ذكره- منبها خلقه على حججه عليهم في توحيده، وأنه لا تنبغي الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه : أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء هو الذي ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ، وإن في ذلك لدليلا واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه وعقله " [5].

2-وتارة كان يقرر حجة التوحيد على لسان رسول من رسله ؛ فهذا إبراهيم يقرر حجة التوحيد على قومه حيث قال : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ*وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ*وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ*وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)[6]. وكأنه يقول لقومه مثبتا توحيد ربه : لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء [7] وهذا لا جدال فيه ولا نقاش .

---

[1] - الأنعام : (73).
[2] - الأنعام : (97).
[3] - النحل : (65).
[4] - النحل : (66).
[5] - القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (130/14).

[6] - الشعراء : (78-81).
[7] - انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (339/3).

3- وتارة كان يقرر حجة التوحيد على لسان طيرٍ أعجم . كما في قوله تعالى : (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[1] . فقرر استحقاق الله للتفرد بالعبادة بوصفه بأنه " الذي يخرج الخبء " وهو كل ما هو مخبوء في السماوات والأرض ، فهو الخالق لكل شـــيء ، وهو المستحق للعبادة دون سواه.

4- وتارة كان يقرر حجة التوحيد على لسان جماعة من الفتية المؤمنة . كما جاء علـــى لســـان أهل الكهف : (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً)[2] فبينوا أن الذي يستحق العبادة هو خالق السماوات والأرض .

والأسلوب الثاني : " وهو أسلوب تلقين الحجة والأمر بقذفها في وجه الخصم حتى تأخذ عليـــه سمعه، وتملك عليه قلبه ، وتحيط بجميع جوانبه فلا يستطيع التفلت منها ، ولا يجـــد بـــدا مـــن الاستسلام لها"[3] .

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَـــبَ عَلَـــى نَفْسِـــهِ الرحمة)[4] ومنها أيضا : (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُـــوَ يُطْعِـــمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ)[5].

والملاحظ على حجج التوحيد في هذا المسلك أن جميعها جاء من باب الاستدلال بتوحيـــد الربوبية على توحيد الألوهية . وكثيرا ما كان القرآن الكريم يسلك هذه الطريقة في إثبات قضية

[1] – النمل : (25).
[2] – الكهف :(14).
[3] – شلتوت ، تفسير القرآن الكريم ، ص 389.
[4] – الأنعام : (12) .
[5] – الأنعام : (14) .

التوحيد[1] . وهذه الأمثلة التي ذكرها الباحث ما هي إلا غيض من فيض ، فالقرآن مملوء بذكر حجج التوحيد من هذا النوع ، وليس الباحث بصدد استعراض جميعها ، حيث اكتفى بذكر أمثلة توضح منهج القرآن في إثبات التوحيد .

المطلب الثاني : مسلك النفي .

والمقصود بهذا المسلك هو سوق الحجج التي تنفي استحقاق غير الله للألوهية والعبادة، وذلك بسلب خصائص الألوهية عن كل معبود سوى الله .

ومعلوم أن الشرك الذي سجله الله تعالى في كتابه على أهل الضلال كان له أشكال :-

الأول : عبادة الأصنام.

والثاني : الادعاء بأن الملائكة بنات الله .

والثالث : إدعاء ألوهية عيسى عليه السلام وأمه مريم .

والربع : ادعاء اليهود بأن عزيرا ابن الله .

والخامس : ادعاء اليهود والنصارى البنوة لله .

وقد نفى القرآن الكريم كل هذه الافتراءات . والناظر في حجج القرآن يجد أن القرآن رد على هذه الافتراءات الخمس بأسلوبين :

الأول : نفي عام لوجود الشريك لله تعالى – صنما كان هذا الشريك أو بشرا أو غيره – وذلك بإثبات استحالة التعدد . حيث ساق الله تعالى مجموعة من الحجج مضمونها واحد وهو استحالة أن يكون لهذا الكون خالقان متصرفان ، أو أن يكون فيه إلهان معبودان ، وذلك بدليل العقل وبرهانه .

---

[1] – أنظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص93.

ومن ذلك : قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)[1] وقوله : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)[2] . وقوله : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً)[3].

وتلتقي هذه الحجج جميعها على مضمون واحد، وهو نفي التعدد والشريك لله ، وذلك بإثبات استحالة التعدد ببرهان العقل ودليله . فإذا كان التعدد مستحيلا فلا يبقى إلا ضده وهو التفرد، فثبت التوحيد بنفي التعدد.

والثاني : الردود الخاصة على افتراءات الكفار ، حيث نفى الله تعالى ألوهية الأصنام ، ونفى ألوهية الملائكة ، ونفى ألوهية المسيح وأمه مريم عليهما السلام ، ونفى بنوة عزير ، ونفى بنوة اليهود والنصارى .

1-نفي ألوهية الأصنام :-

احتج الله تعالى على المشركين ونفى ألوهية الأصنام ، وكان نفيه لألوهيتها بسلب استحقاقها للألوهية والعبادة وذلك بإظهار عجز هذه الأصنام عن الخلق أو التصرف . ومن كان هذا حاله فلا يستحق الألوهية ، ذلك لأن " توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها "[4]

ولهذا وضع الله تعالى المشركين على مِحَكِ المقارنة، بين آلهتهم ذات العجز المطلق وبين الله تعالى ذي القدرة المطلقة الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . فقال: (أَفَمَنْ

---

1 – المؤمنون : (91) .

2 – الأنبياء : (22).

3 – الإسراء : (42).

4 – جماعة من العلماء ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، جزء واحد ، ط6 ،بيروت– المكتب الإسلامي ، 1400هج ، ص 87 . وسيشار إليه لاحقا : شرح العقيدة الطحاوية .

يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُق)[1] وفي هذا توجيه للمشركين لتحكيم عقولهم وإجراء مقارنة منصــفة ، ولا شك أن العقل السليم يقتضي إلصاق الألوهية لمن كان له القدرة على الخلق ، وسلبها عمن يعجز عنه، لأن الخلق من أخص خصائص الألوهية ، فإذا انتفت القدرة على الخلق انتفــى اســتحقاق الألوهية .

وزيادة في إظهار عجز الأصنام ، نفى الله تعالى قدرتها على خلق أضعف وأحقر مخلوق مــن مخلوقاته . فقال : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَــهُ)[2]. ثــم شبهها بالعبد المملوك الذي لا يملك التصرف بشيء ، ولا يقدر على فعل شيء . قــال تعــالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْــهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ)[3] . قال ابن القيم عن هذا المثل : " ضربه الله لنفسه وللأوثان ، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق على عبيده كيف يشاء ... والأصنام مملوكة عاجزة لا تقــدر على شيء ، فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني"[4]

ثم وصف الله تعالى الأصنام أنها في غاية العجز؛ إذ سلب عنها أدنى دواعــي القــدرة . قــال تعالى:(أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُــمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)[5] وكأن الله تعالى يسفه عقول المشركين ويقول لهم : كيف تعبدون شيئا هو دونكم في المنزلة ، فأنتم تتمتعون بنعمة الأرجل والأيدي والأبصار والأسماع وهــم-أي الأصــنام-لا يتمتعون .وإذا كان الصنم لا يرقى أن يكون إنسانا ،فكيف يصلح أن يكون إلها؟.

2- نفي الادعاء بأن الملائكة بنات الله .

[1] - النحل : (17).
[2] - الحج : (73).
[3] - النحل : (75).
[4] - انظر : ابن القيم ، **الأمثال في القرآن** ، ص 21.
[5] - الأعراف ، (195).

وهذه الفرية ابتدعها العرب في الجاهلية ، حيث ادعوا بأن الملائكة الذين هم عباد الرحمن بنات الله . وهذا قول مفترى على الله لا يستند إلى أي دليل . وقد سجل الله هذه الفرية في كتابه حيث قال :(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)[1]وقال : (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً) [2] وقال :(وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ).[3] فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، ثم جعلوها بنات الله وأقاموا لها الأصنام وعبدوها ، فأخطأوا في كل مقام من هذه المقامات؛ إذ نسبوا لله الولد ولا ولد له ، ثم أعطوه أخس القسمين- في نظرهم – من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم كما قال تعالى : (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى*تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى)[4] ثم بعد ذلك جعلوها شريكا له في العبادة[5].

وقد نفى الله تعالى نفيا قاطعا أن يكون له ولد : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ)[6] وبين الله تعالى أن من كان مالكا السماوات والأرض وما فيهن غني عن الولد والصاحبة .(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[7].

فقد اشتملت هذه الآية الرد على النصارى ومن أشبههم من اليهود من مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب جميعهم في دعواهم [8].

---

[1] – النحل : (57)
[2] – الإسراء ، (40).
[3] – الزخرف،(19).
[4] – النجم ، (21-22).
[5] – انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،(574/2).
[6] – المؤمنون : (91)
[7] – الأنعام : (101)
[8] – انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (2/ 161).

وقد احتج الله تعالى في نفي بنوة الملائكة في هذه الآية من وجهين :

الأول : أن ولد الشيء نظيره ، والله سبحانه لا نظير له ، لأنه هو الذي أبدع السماوات والأرض، ومن لا نظير له لا يمكن أن يكون له ولد .

والثاني : إن مما يقتضيه العقل أن الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين ، ولا شيء يجانس الله فلا يمكن أن يكون له صاحبة ، وإذا لم يكن له صاحبة، فكيف يكون له ولد من غير صاحبة؟! [1].

3- نفي ألوهية عيسى وأمه عليهما السلام .

وهذه الفرية ابتدعها النصارى . إذ قال الله تعالى مخبرا عنهم: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)**[2] . وقال :**(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)**[3].

وقد نفى الله تعالى ألوهيتهما بنفي التعدد مطلقا كما مر قبل قليل ، ورد ردا خاصا على هذه الفرية حيث قال :**(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)**[4].

ففي هذه الآية يحتج الله تعالى على النصارى من وجوه :-

الأول : أن عيسى عليه السلام ما هو إلا رسول من الرسل الخالية ، ظهرت على يديه المعجزات كغيره من الرسل ، فإن كان عيسى إلها ، فليكن كل رسول قبله إلها [5] وهذا ما لا يدعيه أحد .

والثاني : وصف عيسى ب" أمه صديقة " . فهو مولود مربوب ، ومن ولدته النساء فلا

---

1 - المصدر السابق : ، (2 / 161).
2 - المائدة ، (73)
3 - المائدة ، (116).
4 - المائدة ، (75).
5 - انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (250/6).

يمكن أن يكون إلها [1].

والثالث : وصفه وأمه بأنهما " كانا يأكلان الطعام " وفي هذا نفي لألوهيتهما من وجهين :-

أ-أنهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يقوم به البدن من الغذاء ، ومن كان محتاجا فهو عاجز، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها .

ب- أن من أكل الطعام احتاج إلى النَّفْضِ -وهو قضاء الحاجة - وهذا أمرٌ ذوقا في أفواه مدعي ألوهيتهما لما في ذلك -مع الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية -من بشاعة عرفية [2]

4- نفي ادعاء اليهود بأن عزيرا ابن الله . وهذا منفي بنفي الولد لله مطلقا . وقد تقدم[3]

5- نفي ادعاء اليهود والنصارى البنوة لله . حيث ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه . قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)[4] وقد رد الله تعالى عليهم بقوله :(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)[5] . فإن الأب لا يعذب ابنه ، والحبيب لا يعذب حبيبه . والتعذيب بالذنب ثمرة الغضب المنافي للمحبة والبنوة ، فلو كانت المحبة قائمة كما زعموا لم يكن هناك ذنوب تستوجب عليهم العذاب ، فالمحب لا يفعل هذا بحبيبه والأب لا يفعل هذا بابنه [6] .

---

[1] - انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (250/6).

[2] - انظر : الآلوسي ، **روح المعاني** ، (209/6).

[3] - انظر : ص:173 من هذا البحث .

[4] - المائدة ، (18).

[5] - المائدة ، (18).

[6] - انظر : ابن القيم ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة** ، ص 122.

المبحث الثاني

أدلة القرآن في إثبات الرسالة وأن القرآن من عند الله

أولا : أدلة القرآن في إثبات النبوة.

ثانيا: أدلة القرآن في إثبات ذاته من عند الله.

المبحث الثاني

أدلة القرآن في إثبات الرسالة ، وأن القرآن من عند الله

ما من رسول بعثه الله إلا وكان يؤيده " بالمعجزة " ، لتكون البرهان القاطع على صدق رسالته ؛ فخرق القوانين الطبيعية التي جرت عليها سنة الكون- على يد رجل يدعي النبوة - لا يتيسر إلا لمن أيدته القدرة التي أبدعت هذه القوانين ، تجريها متى شاءت وتوقفها متى شاءت. وبذلك تكون مخالفة ما جرت عليه العادة مقرونا بالتحدي ، أعظم حجة عقلية على صدق نبوة هذا النبي صاحب المعجزة .

والنبي صلى الله عليه وسلم – كغيره من الأنبياء- جرى على يديه كثير من المعجزات ، منها ما كان ماديا مؤقتا ، ومنها ما هو خالد إلى يوم القيامة .

والحق ،أن معجزة القرآن وحدها ، هي أبلغ حجة وأقطعها على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، وانتفاء أن يكون هذا القرآن العظيم من عنده أو من عند غيره من البشر. ومعجزة القرآن ، يمكن لنا أن نسميها ب " الدليل العام أو الحجة العامة " على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق نسبة القرآن ذاته لله .

لكن حديث الباحث هنا ، لا عن الدليل العام أو الحجة العامة للنبوة والقرآن ، بل عن الحجج العقلية التي تضمنها القرآن ذاته ، والتي تثبت- بدليل العقل وبرهانه- صدق الرسالة وصدق القرآن، وانتفاء أن يكون من عند غير الله ، وذلك مع كون المعجزة دليلا عاما في إثبات صدقهما .

والحديث عن إثبات الرسالة بالأدلة العقلية أمر من الأهمية بمكان ؛ فالرسالة هي الأساس الذي ينبني عليه كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن إثبات الرسالة يعني صدقها ،

وصدقها يعني صدق كل ما جاءت به من القرآن ،والعقائد ،والأخبار والتشريعات.

والحق ، أن كل الحجج التي تضمنها القرآن– على اختلاف مواضيعها – هي شاهدة للنبوة والقرآن ، لأنها حجج يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ومعارضتها ، وهذا دليل قاطع على الصدق ونفي الشبهات التي أثارها الكفار حول النبوة والقرآن .

لكن هذا لا يلغي أن يكون القرآن متضمنا حججا خاصة تثبت النبوة والقرآن؛ إذ القرآن مملوء بذكر الحجج التي تدفع كل الشبهات والشكوك التي أثيرت حول القرآن والنبوة.

أولا : أدلة القرآن في إثبات النبوة .

يمكن للباحث أن يصنف الحجج التي أوردها الله تعالى لإثبات النبوة إلى ثلاث :

1- حجج للرد على شبهات المشركين .

2- حجج للرد على اليهود .

3- حجج للرد على النصارى .

أولا : حجج القرآن للرد على المشركين .

بالنظر إلى الحجج التي أوردها الله تعالى على المشركين بشأن النبوة ، يمكن إجمال الشكوك التي أثارها المشركون حول النبوة في أمرين ، هما : **الاعتراض ، والاتهام .**

أ – اعتراض المشركين على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :-

من خلال النظر في اعتراضات المشركين التي سجلها القرآن عليهم ، يتبين للباحث أنهم اعترضوا على أمرين :

أولهما : الاعتراض على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا الاعتراض سجله على قوم نوح . **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا**

تَتَّقُونَ*فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)[1].

وسجله على عاد مع نبي الله هود: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)[2]وسجله على فرعون وحاشيته : (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ* فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)[3][4] .

وهذا ما كان عليه حال المشركين ، حيث استغربوا أن يكون رسولهم بشرا مثلهم ، يأكل ويشرب ، وينام ويمشي في الأسواق ، وهو يدعي النبوة والرسالة ، وقد اتخذوا هذا الأمر ذريعة لتكذيب النبي والطعن في رسالته [5] ، إذ قال الله تعالى مخبرا عنهم :(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً)[6].

وزيادة في التعنت والاستكبار ، طلبوا إنزال الملائكة عليهم بدلا من الرسول البشر ، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً)[7].

وقد جاء الرد من الله تعالى على اعتراضهم أن يكون الرسول بشرا ، وبين لهم الله أنه ما أرسل قبل محمد من رسول إلا وكان بشرا ، وهذا ما جرى عليه القانون الإلهي ولن يتغير .

---

[1] – المؤمنون ، (23-24).
[2] – المؤمنون ، (33)
[3] – المؤمنون ،(46-47).
[4] – انظر: الصابوني ، د.محمد علي ، النبوة والأنبياء ، جزء واحد ، بيروت– دار الجيل ، 1420هج=1990م ،ص26-27، وسيشار إليه لاحقا : الصابوني ،. النبوة والأنبياء.
[5] – انظر: المرجع السابق ، ص 25
[6] – الفرقان ، (7).
[7] – الفرقان ، (21).

قال تعالى :(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُــونَ)[1].

وأما أن يكون المرسل من الملائكة لا من البشــر، فقــد رد الله تعــالى علــى هــذه الشــبهة بقوله:(وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ*وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكــاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)[2].

فلو جعل الله تعالى النبي ملكا كما اقترح المشركون ، لجعله الله في صورة رجل من البشــر ، وذلك ليتمكنوا من الاجتماع به ، وأخذهم عنه ، وعند ذلك يلتبس عليهم الأمر ، هل هو ملك ؟ أم هو من البشر ؟ ، فيشكون في أمره ، ويعودون إلى سيرتهم الأولى في طلبهم أن يكون النبي من الملائكة [3].

فقوله تعالى :(ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي أنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صــورته إلا بعد التجسيم بالأجسام الكثيفة، لأن كل جنس يألف بجنسه، وينفر من غير جنسه

فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا -كما طلبوا – لنفروا من مقابلته ، ولما أنسوا بــه ، ولداخلهم من الرعب ما يكفهم عن كلامه ، ويمنعهم من سؤاله ، فلا تعم المصلحة . ولو نقلــه عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه ، لقالوا : لست ملكا ، وإنما أنت بشر ، فلا نؤمن بك . وعادوا إلى مثل حالهم ، حيث كانوا يقولون عن محمد إنه بشر ، ولــيس بينه وبينهم فرق ، فيلبسون على الناس بها ويشككونهم . فأعلمهم الله عز وجل أنه لو أنزل ملكا في صورة رجل لوجدوا سبيلا إلى اللبس كما يفعلون "[4] .

---

1 – الأنبياء، (7).

2 – الأنعام ، (8-9).

3 – انظر : الصابوني ، **النبوة والأنبياء** ، ص24.

4 – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (6/393-394).

وقد ذكر الله تعالى حكمة أخرى من كون الرسل من البشر ، وهي أن المرسل ينبغي أن يكون من جنس المرسل إليهم، كما في قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً)(1).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي- استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر- : لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها ،فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم، وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها ،وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم"(2)

وثانيهما : اعتراض المشركين على تعيين محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

هذا هو الاعتراض الثاني الذي سجله القرآن على المشركين ؛ فقد استغرب المشركون نزول الرسالة على يتيم فقير ، لا يملك من أسباب القوة والغنى شيئا ، وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله عظيما في نظرهم ، ورأوا أن النبوة ينبغي أن تكون لغني عظيم ، من السادة والزعماء ، ومن أشراف قريش وعظمائها(3) .

وقد جاء الرد الإلهي الزاجر ، فأورد الله تعالى شبهتهم ، ورد عليهم بأسلوب مفحم قاصم ، حيث قال :(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ* أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ

---

1 – الإسراء ، (95).

2 – الطبري ، جامع البيان ، (166/15).

3 – انظر : الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ص11.

رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[1].

ورد الله تعالى على المشركين سخفهم ، حين زعموا أن النبوة لا تليق إلا برجل من الأغنياء العظماء ، لا بإنسان فقير يتيم ، كمحمد صلى الله عليه وسلم .

وكان الرد على هذه السخافة من وجهين :-

الأول : وهو ما تضمنته الآية السابقة ، وهو " إذا كانت النبوة أعظم شأنا من المال والجاه ، وكانت حكمته العلية قد حددت لكل إنسان رزقه ، ولكل مخلوق حظه من المال والرزق ، والمال بالنسبة إلى النبوة أمر حقير ،فكيف يترك الأمر الجليل العظيم،وهو الرسالة والنبوة ،إلى أهواء الناس ورغباتهم ؟ فإذا لم يشأ الله أن يترك أمر الرزق لأهل الأرض ، بل قسم ووزع ، وأعطى لكل نصيبه ، فكيف يترك أمر النبوة إلى أهواء الناس ؟ وهذا هو السر في التعبير بقوله :(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فالذي وهب الرزق هو الذي وهب النبوة"[2] .

والثاني : -وهو في آية أخرى - إن النبوة والرسالة قائمة على الاختيار والاصطفاء ، يصطفي الله تعالى لها من شاء من عباده .كما قال تعالى: (**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**)[3]، فالله تعالى أعلم حيث يختار من شاء من عباده ، ليكون رسولا له إلى خلقه ، ومقاييس الله غير مقاييس البشر ، ولا يحق لأحد أن يعترض على من اختاره الله لأنه هو العليم بخلقه، والخبير برسالته ، فيجعلها لمن يراه أهلا لها .

---

[1] - الزخرف، (31-32).

[2] - الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ص11.

[3] - الأنعام ، (124).

ثانيا : الاتهـــام . هذه هي الشبهة الثانية للكافرين على أمر النبـــوة . فلـــم يكتـــف المشـــركون بالاعتراض على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل طعنوا فيه ، وراحوا يلصقون به أوصافا لا تليق به ، تعبر عن حالة الإفلاس واليأس التي وصل إليها المشركون .

فاتهموا النبي بأنه ساحر ، ومجنون ، وشاعر ، وكذاب .

وقد تكفل الله تعالى بالرد على كل هذه الافتراءات ، بالحجج العقلية المفحمة ، التي لـــم يملـــك المشركون أمامها سوى طأطأة الرؤوس من الخزي والسخافة . قال تعالى : (**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ*أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ*أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**)[1].

ففي هذه الآية يورد الله تعالى اتهاما اتهم به المشركون محمدا– عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – ألا وهو قولهم إنه مجنون . وقد رد الله تعالى عليهم ، إذ دعاهم إلى تدبر القول ، وتأمل حال القائل ، والكذب لا يخفى ، بل يظهر من القول ويبدو على صفحات القائل ، وهم أعلم النـــاس بما قاله النبي، وأعلم الناس بشخصيته وحكمته واتزانه ، فكيف يتهمونه بذلك ؟! [2] .

ثم طلب الله تعالى منهم أن يستخدم كل واحد منهم عقله ، بعيدا عن "التفكير الجمعي" الذي يورث صاحبه التقليد البغيض ، حيث قال :(**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُـــرَادَى ثُـــمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**)[3].

فهذه دعوة أخرى للمشركين ، للتراجع عن التهم التي اتهموا بها محمدا عليه السلام ، فـــأمرهم الله بخصلة واحدة ، وهي أن يقوموا لله اثنين اثنين ، فيتناظران ويتساءلان بينهما . هل صحيح ما نقوله عن محمد ؟ أو يقف كل واحد مع نفسه ، فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعو إليـــه ،

---

1 – المؤمنون ، (68-70).

2 – انظر: ابن القيم ، **الصواعق المرسلة** ،(469/2-470).

3 – سبأ،(46).

ويستدعي أدلة الصدق والكذب ، ويعرض ما جاء به عليهما . ولا شك أنه سيعرف حقيقة الحال، وأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ما هو بالشعر ، ولا بالنثر، ولا بالكهانة ، إنما هو قول من رب رحيم .[1]

ونفى الله تعالى عن رسوله أن يكون قد افترى على الله كذبا ، ردا على المشركين الذين اتهموه بالكذب على الله : حيث قال : **(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)**[2] وقال :**(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً)**[3].

قال ابن كثير معلقا على هذه الآية :- "يقول تعالى مرشدا نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به، إنه شاهد علي وعليكم ،عالم بما جئتكم به فلو كنت كاذبا عليه، لانتقم مني أشد الانتقام، كما قال تعالى: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)**[4][5] .

ولم يكن المشركون ينكرون قدرة الله على الانتقام من النبي إن كان كاذبا ، لأنهم كانوا يوحدونه في ربوبيته ، ويعترفون بقدرته . وبذلك تسقط فريتهم على محمد صلى الله عليه وسلم في أن يكون كاذبا على الله .

هذه خلاصة حجج القرآن بشأن الشبهات التي أثارها المشركون حول أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

[1] – انظر :ابن القيم ، **الصواعق المرسلة** ، (472/2).

[2] – يونس ، (16).

[3] – الإسراء ،(96).

[4] – الحاقة ، (44-46).

[5] – ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (66/3).

ثانيا : حجج القرآن في الرد على شبهات اليهود حول النبوة.

يختلف موقف اليهود عن موقف المشركين حول النبوة ؛فاليهود كانوا أهل كتاب سماوي ، لهم دراية وخبرة بأمر الرسالة والنبوة ما ليس للمشركين ، وكانوا على علم واطـــلاع بظهــور رسول من الله ، يعرفون زمانه ومكانه وصفاته ، ولم يخفوا هذا الأمر عن غيرهم ، بل كـــانوا يتفاخرون على العرب فيما عرفوه عن أمر النبوة والرسالة.

وكان حريا باليهود أن يكونوا أول من يؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويتبع رسالته، لولا الضلال الذي طبع على قلوبهم ، والغضب الذي باؤوا به من الله إلى يوم القيامة.

وقد كان تفاخرهم بمعرفتهم بأمر النبوة وبالا عليهم ، وحجة حاجهم الله تعالى بها لما أنكروا أمر النبوة ، وبين الله تعالى لهم ما وقعوا فيه من التناقض حيث قال :**(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)**[1].

قال ابن القيم :"هذه حجة أخرى على اليهود في تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وســلم ؛ فــإنهم كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره ، فيفتح لهم وينصرون ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ، كفروا به وجحــدوا نبوته ؛ فاستفتاحهم به وجحد نبوته مما لا يجتمعان ، فإن كان استفتاحهم به لأنه نبي كان جحــد نبوته محالا ، وإن كان جحد نبوته كما يزعمون حقا ،كان استفتاحهم بـــه بـــاطلا فـــإن كـــان استفتاحهم به حقا فنبوته حق ، وإن كانت نبوته -كما يقولون- باطلا ، فاستفتاحهم به باطـــل ، وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه ألبتة" [2]

---

[1] - البقرة ، (89).

[2] - ابن القيم ، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة ، ص 114-115.

ثالثا : حجج القرآن في الرد على شبهات النصارى حول النبوة.

لا يختلف النصارى عن اليهود في أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا على علم بنبوته مما عرفوه من كتابهم ، ولم يختلف موقفهم عن موقف اليهود ، إذ كذبوه وجحدوا نبوته ، على الرغم مما عرفوا من الحق ، حيث قال تعالى منبئا عن علمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)**[1].

ولأن النصارى كانوا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في قلوبهم ،ويعرفون أنه على حق وهم على ضلال ، نكلوا عن المباهلة التي دعاهم إليها بعدما أقام عليهم الحجة بشأن قولهم عن عيسى عليه السلام وأمه . قال تعالى : **(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)**[2] وقد ذكر السيوطي أن هذه الآية نزلت في وفد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران [3].

وهذه الآية أعظم حجة على النصارى في صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه لو لم يكن صادقا في نظرهم ، لتجرأوا على ملاعنته ، فكان نكولهم عن الملاعنة حجة عليهم ، وإثباتا لصدق النبي صلى الله عليه وسلم . وقد روى البخاري في الصحيح، عن حذيفة قال :(جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه . قال : فقال أحدهما لصاحبه ، لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فلاعنًا لا نُفْلح ولا عقبنا من بعدنا . قالا إنّا

---

1 – الصف ، (6).

2 – آل عمران ، (61).

3 – انظر : السيوطي ، **لباب النقول في أسباب النزول** ، ص 52-53.

نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا ، فقال : لأبعثن رجلا أمينا حقَّ أمين ، فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:قم يا أبا عبيدة ابن الجراح ، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :هذا أمين هذه الأمة) [1].

وهكذا لم يُبْقِ الله تعالى للمشركين ولا لليهود ولا للنصارى شبهة حول النبوة إلا ودحضها بالحجة العقلية الدامغة ، ولم يَبْقَ لكل الكفار عذر للنكول عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، سوى العناد والجحود والاستكبار.

خلاصة طرق وأساليب القرآن في الاحتجاج للنبوة

من خلال النظر في حجج القرآن على النبوة ، يمكن الوقوف على طريقتين عامتين سلكهما القرآن فيها :

الطريقة الأولى : **وهي المناظرة** ، إذ أورد الله تعالى كثيرا من المناظرات المفحمة ، التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين والنصارى واليهود . ومن ذلك المناظرة التي وردت في سورة الإسراء بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين : **(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً... إلى قوله " قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً)**[2] .

والطريقة الثانية : **وهي القصة** . وهذا مما احتج الله تعالى به على أهل الكتاب ، حيث أنبأ بما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والتبشير بنبوته ، ومنه قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ)[3].

---

[1] – البخاري ، محمد بن اسماعيل ، ت(256هـ) ، صحيح البخاري ، 8أجزاء ، تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، حديث (4380) ،بيروت–دار الفكر 1998م (140/5) . وسيشار إليه لاحقا : البخاري ، صحيح البخاري

[2] – انظر سورة الإسراء ، الآيات (90-96).

[3] – الأعراف ، (157).

أما الأساليب الخاصة . فمنها : الاحتجاج على الخصم **بإظهار تناقض** أفعاله ، كما احتج على اليهود في استفتاحهم بالنبي قبل ظهوره ثم التولي عنه بعدما ظهر وقد مر ذلك [1] . ومنها الاحتجاج على الخصم **بتحديه** ، كما تحدى الرسول صلى الله عليه وسلم النصارى في آية المباهلة ، وقد مر هذا أيضا [2]. ومنها دعوة الخصم إلى **الابتعاد عن التفكير بعقل الجماعة** ، وتحكيم عقله الذي وهبه الله إياه ، كما في قوله تعالى :(**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ**)[3] .

ومنها **سلب العام بإثبات قضية جزئية موجبة** . ومن ذلك الاحتجاج على من أنكر الرسالة مطلقا ، ولم يعترف بنزول شيء من الله إلى أحد من البشر . قال تعالى :(**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**)[4] ففي هذه الآية نفى الخصم نزول شيء من الله تعالى على أحد من البشر نفيا عاما ، لكن الله تعالى أبطل هذا النفي بقوله :

(**قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى**)[5] قال ابن كثير :"أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة ، من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة الذي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى "[6] .

---

[1] – انظر : ص :186 من هذا المبحث .

[2] – انظر : ص :187 من هذا المبحث .

[3] – سبأ ، (46).

[4] – الأنعام ، (91).

[5] – الأنعام ، (91).

[6] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (157/2).

ثانيا : أدلة القرآن في إثبات القرآن ذاته من عند الله .

اشتمل القرآن الكريم على حجج عظيمة تثبت نفي أن يكون هذا القرآن من عند غيـــر الله .

وقبل الدخول في عرض هذه الحجج ينبه الباحث على أمرين :

الأول : إن القرآن بكل ما فيه ، هو معجزة عقلية ، تدل بذاتها على استحالة أن يكون هذا القرآن من عند بشر .

الثاني : إن كل الحجج التي تحدث الباحث عنها ، والتي تثبت النبوة والرســالة ، هـــي إثبـــات لصدق القرآن ، لأنه إذا ما ثبت صدق الرسالة ثبت صدق القرآن ، لأن كليهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر .

حجج القرآن في إثبات نسبته إلى الله .

كانت أبرز حجة اتخذها القرآن لإثبات نسبته إلى الله ، ونفي أن يكون من عند غيره ، هي التحدي ، إذ تحدى الله تعالى العرب المعارضين للقرآن خاصة ، والناس عامة -إنسهم وجـنهم- أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،أو بسورة منه ،ثم سجل عجز الإنس والجن عن معارضة لقرآن إلـــى يوم القيامة . فقال: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـــذَا الْقُـــرْآنِ لا يَـــأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**[1].

وقد سبق للباحث أن تحدث عن مراحل التحدي بالقرآن [2] .

والحق ، أن آيات التحدي هذه ، كانت وحدها حجة قاطعة على من يزعم أن هـــذا القـــرآن ابتدعه بشر من عند نفسه، أو تعلمه من غيره ؛ فإن عجز العرب -وهم أهل البلاغة والفصـــاحة

---

[1] – الإسراء ، (88).

[2] – أنظر : الفصل الثاني ، المبحث الثالث ص (128) من هذا البحث .

، وأهل الشعر والنثر – عن الإتيان بسورة واحدة مثل القرآن ، في وقت كانوا في غاية الحرص على معارضته ، هو أدل دليل ، وأقطع حجة على من زعم نسبة القرآن إلى غير الله .

ولا يقال إن هذا القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه استحال ويستحيل أن يقول مثله العرب ، وإذا ثبت العجز على جنس العرب ، فقد ثبت العجز على محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه من العرب [1].

وقد بين الله سخف المشركين حين راحوا يزعمون تلقي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من رجل أعجمي ، وهذه كانت فرية من المشركين تكشف عن سخف عقولهم ، وحالة الاضطراب والاختلال التي أوصلها إليهم عنادهم واستكبارهم ، قال تعالى :(**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**)[2] .فيا لها من سخافة وحماقة، فإذا كانوا هم عربا وأهل فصاحة وبلاغة ، عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، فكيف يأتي به أعجمي ؟!

فهذا ما لا يقبله عقل ولا يقره منطق .

وزيادة في الاحتجاج ، أمر الله تعالى المشركين بتدبر هذا القرآن ، والتأمل فيه ، ليقفوا على توافقه وائتلافه الذي لا يتيسر لأحد من البشر ، حيث قال :(**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**)[3].

فإن القرآن كله ، متسق المعنى ، مؤتلف الأحكام ، يؤيد بعضه بعضا بالتصديق ، ويشهد بعضه لبعض بالتحقيق ، ولو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه ، وتناقضت معانيه ، وأبان

---

[1] – انظر : الزين ، سميح عاطف ، **طريق الإيمان** ، جزء واحد ، ط9،بيروت– دار الكتاب العربي ،1983، ص161.
وسيشار إليه لاحقا : الزين ، طريق الإيمان .

[2] – النحل ، (103)

[3] – النساء ، (82).

بعضه عن فساد بعض [1].

وكلام الواحد من البشر شأنه الاختلاف والتناقض ، والتباين في البلاغة والدقة والتعبير ، ويتراوح بين القوة والضعف . وهذا ما ليس في القرآن ، إذ هو من أول يوم نزلت فيه أول آية ، إلى آخر يوم نزلت فيه آخر آيه ، في الذروة من البلاغة والفصاحة ، وعلو الأفكار وقوة التعبير ، لا تجد أدنى تباين فيه ، فهو نسيج واحد ، في الأسلوب والبلاغة والتعبير ، وهو قطعة واحدة كالجملة الواحدة لا تضاد فيه ولا اختلاف .

فهل بَعْدُ أكبر وأبعد دليلا على أن القرآن فوق كلام البشر المعرض للاختلاف في التعبير والمعنى؟! [2].

---

[1] – انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (179/5).

[2] – انظر : الزين ، **طريق الإيمان** ، ص163.

المبحث الثالث

أدلة القرآن في إثبات البعث

1) الطرق العامة في إثبات البعث

2) المسالك الخاصة في إثبات البعث:

أ-مسلك الاستدلال المادي.

ب-مسلك الاستدلال المعنوي.

المبحث الثالث

أدلة القرآن في إثبات البعث

قضية البعث والمعاد الجسماني يوم القيامة ، من أكثر القضايا التي اشتد جـدل المشـركين حولها ، فلم تكن عقول الكفار تتصور رجوع الأجساد والعظام المتحللة في التراب إلى أجسـاد كما كانت ، وكانوا يعتقدون أن هذه الأجزاء المتفتتة لا يمكن لها أن تعود ، ويستبعدون وقـوع مثل هذا الأمر ويقولون: (**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**)[1]. وكان الكفار كلما ذكـر أمـر البعث في حضورهم ، أو ذكروا بيوم يرجعون فيه إلى الله ، ليحاسبهم على ما قدموه من أعمال، أنكروا وقوعه ، بالنفي المؤكد بالقسم تارة ، كما قال الله تعالى :(**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ**)[2] ، وتارة أخرى قابلوا الدعوة للإيمان به بالسخرية والاستهزاء بالرسل الداعين إليه ، وبمن صدقهم من المؤمنين، وهذا الاستهزاء نلمسه من أقوالهم التـي سـجلها الله عليهم في كتابه ،كما قـال تعـالى :(**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**)[3]،(**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد**)[4].وهذه الآيات وغيرها ، تكشف موقف المشركين من أمر البعث ،وإنكارهم واسـتهزاءهم بهذا الأمر العظيم.

ولم يكن للكفار من حجة مقبولة، يحتجون بها لموقفهم المنكر للبعث،وكل ما احتجوا به لا يقبله عقل، ولا يقره منطق ؛ فتارة كانوا يحتجون بطلب تعجيل وقوع الساعة إن كان الأنبيـاء

---

[1] – ق ،(3).

[2] – النحل ،(38).

[3] – المؤمنون ، (35).

[4] – سبأ ،(7).

صادقين . وقد تكرر هذا الطلب من المشركين والكفار ،إذ قال تعالى مخبرا عـــنهم (وَيَقُولُــونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1]. وهذه حجة ساقطة ، لأن عدم الاستجابة لطلبهم لا يعنـــي عدم القدرة عليه،بل للحكمة الإلهية التي شاءت التأخير.

وتارة كانوا يطلبون إحياء آبائهم الميتين، كدليل يثبت إمكان البعث ، كما أخبر الله تعالى عــنهم :(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَــا كَــانَ حُجَّــتَهُمْ إِلَّــا أَنْ قَــالُوا ائْتُــوا بِآبَائِنَــا إِنْ كُنْــتُمْ صَادِقِينَ).[2].وتارة كانوا يلجأون إلى وصف أمر البعث بأنه أساطير وخرافــات الأولين،وذلــك تحقيرا لشأنه ، واستبعادا لوقوعه ،كما في قوله تعالى:(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْــلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)[3].

هذه هي خلاصة موقف المنكرين للبعث والساعة ، وحججهم التي كــانوا يحتجــون بهــا لموقفهم.

والقران الكريم –كعادته– أقام على المشركين حججا دامغة ، وأدلة قاطعة ، تثبــت أمــر البعث بما لا يدع مجالا للشك فيه، بل وتبطل كل الشبهات والشكوك التي أثارهــا المشــركون حوله، وكل ذلك بالأدلة العقلية المقنعة ،عدا عن كون البعث ثبت بالخبر الصادق عن الرســول الصادق .

ولم تقتصر حجج القران في إثبات البعث على طريقة واحدة ،أو أسلوب واحد ، بل تعددت طرقه وأساليبه في إثبات هذه القضية، والرد على منكريه .

---

[1] – يونس ،(48). الأنبياء ،(38) . النمل ، (71). سبأ ،(29) . يس، (48) . الملك ، (25).

[2] – الجاثية ، (25).

[3] – المؤمنون ، (83).

وبتتبع الباحث لحجج البعث ، يمكنه الوقوف على ثلاث طـرق عامـة[1] سـلكها القـران للاستدلال على أمر البعث .وهذه الطرق هي:

أولا: القصة .

كانت القصة القرآنية إحدى طرق الاحتجاج العامة على أمر البعث في القران ،إذ ذكـر الله تعالى قصصا للغابرين، تحمل في طيها حججا قاطعة على إمكـان البعـث ،ورد الأرواح إلـى أجسادها، كما كانت أول مرة .

ومن ذلك، ما أخبر الله تعالى به عن بني إسرائيل عندما طلبوا من موسى عليه السـلام أن يريهم الله جهرة ، حيث قال :**(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْـرَةً فَأَخَـذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ*ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[2] **وقوله :(فَقُلْنَـا اضْـرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[3]**وقوله:(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَـةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَـهُ)**[4] .فهذه قصص صادقة ،حدثت مع أناس بالفعل ، وشاهدوها عيانا ، ولا مجال لإنكارهـا . وهـي تثبت أمر البعث إثباتا قاطعا ؛ إذ الأمر لا يختلف ، لأن الذي قدر علـى رد الأرواح إلـى هـذه الأجساد في الحياة الدنيا ، قادر على ردها إلى الناس يوم القيامة .

---

[1] – سبق للباحث أن تحدث عن الطرق العامة للاحتجاج في القرآن . انظر :الفصل الثاني، المبحث الثاني ص:104-119 من هذا البحث .

[2] –) البقرة ، (55-56).

[3] – البقرة ، (73).

[4] – البقرة ، (259).

ثانيا :المناظرة .

والمناظرة أيضا ، كانت إحدى طرق الاحتجاج على البعث في القران ، وقد سجل الله تعالى الكثير من المناظرات التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، وكانت متضمنة لكثير من أدلة البعث والساعة ، والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية المقنعة.

ومن هذه المناظرات ، ما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم والعاص بن وائل[1] ،والتي أوردها الله تعالى في سورة يس:(**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ*قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**)[2].ومن المناظرات في البعث أيضا، قوله تعالى :(**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**)[3].

ثالثا : سوق الحجة على البعث ابتداء ، والإتيان بها على غير صورة القصة، أو المناظرة.

ومن ذلك قوله:(**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**)[4].

ففي هذه الآية دليل على البعث ، ويلاحظ أنها لم تأت في سياق قصة أو مناظرة .

هذه هي الطرق العامة التي اتبعها القران الكريم للاحتجاج على المشركين وغيرهم من الكفار ، سواء في معرض إثبات هذه القضية ، أو الرد على الشبهات والشكوك التي كان المشركون يثيرونها حول البعث والساعة.

---

[1] – ذكر السيوطي –رحمه الله– أن هذه الآيات نزلت في العاص بن وائل . انظر : السيوطي ، لباب النقول ، ص 182. وقد أخرج هذه الرواية الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتابعه الذهبي في التلخيص حيث قال : على شرط البخاري ومسلم . انظر :الحاكم ، المستدرك ، كتاب التفسير ، (466/2)

[2] – يس ، (78-79).

[3] – يونس ، (53).

[4] – الأنعام ، (95).

أما المسالك الخاصة التي سلكها القران في إثبات البعث ؛ فيمكن تقسيمها إلى مسلكين اثنين هما : مسلك الاستدلال **بالأدلة المادية** على البعث .ومسلك الاستدلال **بالأدلة المعنوية عليه.**

أولا :مسلك الاستدلال المادي .

والذي يقصده الباحث بهذا المسلك هو: تقديم أدلـــة ماديـــة محسوســـة ، تثبـــت وقـــوع البعث،وهذه الأدلة يمكن للإنسان مشاهدتها ؛ فهي محسوسة للإنسان .

والأدلة المادية التي قدمها القرآن للاستدلال على البعث ، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقســـام هي:

أ-**أدلة مادية مضى حدوثها** ، ولكن القران أخبر بوقوعها. وتتمثل هذه الأدلة بما أخبر الله تعالى به من قصص أناس أماتهم ثم أحياهم ، كقصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال تعالى:(**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**)[1] .

فهذه القصة تحمل في طيها حجة قاطعة على إمكان البعث ، وهي دليل مادي ، لأنه -وإن كانت خبرا – أمكن مشاهدتها في حينه . ولا يمكن الجدل فيها ، لأن ما حدث واقع ،ولن يختلف أمر البعث عما حدث مع هذا الرجل.

ب-أدلة مادية استدل بها القران على إمكان البعث ، **وهي ما زالت قائمة** .وتتمثل هذه الأدلـــة " بالأقيسة "التي قاس القرآن عليها أمر البعث .

وهذه الأقيسة هي[2] :

أولا :قياس الإعادة على الابتداء. بمعنى الاستدلال على إمكانية البعث يوم القيامة بالقياس على

---

[1] – البقرة ، (259).

[2] – انظر : الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** ، (2/26-27).

خلق الإنسان في المرة الأولى .قال تعالى :(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ)[1]وقال:(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[2].وقال:(أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)[3].

وقضية خلق الإنسان متكررة في كل لحظة، وهي دليل مادي على البعث،لأن من قَدِرَ على خلق الإنسان أول مرة -وهذا مسلَّمٌ به لدى الجميع- قادر على خلقه أخرى ،بل هو أهون عليه.
ثانيا:قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى .

وهذا أيضا دليل مادي آخر على إمكان البعث ،احتج به القرآن على من أنكره؛ فالذي قدر على خلق السماء – وهي أعظم وأكبر خلقا من خلق الإنسان – لا يعجزه بعث هذا الإنسان .قال تعالى:(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[4].وقال:(وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً*أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)[5].

فالمسألة منطقية ،لا غرابة فيها ولا تكلف ، فإن الذي خلق السماوات والأرض ، ولم يعجزه إيجادهما وفطرهما، قادر على أن يحيي الإنسان ، ذلك الذي لم يُعْدَم وجوده في الكون ، بل تفرقت أجزاؤه فيه رفاتا وعظاما ، فإيجاد شيء من عدم أكثر إيغالا في القدرة من إخراج موجود ، والذي قدر على الأول ،لا بد أن يقدر على الثاني[6] .وقال الزمخشري :" قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس ،لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهن، كما قال:(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا)[7]

---

[1] – الأنبياء ، (104).
[2] – الأعراف ، (29).
[3] – ق ، (15).
[4] – يس ، (81).
[5] – الإسراء ، (98-99).
[6] – انظر: قنيبي ، د.حامد صادق ، **المشاهد في القرآن** ، جزء واحد ،ط1،الأردن– مكتبة المنار ،1984،ص242.
وسيشار إليه لاحقا : قنيبي ، المشاهد في القرآن ، .
[7] – النازعات ، (27).

وجعل لهم أجلا لا ريب فيه –هو الموت أو القيامة–فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا "[1].

ثالثا:قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر .قال تعالى:(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ*الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)[2].

فدل الله سبحانه على قدرته على الإحياء والبعث ، بما يشاهده الناس من إخراج النار المحرقة من العود الندي[3] ، لأن الذي قدر على إخراج النار المحرقة من الشجر الأخضر،لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت ، وإعادتها بشرا سويا ، وخلقا جديدا كما بدأها أول مرة[4].

رابعا:قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها ، وهو في كل موضع ذكر فيه نزول المطر غالبا.

ومن ذلك ، قوله تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[5].

ففي هذه الآية يحتج الله تعالى على عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه ،على الإحياء الذي استبعدوه ، وذلك قياس إحياء على إحياء ،واعتبار الشيء بنظيره([6]).

خامسا:قياس الإعادة على اختلاف الليل والنهار .قال تعالى :(وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ*وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ*بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ*قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ*لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا

---

[1] – الزمخشري ، محمود بن عمر ، (ت–538هج)، **الكشاف** ، 4أجزاء ،مصر. مطبعة مصطفى بابي الحلبي،1972م، (467/2). وسيشار إليه لاحقا : الزمخشري ، الكشاف

[2] – يس ، (79–80).

[3] – انظر : الشوكاني ، **فتح القدير** ، (383/4).

[4] – انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (31/23).

[5] – فصلت ، (39).

[6] – انظر : ابن القيم ، **إعلام الموقعين** ، (138/1).

مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)[1] .فالحياة والموت،حادثان يقعان في كل لحظة ، والذي بث الحياة في جسد الميت، هو الذي يعرف سرها ، ويملك أن يهبها ويستردها .واختلاف الليل والنهار غير بعيد عن اختلاف الموت والحياة ، فكلاهما سنة كونية ،الأولى في الأفلاك ، والثانية في الأجساد، وكما ينزع الله الحياة من الحي ، فيعتم جسده ويهمد ، كذلك ينزع الضوء من الأرض فتعتم وتسكن ، ثم تكون حياة ،ويكون ضياء ، يختلف هذا على ذاك ،بلا فتور ولا انقطاع إلى أن يشاء الله [2].

هذه هي الظواهر الكونية التي قاس الله تعالى عليها قضية البعث ، ويلاحظ عليها أنها أدلة مادية ماثلة للعيان ، متجددة في كل لحظة إلى أن يشاء الله .

ج–أدلة مادية محسوسة ومشاهدة ، **أخبر الله تعالى بوقوعها يوم القيامة** ؛ فهي إذن لم تقع بعد.وتتمثل هذه الأدلة بالآيات القرآنية التي صورت مشاهد الكفار يوم القيامة ، فعرضت قضية البعث أمرا كائنا لا ريب فيه . يقول الشيخ شلتوت: " وهنا نوع آخر من الاستدلال على البعث عرضت له كثيرا سورة الأنعام ،بقطع النظر فيه عن كل ما تضمنته من توجيه النظر إلى العلم والقدرة ،وإلى ما تقتضيه العدالة والحكمة ، وإنما يعرض شأن البعث باعتباره أمرا كائنا ليس موضع إنكار ، ولا محلا لريب ، وتصور فيه مواقف المنكرين ، وما سيكون عليه حالهم في ذلك اليوم ، وكأن القرآن يقول لهم :أريحوا أنفسكم من الإنكار، وأريحوا الرسول من الجدل والمناقشة ، وتعالوا فاعرفوا الواقع الذي سيكون" [3].

1- المؤمنون ، (79-83).

2 – انظر: قنيبي ، **المشاهد في القرآن** ، ص 245.

3 – شلتوت ، **تفسير القرآن الكريم** ، ص 383.

انظر هذا النوع من أدلة البعث في قوله تعالى :(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)[1]. وقوله :(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ*وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ*وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)[2].وغيره كثير.

وهذه الأدلة يمكن إلحاقها بالأدلة المادية –وإن كانت لم تقع بعد–كونها مواقف ستكون مشاهدة يوم القيامة.

وهكذا نجد أن القرآن قدم أدلة مادية على يوم البعث ؛ ماضية ، وحاضرة ،ومستقبلة. وكأن القران يقول لكل من أنكر قضية البعث :لا تجهد نفسك في الجدل ، وتعال واسمع خبر أناس بعثوا ، فإن لم تقتنع ، فانظر إلى هذه الأدلة الماثلة أمامك، وفي نفسك ، فإن لم تقتنع ، فتعال واسمع ما سيكون عليه حالك وأمثالك يوم القيامة.

ثانيا :مسلك الاستدلال المعنوي .

هذا هو المسلك الثاني الذي سلكه القران في الاحتجاج على قضية البعث والساعة .

ويقصد بهذا المسلك : تقديم أدلة على البعث معقولة المعنى ، فهي إذن غير مشاهدة كالسابقة ، بل هي معنى يدركه العقل ويقره المنطق.

والأدلة التي قدمها القرآن للاحتجاج على قضية البعث في إطار هذا المسلك ، يمكن تصنيفها في نوعين اثنين:

---

[1] – الأنعام ، (22).

[2] – الأنعام ، (27–30).

أولهما :الاستدلال على البعث بالحكمة الإلهية .

وثانيهما :الاستدلال على البعث بالعدالة الإلهية والعدالة البشرية .

1-الاستدلال على البعث بالحكمة الإلهية .

إن الحكمة الإلهية من خلق الإنسان في هذا الكون ، تقتضي أن يكون هناك بعث يوم القيامة ، إذ لا يُعقل أن يكون الله تعالى خلق هذه الحياة- بما فيها الإنسان- عبثا، بل لا بد أن يكون لله حكمة في خلقها .قال تعالى:(**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**)[1]، وقال:(**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**)[2].

.وقال:(**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**)[3].

"فإن حكمة البعث من حكمة الخلق ،محسوب حسابها ، ومقدر وقوعها ، ومدبر غايتها ، وما البعث إلا حلقة في سلسلة النشأة ، تبلغ بها كمالها ، ويتم فيها تمامها " [4]

إن الحكمة الإلهية تأبى وترفض أن لا يكون هناك بعث ، والقول بعدم البعث بتر للحكمة الإلهية ، وتضييع لها، ومن أنكر البعث فكأنه وصف الله-سبحانه -بالعبثية ، لأنه يكون قد ألغى حكمته في الخلق ، تلك التي غفل عنها كثير من الناس .

قال تعالى:(**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**) [5]. فإذا لم يكن هناك بعث للحساب ، فما قيمة الابتلاء ؟.

2-الاستدلال على البعث بالعدالة الإلهية ، والعدالة البشرية .

---

1 - المؤمنون ، (115).

2 - الأنبياء ، (16).

3 - الدخان ، (38).

4 - قطب ، **في ظلال القرآن** ، (50/6).

5 - الملك ، (2).

إن العدالة تقتضي أن لا يتساوى الناس في المصير ، فلا يجوز في عقل ولا في شـــرع أن يكون مصير المجد كالمهمل ، ولا العامل كالقاعد .وهذا ما تقتضيه العدالة ؛ ليس العدالة الإلهية فحسب ، بل العدالة البشرية ، التي يؤمن بها كل البشر ، مؤمنهم وكافرهم. وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يعقل أن يسوى بين المؤمن والكافر ، بين الظالم والمظلوم ، بين من أحسن إلى الله والناس وبين من أساء إلى الله والناس ، فهذا مالا يرضاه عقل، ولا شرع، ولا قانون .

إذا ، لابد من يوم يكشف فيه عن العمل ،ويدقق فيه الحساب ،ليعطى كل إنسان ما يستحق ، لأن هذا ما تفرضه العدالة الإلهية ،وتقتضيه العدالة البشرية .ولذلك لفت الله تعالى العقول إلى هذه القضية ، حيث قال : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْــأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[1] .وقال:(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)[2].وقولــه:(أَفَنَجْعَــلُ الْمُسْــلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[3].

" فالمسلمون المذعنون المستسلمون لربهم ، لا يكونون أبدا كالمجرمين ، الذين يأتون الجريمـــة عن لجاج يَسِمُهُم بهذا الوصف الذميم.وما يجوز في عقل ولا في عدل أن يتســاوى المســلمون والمجرمون في جزاء ولا مصير "[4].

والذي يلاحظه الباحث على نوعي الاستدلال على البعــث –وهمــا الاســتدلال المــادي والمعنوي –أن الاستدلال بالأدلة المادية جاء لإثبات القدرة على البعث ، أما الاستدلال المعنوي فقد جاء لإثبات ضرورة البعث .

---

1 – ص ، (28).
2 – الجاثية ، (21)
3 –القلم ، (35-36).
4 – قطب ، في ظلال القرآن ، (237/8).

وعلى ذلك يمكن للباحث أن يقسم الأدلة على البعث تقسيما آخر هو :-

أولا : أدلة تثبت قدرة الله تعالى على البعث . وتمثلت هذه بالأدلة المادية التي استدل بها القران على إمكان البعث .

ثانيا : أدلة تثبت ضرورة البعث واليوم الآخر. وتمثلت هذه بالأدلة المعنوية ، وهـــي الحكمـــة الإلهية ، والعدل الإلهي اللذان يقتضيان البعث.

خاتمة

أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث

وفي الختام ....

فإني أضع بين يدي القارئ أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث . ومن هذه النتائج:-

1- إن القرآن الكريم أولى العقل البشري أهمية عظيمة ، واستحثه على التفكير بمختلف الطرق والوسائل ، ونعى على الذين حجبوا عقولهم عن العمل والتفكير .

2- إن القرآن الكريم ذم الجدل ، وكره الخوض فيه إلا بما دعت إليه الحاجة والضرورة ، من غير إسراف فيه ، وعلى كل من نصب نفسه داعية للإسلام أن يتحاشى الجدل ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

3- للمعرفة طرق محددة تُوصِل إليها ، بعضها مسلم بقبول المعرفة عن طريقها ، وأخرى تصلح أن تكون مصدرا للمعرفة للشخص ذاته لكنها غير ملزمة للآخرين .

4- اعتمد القرآن ثلاث طرق للمعرفة ، وهي العقل والحس والوحي . وتتكامل هذه الطرق ليكمل كل منها دور الآخر ؛ فالعقل يدرك الوحي ، والوحي يوجه العقل ، والحس يرسل للعقل فيفهم ويحلل. وهذه هي الطرق التي ينبغي اعتمادها في الوصول إلى أي نوع من المعارف .

5- تنقسم الأدلة في القرآن إلى قسمين ؛ أدلة تكليفية ، وأدلة برهانية ، وكل منهما يتكامل مع الآخر فالأدلة التكليفية تبحث في قضايا الأحكام العملية ، والأدلة البرهانية تبحث في قضايا الأحكام العقائدية . وبذلك تتكامل الأدلة القرآنية ، في خدمة هذا الدين الذي هو عقيدة وشريعة حياة .

6- تتميز الأدلة القرآنية بخصائص كثيرة لا يمكن أن يضاهيها شيء من صنع بشر مهما علا في العلم والفكر ، فهي أدلة تخاطب القلب والعقل معا ، سهلة واضحة قليلة المقدمات ، قاطعة للشك ، شاملة ، ومتكاملة.

7- ينقسم الاستدلال في القرآن إلى قسمين ، مباشر وغير مباشر .

8- سلك القرآن الكريم أربع طرق رئيسة في الاحتجاج ، وهي المناظرة ، والحوار ، والقصة ، وسوق الحجة من الله ابتداء . وهذه الطرق هي المحاور الرئيسة التي طبق في إطارها الأساليب الخاصة .

9- سلك القرآن الكريم أساليب عديدة في الاحتجاج ،استطاع الباحث أن يستقصي ثمانية عشر أسلوبا منها ، ولا يدعي الإحاطة بها جميعا ، فلعل غيره يصل إلى أكثر منها .

10-إنه لحري بكل من نصب نفسه داعيا إلى الإسلام ، أو ذابا للشبهات عنه أن يسلك هذا المنهج القرآني في الاحتجاج ، ويضرب عن مناهج المناطقة والمتكلمين صفحا ؛ تلك التي كانت معول هدم لا بناء .

11-احتج الله تعالى في القرآن على المشركين والمنافقين واليهود والنصارى ، ولم يُبْقِ لهذه الفرق عقيدة باطلة إلا نقضها ، ولا شبهة مزعومة إلا فنّدها ، ولا يمكن التوفيق بين ما تدعي هذه الفرق وبين دين الإسلام .

12-اشتمل القرآن الكريم على حجج عقلية تثبت كل القضايا الأساسية للعقيدة الإسلامية ، وتبطل كل الشبهات والشكوك التي أثيرت حولها ، وفي هذا دلالة واضحة على احترام الإسلام للعقل .

13-سلك القرآن الكريم في إثبات التوحيد مسلكين ؛ مسلك النفي ومسلك الإثبات ، أي نفي استحقاق الألوهية لغير الله تعالى ، وإثبات الألوهية لله وحدة . وكان هذا المنهج في غاية الكمال

؛ إذ كل من النفي والإثبات لازم للتوحيد ، فإن النفي لا يعني إثبات التوحيد لله ، والإثبات لا يعني نفي الألوهية عمن سواه ، فسلك القرآن المسلكين معا ، فكانت أدلة التوحيد في أعلى درجات البرهان .

14-اتجهت حجج القرآن إلى إثبات الألوهية ، لا إثبات الربوبية ، لأن الإنسانية تقر بوجود الخالق والمدبر لهذا الكون ، وإنما كان الضلال في عبادة غير الله .

15-سلك القرآن في إثبات البعث والساعة مسلكين : الأول مسلك الاستدلال المادي ، وتمثل بالأقيسة التي قاس الله تعالى عليها إعادة البعث يوم القيامة . والثاني : مسلك الاستدلال المعنوي ، وتمثل بالاستدلال بالحكمة والعدالة الإلهية اللتين تقتضيان وجوب البعث يوم القيامة . والمسلك الأول كان لإثبات القدرة على البعث ، والثاني لإثبات ضرورته.

الفهارس


فهرس
الآيات

فهرس الآيات

الآيـــــــــة	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ومن الناس من يجادل في الله..	3	الحج	22	26
ويجادل الذين كفروا بالباطل...	56	الكهف	18	26
وإن جادلوك فقل الله أعلم ...	68	الحج	22	26
وكان الإنسان أكثر شيء جدلا...	54	الكهف	18	26
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا....	46	العنكبوت	29	27
ادع إلى سبيلِ ربك	125	النحل	16	27
ولو كنت فظا غليظ القلب	159	آل عمران	3	32
فقولا له قولا لينا	44	طه	20	32
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم	73	النحل	16	38
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ...	10	الملك	67	38
إنما يخشى الله من عباده العلماء.	28	فاطر	35	43
فاعلم أنه لا إله إلا الله	19	محمد	47	44
فاعلموا أن الله مولاكم ...	40	الأنفال	8	44
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله...	14	هود	11	44
لهم قلوب لا يفقهون بها ...	179	الأعراف	7	45
إن السمع والبصر والفؤاد ...	36	الإسراء	17	45
ما دلهم على موته إلا	14	سبأ	34	49
أفعصيت أمري....	93	طه	20	56
ومن يعص الله ورسوله فإن له	23	الجن	72	56
لو كان فيهما آلهة إلا ...	22	الأنبياء	21	61
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي	103	النحل	16	61
أوليس الذي خلق السماوات..	81	يس	36	61
قال إبراهيم فإن الله يأتي ...	258	البقرة	2	61
قال أولم تؤمن قال بلى	260	البقرة	2	61
كتب عليكم القصاص....	178	البقرة	2	61
كتب عليكم الصيام	183	البقرة	2	61
أحل لكم ليلة الصيام الرفث...	187	البقرة	2	61
ومن آياته أنك ترى الأرض	39	فصلت	41	66

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ثمانية أزواج من الضأن اثنين ..	143	الأنعام	6	124
ومن الإبل اثنين ومن البقر...	144	الأنعام	6	124
وقالوا ما في بطون هذه ...	139	الأنعام	6	125
إن الذين تدعون من دون الله ...	194	الأعراف	7	126
أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون...	33	الطور	52	129
فليأتوا بحديث مثله إن	34	الطور	52	129
أم يقولون افتراه قل فأتوا...	13	هود	11	129
وإن كنتم في ريب مما ...	23	البقرة	2	129
قل لئن اجتمعت الإنس والجن ..	88	الإسراء	17	129
قل يا أيها الذين هادوا ...	6	الجمعة	62	130
ولا يتمنونه أبدا بما قدمت...	7	الجمعة	62	130
إن الله لا يستحيي أن يضرب..	26	البقرة	2	131
وقالت اليهود عزير ابن الله ...	30	التوبة	9	132
إذا جاءك المنافقون قالوا ...	1	المنافقون	63	132
إن الله فالق الحب والنوى	95-99	الأنعام	6	134
ألم تر أن الله يزجي سحابا ...	43	النور	24	135
الله الذي يرسل الرياح فتثير ...	48	الروم	30	135
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا ...	75	النحل	16	136
وضرب الله مثلا رجلين...	76	النحل	16	136
إن مثل عيسى عند الله	59	آل عمران	3	137
قد خلت من قبلكم سنن....	137	آل عمران	3	138
أيحسب الإنسان أن يترك.....	36-40	القيامة	75	139
يخرج الحي من الميت	19	الروم	30	140
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة..	8	المنافقون	63	143
ومنهم الذين يؤذون النبي....	61	التوبة	9	144
قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول ..	81	الزخرف	43	145
ولا يدخلون الجنة ...	40	الأعراف	7	146
الذين قالوا إن الله عهد إلينا ...	183	آل عمران	3	147

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
وهو الذي جعل النجوم	97	الأنعام	6	168
الذي خلقني فهو يهدين...	78-81	الشعراء	26	168
ألا يسجدوا لله الذي	25	النمل	27	169
قل لمن ما في السماوات	12	الأنعام	6	169
قل أغير الله اتخذ وليا ...	14	الأنعام	6	169
قل لو كان معه آلهة	42	الإسراء	17	171
ويجعلون لله البنات	57	النحل	16	173
أفأصفاكم ربكم بالبنين ...	40	الإسراء	17	173
وجعلوا الملائكة الذين هم	19	الزخرف	43	173
ألكم الذكر وله الأنثى...	21-22	النجم	53	173
وإذ قال الله يا عيسى....	116	المائدة	5	174
ما المسيح ابن مريم إلا رسول	75	المائدة	5	174
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...	23	المؤمنون	23	179
فقال الملأ الذين كفروا من قومه	24	المؤمنون	23	179
وقال الملأ من قومه	33	المؤمنون	23	179
إلى فرعون وملائه....	45-46	المؤمنون	23	179
وقالوا مال هذا الرسول....	7	الفرقان	25	179
وقال الذين لا يرجون لقاءنا ...	21	الفرقان	25	179
وما أرسلنا قبلك إلا رجالا	7	الأنبياء	21	180
ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ...	8-9	الأنعام	6	180
قل لو كان في الأرض	95	الإسراء	17	181
وقالوا لولا نزل هذا ...	31-32	الزخرف	43	182
الله أعلم حيث يجعل رسالته ...	124	الأنعام	6	182
أفلم يدبروا القول ...	68-70	المؤمنون	23	183
قل إنما أعظكم بواحدة	46	سبأ	34	183
قل كفى بالله شهيدا	96	الإسراء	17	184
وإذ قال عيسى ابن مريم	6	الصف	61	186
أإذا متنا وكنا ترابا ...	3	ق	50	193

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
وأقسموا بالله جهد أيمانهم ...	38	النحل	16	193
أيعدكم أنكم إذا متم ...	35	المؤمنون	23	193
وقال الذين كفروا هل ندلكم.....	7	سبأ	34	193
ويقولون متى هذا الوعد ...	48	يونس	10	194
وإذا تتلى عليهم آياتنا ...	25	الجاثية	45	194
لقد وعدنا نحن وآباؤنا	83	المؤمنون	23	194
وإذ قلتم يا موسى	56-55	البقرة	2	195
فقلنا اضربوه ببعضها	73	البقرة	2	195
ويستنبئونك أحق هو	53	يونس	10	196
كما بدأنا أول خلق نعيده ...	104	الأنبياء	21	198
أفعيينا بالخلق الأول بل هم ...	15	ق	50	198
أإذا كنا عظاما ورفاتا	99-98	الإسراء	17	198
أأنتم أشد خلقا أم	27	النازعات	79	198
وهو الذي ذرأكم في الأرض و..	83-79	المؤمنون	23	200
ويوم نحشرهم جميعا ...	22	الأنعام	6	201
ولو ترى إذ وقفوا على النار ...	30-27	الأنعام	6	201
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ...	115	المؤمنون	23	202
وما خلقنا السماء والأرض...	16	الأنبياء	21	202
وما خلقنا السماوات والأرض...	38	الدخان	44	202
الذي خلق الموت والحياة	2	الملك	67	202
أم حسب الذين اجترحوا	21	الجاثية	45	203
افنجعل المسلمين كالمجرمين	36-35	القلم		203

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

ثبت المراجع

- **الأحمد نكري** ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول ، **دستور العلماء** ،4أجزاء ، ط1، بيروت- دار الكتب العلمية،1421هج=2000م .
- **الإيجي** ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، (ت-756هج)، **المواقف**، جزء واحد ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، ط1،بيروت ، دار الجيل 1997م .
- **الالوسي** ، محمود الالوسي أبو الفضل ، (ت-1270هج) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 30 جزءا،بيروت . دار إحياء التراث العربي.
- **البخاري** ، محمد بن إسماعيل ، ت(256هج) ، **صحيح البخاري** ، 8أجزاء ، تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز،بيروت .دار الفكر ،1998م .
- **بدري** ، د. مالك ، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود** ،جزء واحد، ط3،القاهرة ، دار الوفاء -1413هج - 1993م .
- **البركي** : محمد عميم الاحسان ، **قواعد الفقه** ، جزء واحد ، ط1،كراتشي ، الصدف ببلشر ، 1407هج .
- **البغوي** ،الحسين بن مسعود الفراء(ت-516هج) **معالم التنزيل**،4أجزاء،تحقيق : خالد العك - مروان سوار ، ط2 ،بيروت -دار المعرفة ، 1407هج =1987م .
- البوطي ، د.محمد سعيد رمضان ، **كبرى اليقينيّات الكونية** ،جزء واحد، ط2،بيروت- دار الفكر،1390هج .
- **البيهقي** ، أحمد بن الحسين ، (ت-458هج) ، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** ، جزء واحد ، ط1 ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة .1401هج .

- **الترمذي** ، محمد بن عيسى أبو عيسى ، (ت – 279هج)، سنن الترمذي " **الجامع الصحيح** "بيروت– دار إحياء التراث العربي .
- **التهانوي** ، محمد بن علي بن محمد ، (ت–1158هج) **كشاف اصطلاحات الفنون** ، 4أجزاء ، ط1،بيروت –دار الكتب العلمية ،1418هج= 1998م .
- **ابن تيمية** ، أحمد بن عبد الحليم ، (ت 728هج)، **النبوات** ، جزء واحد ،القاهرة – المطبعة السلفية، 1386هج .
- **ابن تيمية** ، أحمد بن عبد الحليم ،مجموع الفتاوي، 37 جزءا، **كتاب التفسير** ، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز.
- **ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم ، **مجموع الفتاوي** ، 37جزءا، **كتاب المنطق** ، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز .
- **جاد المولى**، محمد أحمد، **قصص القرآن** ،جزء واحد،(دمشق –بيروت) دار النصر،1404هج= 1984م .
- **الجرجاني** ، علي بن محمد ، (ت–816هج)، **التعريفات** ، جزء واحد ،بيروت– دار الكتب العلمية 1416هج=1995م .
- **جريشة** ، د. علي، **أدب الحوار والمناظرة** ، جزء واحد ، ط2 المنصورة ، ، دار الوفاء ، 1412هج=1992م .
- **جماعة من العلماء** ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، جزء واحد ، ط6 ،بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1400هج .
- الجندي ، أنور ، **ترشيد الفكر الإسلامي**، جزء واحد ، دار الاعتصام .

- **ابن الجوزي** ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت_597هـــج) ، **زاد المسير في علم التفسير**،9 أجزاء، ط3 ،بيروت _لبنان. المكتب الإسلامي، 1404هج
- **الجوهري** ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، (ت-393هج) ، **الصحاح** ،7 أجزاء، تحقيق : د. أميل بديع يعقوب و د. محمد نبيل الطريفي ، ط1،بيروت- دار الكتب العلمية ، 1420هج= 1999م .
- **الجويني** ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، (ت 478هج)، **البرهان في أصول الفقه** ، 3 أجزاء: تحقيق :د.عبد العظيم محمود الديب ، ط4 ،المنصورة ، دار الوفاء ، 1418هج .
- **الحاكم** ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت -405هج) ، **المســـتدرك على الصحيحين** ،بيروت- دار الكتب العلمية. 1410هج= 1990م .
- **حجازي** ، محمد محمود ، **التفسير الواضح** ، 30 جزءا ،القاهرة ، مطبعة الاستقلال ، ط4،1388هج=1968م .
- **ابن حزم** ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، (ت-456هج) ، **النبذة الكافية**، جزء واحد، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، ط1 ،بيروت دار الكتب العلميـــة ، 1405هـــج = 1985م .
- **ابن حزم** ، علي بن محمد بن حزم الأندلسي ، (ت- 456هج) ، **الإحكام** ، 8أجـــزاء ، ط1 ،القاهرة دار الحديث --1404هج .
- **حمادة** ، د. فاروق ، **دراسة وتحقيق كتاب العلم للإمام أحمد بن شعيب النسائي** ، جزء واحد ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر ، 1413هج= 1993م .
- **حمدان** ، محمد زياد ، **التنفيذ العملـــي للتـــدريس** ، جـــزء واحـــد ،عمـــان دار التربيـــة

الحديثة،1985م.

- **ابن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، (ت241هج) ، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، 6 أجزاء، مصر. مؤسسة قرطبة.
- **أبوالخطاب** الكلوذاني محفوظ بن أحمد بن الحسن ، (ت-510هج) ، **التمهيد في أصول الفقه** ، 4أجزاء،ط.1 تحقيق : د.مفيد أبو عمشة ،جدة، دار المدني . ،1406هج=1985م .
- **الخطيب** ، د. عبد الكريم ، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، جزء واحد ، ط2،بيروت -دار المعرفة، 1395 هج=1975م .
- **ابن خلكان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت- 681ه ، **وفيات الأعيان** ، 4أجزاء ، تحقيق : د. إحسان عباس ،بيروت- دار صادر 1397هج= 1977م .
- **الدارمي** ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت-255هج) **سنن الدارمي** ، كتاب المقدمة ، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع ، ط1،بيروت. دار الكتاب العربي ،1407هج .
- **دراز**، الشيخ محمد عبدالله ، **النبأ العظيم** ، جزء واحد ، ط2 ، دار القلم ، 1390هج =1970م .
- **الدهلوي** ، أحمد بن عبد الرحيم ، (ت1176هج) ، **الفوز الكبير في أصول التفسير** ،جزء واحد ،ط2،دار البشائر الإسلامية ، 1987م= 1407هج .
- **الذهبي** ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت- 748هج) ، **سير أعلام النبلاء** ،23 جزءا ..تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ط9 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413هج .
- **الرازي** ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت721هج) ، **مختار الصحاح** ، جزء واحد.

بيروت ،مكتبة لبنان ناشرون،1415هج=1995م.

- **الرازي** ، أبو حاتم ، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ، (ت –327هج)، **الجرح والتعديل** ، 9أجزاء ط1،بيروت ، دار إحيـاء التـراث العربـي ، 1271هج= 1952م .
- **الرازي** ، الفخر ، محمد بن عمر بن الحسين ، (ت– 606هج) ، **المحصول** ، جـزءان ، ط1، الناشر : الرياض . جامعة الإمام محمد بن سعود ، 1400هج .
- **الرازي** ، الفخر ، محمد بن عمر بن الحسين التميمي ، (ت– 606هج) ، **التفسـير الكبيـر** ، (20) جزءا، ط2، طهران – دار الكتب العلمية.
- **الراغب** ، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ،(ت – 425هـج) ، **مفـردات ألفـاظ القرآن** ،جزء واحد. ط2 .تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم والـدار الشـامية ، 1412هج= 1992م
- **الزجاج** ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ،(ت–311هج) ، **معاني القرآن وإعرابه** ، 5أجزاء ، تحقيق : د.عبد الجليل عبده ،ط1،بيروت– عالم الكتب ، 1408هج =1988م.
- **الزرقاني** ، محمد عبد العظيم ، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، أربعة أجزاء ،بيـروت– دار الفكر ، 1408هج=1988م .
- **الزركشي** ، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله ، (ت–794هج) ، **البحـر المحـيط فـي أصول الفقه** ، 4أجزاء ، ط1،بيروت– دار الكتب العلمية، 1421ه=2000م .
- **الزركشي** ، محمد بن بهادر بن عبد الله ، (ت–794هج) ، **البرهان فـي علـوم القـرآن** ، 4أجزاء ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،بيروت– دار المعرفة ، 1391هج .

- الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، 8أجزاء ، ط6 ، دار العلم للملايين –بيروت ، 1984م
- **الزمخشري** ، محمود بن عمر ، (ت–538هج)، **الكشاف** ، 4أجزاء ،مصر–مطبعة مصطفى بابي الحلبي،1972.
- **أبو زهرة** ، د . محمد ، **تاريخ الجدل** ، ط2 ،بيروت– دار الفكر العربي ، 1980م .
- **الزين** ، سميح عاطف ، **طريق الإيمان** ، جزء واحد ، ط9،بيروت– دار الكتاب العربي ،1983.
- **السبكي** ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، (ت–771ه) ، **رفع الحاجب عن مختصر بن الحاجب** ، 4 أجزاء ، تحقيق : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط1، بيروت .عالم الكتب، 1419هج= 1999م .
- **السرخسي** ، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ،(ت– 490هج) ، **أصول السرخسي**، جزءان ، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ،بيروت– دار المعرفة ، 1372هج .
- **ابن سعد**، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ،(ت– 230هج) ، **الطبقات الكبرى** ،بيروت– دار صادر .
- **أبوالسعود** ، محمد بن محمد العمادي ، (ت–951هج) ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، 9أجزاء،بيروت–دار إحياء التراث العربي .
- **السمعاني** ، أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت_ 489هج) ، **قواطع الأدلة في الأصول** ، جزء واحد، تحقيق : محمد حسن محمد ، ط1،بيروت– دار الكتب العلمية ، 1997م .
- **السيوطي** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ،**الدر المنثور**،8أجزاء،بيروت–

دار الفكر ،1993م .

- **السيوطي** ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ،(ت-911هج) **لباب المنقول في أسباب النزول**،جزء واحد ،بيروت-دار إحياء العلوم .

- **السيوطي**،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ،(ت 911هج)**الإتقان في علوم القرآن**،جزءان ، ط4،مصر. مطبعة : مصطفى بابي الحلبي ، 1398هج = 1978م .

- **الشاطبي** ، إبراهيم بن موسى ، (ت-790هج) ، **الموافقات في أصول الشريعة**، 4أجزاء ،ط2 بيروت،دار المعرفة،1395هج=1975م .

- **شلتوت** ، محمود ، **تفسير القرآن الكريم** ، جزء واحد ، ط5 ، دار الشروق ، 1973م .

- **الشوكاني** ، محمد بن علي بن محمد (ت- 1250هج) ، **فتح القدير**،5 أجزاء ،بيروت- دار الفكر .

- **الشوكاني** ،محمد بن علي بن محمد ، (ت- 1250هج) ، **إرشاد الفحول** ، جزء واحد ، تحقيق : محمد سعيد البدري ، ط1،بيروت- دار الفكر ، 1412هج=1992م .

- **الشيباني** ، د.عمر التومي ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، جزء واحد ، الدار العربية للكتاب ، 1988م .

- **الشيرازي** ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، (ت-476هج)، **المعونة في الجدل** ،تحقيق : علي عبد العزيز العميريني ،ط1، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، 1407هج .

- **الشيرازي**، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت-476هج)، **اللمع في أصول الفقه** ، جزء واحد ، ط1، بيروت_دار الكتب العلمية،1405هج=1985م .

- الصابوني ، د.محمد علي ، **النبوة والأنبياء** ، جزء واحد ،بيروت- دار الجيل ،

1420هج=1990م .

- **طبارة** ، عفيف عبد الفتاح ، **مع الأنبياء في القرآن** ، ط20، دار العلم للملاين، 1999.
- **الطبري** ، محمد بن جرير بن يزيد (ت-310 هج)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ،30 جزءا ،بيروت- دار الفكر، 1405 هج .
- **طعمة** ، د. صابر، **المعرفة في منهج القرآن** ، جزء واحد ،بيروت- دار الجيل .
- **طوقان** ، قدري حافظ ، **مقام العقل عند العرب** ،جزء واحد،مصر- دار المعارف .
- **عبيدات** ، د. عبد الكريم نوفان ، **الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية**،جزء واحد، ط1 ، دار النفائس ، 1420هج- 2000م .
- **العمري**، محمد نبيل، *الأدلة القرآنية : خصائصها ومميزاتها*، **مجلة دراسات-الجامعة الأردنية** ، **علوم الشريعة والقانون** ،العدد2، 2000م .
- **الغزالي** ، أبو حامد ، محمد بن محمد ، ت 505هج ، **قواعد العقائد** ،جزء واحد، تحقيق: مرسي نصر، ط2،بيروت- عالم الكتب ، 1985م .
- **الغزالي** ، أبو حامد محمد بن محمد ، (ت-505هج)، **جواهر القرآن** ، جزء واحد ، تحقيق : محمد القباني ، ط1 ،بيروت- دار إحياء العلوم ، 1985م .
- **ابن فارس** ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت-395هج)، **معجم مقاييس اللغة** ، 6أجزاء، ط2 مصر- مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، 1391هج=1971م .
- **الفيروزآبادي** ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط** ، 4 أجزاء ،بيروت- المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
- **الفيروزآبادي** ، مجد الدين محمد بن يعقوب ،(ت-718هج)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،6 أجزاء، تحقيق: محمد على النجار ،بيروت- المكتبة العلمية .

- **القرضاوي** ، د. يوسف ، **الحياة الربانية والعلم** ،جزء واحد، ط 1 ،عمـــان –الأردن ، دار الفرقان ، 1417هج– 1997 م .
- **القرطبي** ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، (ت–671هج)، **الجامع لأحكام القرآن** ع.الأجـــزاء 20. ،تحقيق : أحمد عبد الحليم البزدوي ،ط2،القاهرة، دار الشعب 1372هج .
- **القسطنطيني** ، مصطفى بن عبد الله ، (ت– 1067 هج) **كشف الظنون** ، جزءان، بيـــروت – دار الكتب العلمية، 1413 هج= 1992 م .
- **القطان**، الشيخ مناع، **مباحث في علوم القرآن**، ط9، مؤسسة الرسالة–بيروت، 1400هج=1980م
- **قطب** ،سيد ، **في ظلال القرآن**،8 أجزاء ،ط7،بيروت– دار إحياء التراث، 1971م .
- **القنوجي** ، صديق بن حسن ، (ت– 1307هج) ، **أبجد العلـــوم** ،تحقيق عبد الجبار زكار،3 أجزاء،بيروت– دار الكتب العلمية ، 1978م .
- **قنيبي** ، د.حامد صادق ، **المشاهد في القرآن** ، جزء واحـــد ،ط1،الأردن– مكتبـــة المنـــار ،1984.
- **ابن القيم** ، محمد بن أبي بكر ، (ت–751هج) ، **الأمثال في القرآن**، جزء واحد ، تحقيـــق: إبراهيم محمد ، ط1 ،طنطا –مصر مكتبة الصحابة، 1406هج=1986م .
- **ابن القيم** ،محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين** ،4أجزاء. تحقيق : طه عبد الرؤوف ســـعد ،بيروت– دار الجيل ،1973م .
- **ابن القيم** ، محمد بن أبي بكر ، (ت –751هج)، **الصـــواعق المرســـلة علـــى الجهميـــة والمعطلة** ، 4أجزاء تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، ط3 ،الرياض– دار العاصمة ،

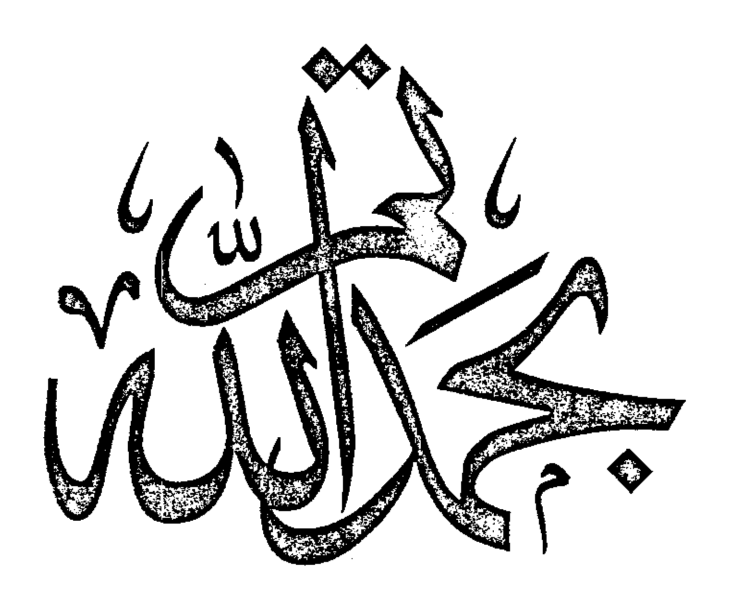
1418هج=1998م .

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر ، (ت751هج) ، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة** ، جزء واحد ، تحقيق : أيمن عبد الرزاق الشوا ،ط1،بيروت- دار الفكر المعاصر1417هج=1996م .
- **ابن القيم** ، محمد بن أبي بكر ، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** ،جزء واحد، ط1، بيروت -دار الكتب العلمية ، 1402هج=1982م .
- **ابن القيم** ، محمد بن أبي بكر، **التفسير القيم** ، جمعه: محمد أويس الندوي. وحققه : محمد حامد الفقى .بيروت- دار الكتب العلمية ، 1398هج=1978م .
- **ابن كثير** ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، (ت- 774هـج) ، **تفسير القرآن العظيم**.4أجزاء،بيروت- دار الفكر ،1401هج .
- **الكفوي** ، أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسين ، (ت- 1094هج) ، **الكليات** ، جزء واحد ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، 1419هج= 1998م .
- **الكيلاني** ، د. ماجد عرسان ، **فلسفة التربية الإسلامية** ، جزء واحد ،بيروت- مؤسسة الريان، 1419هج=1998م .
- **ابن ماجة** ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت-275هـج) ، **سنن ابن ماجة** ،بيروت- دار الفكر .
- **الماوردي** ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، (ت-429هج)، **أعلام النبوة** ، جزء واحد ، ط1 بيروت، دار الكتاب العربي .1987م .
- **المحاسبي** ، الحارث بن أسد بن عبد الله ،(ت-242 هج) ، **ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**،جزء واحد ،ط2،بيروت- دار الكندي ودار الفكر ، 1398هج .

- **المقدسي** ، ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ، (ت- 620هج) ، **روضة الناظر** ، جزء واحد ، ط2 ، الناشر :الرياض- جامعة الإمام محمد بن سعود، 1399هج .
- **مكرم** ، د. عبد العال سالم ، **الفكر الإسلامي بين العقل والـوحي**،جـزء واحـد ، ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، 1412-1992م .
- **المناوي** ، محمد عبد الرؤوف ، (ت_1021هج) ، **التعاريف** ،جزء واحد، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط1 ،بيروت- دار الفكر المعاصر &دمشق- دارالفكر ، 1410هج .
- **المنجد** ، د. صلاح الدين ، **الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكـريم والحـديث النبـوي الشريف** ،جزء واحد، ط2 ،بيروت- دار الكتاب الجديد ، 1976م .
- **ابن منظور** ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت-711هج) ، **لسان العـرب** ، 15 جزء ، ط1،بيروت- دار صادر، 1410هج= 1990م .
- **الميداني** ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **العقيدة الإسلامية وأسسـها** ، جـزء واحـد ، ط2 ،1399هج= 1979م .
- **الميداني** ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **صراع مع الملاحدة حتى العظـم** ، جـزء واحـد ، ط3،بيروت /دمشق. دار القلم . ،1402هج=1982م .
- **الميداني** ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** ،جزء واحد ، ط3 ،دمشق- دار القلم ، 1408هج= 1988م .
- **النسفي** ، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود ، (ت-701هج) ،(**تفسـير النسـفي**) المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، 4أجزاء، دار الفكر .
- **النشار** ، سامي على ، **مناهج البحث عند مفكري الاسلام** ، ط3،بيروت- دار النهضـة ،

1980م

- **أبو نعيم** ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، (ت-430هج) ، **حلية الأولياء** ، ط4،بيروت- دار الكتاب العربي، 1405 هج .
- **اليافعي** ، عبد الله بن أسعد بن علي ، (ت768هج) ،**مرهم العلل المعضلة في الـــرد علـــى أئمة المعتزلة** ، جزء واحد ، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار ، ط1 ،بيـــروت- دار الجيل 1992م .


بحمد الله

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Holy Quran Method in Establishing Firm Proof and Evidence

Submitted by:
Mojahed Mahmuod Ahmad Naser

Supervisor :

Dr. Mohsen . S. Al-khaldy

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Islamic Law (Shari'a) in Usol Ad-Din , Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine .

1424 - 2003

Abstract

The Holy Quran followed a distinguished manner in argument , can be summed up in two things :

First: General ways of argument. The researcher found that the Quran used four main ways in his arguments including debate, dialogue or narration. Initiating the argument directly by God.

Secondly: Special methods. The researcher found Eighteen methods of argument used by the Holy Quran, and these methods used in the domains of the four general ways.

The proving in the Holy Quran directed on four stray sects. They are polytheist insincere (Hypocrites), Jews, and Christians.

The Holy Quran argument also included the main issues of the Islamic faith, where as he proves monotheism, prophthood, the Quran and resurrection. It also disproves all doubts that had been raised upon these issues. All this was done in ways and methods that made these arguments perfect in achieving the required results.